على يوسف وإنا له لناصحون؟! ﴾[1] إنهم يضعون أباهم وجهاً لوجه أمام التناقض الضمني الذي حوته بنية السائل (لا تأمنا على يوسف – وإنا له لناصحون) ليسلمه هذا التناقض إلى الشعور بالشفقة عليهم، والندم على سوء الظن بهم، والسعي إلى ارضائهم بتنفيذ طلبهم.

وبهذا يحقق البعد الإنفعالي الذي يجمع بين المرسل والمتلقي بعداً اقناعياً، فإختيار السؤال وطيد الصلة بمشاعر المرسل؛ لأنه أقوى في دلالته النفسية من النفي الخبري الذي يكفيه أن يقرر واقعاً بعيداً عن نفس طرفي الخطاب، فلو استخدموا في خطابهم أسلوب النفي: (يا أبانا إنك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون) لما ظهر تذللهم لأبيهم ولا محاولتهم التأثير عليه، ولبدأ خطابهم معه خطاب الند للند.

وقد يدفع التلطف بالنصح وخشية استثارة غضب المخاطب المرسل إلى أن يوجه الإنكار إلى ذاته، ومن ذلك: قول الرجل المؤمن لقومه الذين كذبوا المرسلين: ﴿**يا قوم اتبعوا المرسلين، اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون. ومالي لا أعبد الذي فطرني واليه ترجعون؟! أأتخذ من دونه آلهة؟! إن يردن الرحمن بضر لا تغني عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون، إني إذا لفي ضلال مبين**﴾[2] إنه يوجه بالسؤالين المتلاحقين الإنكار وما ارتبط به من دلالات التوبيخ والاستهجان والنفي والتعجب إلى ذاته وهو يريد مخاطبيه، وهذا انحراف ذو عمق جوهري في تكوني التركيب فيه ينبه المخاطب؛ لأنه كسر توقعه فقد بدأ المرسل خطابه بنداء المتلقي (يا قوم) ثم أمره باتباع المرسلين معللاً سبب طلبه (اتبعوا المرسلين، اتبعوا من لا يسألكم اجراً وهم مهتدون) في إثناء ذلك تبدأ خطوات تفاعل المتلقي مع المخاطب، ويتأجج الصراع الداخلي بتوقع إنكار يوجهه المرسل إلى متلقيه، فيستعد الأخير لرد فعل مقاوم لكنه يتفاجأ بالمرسل وقد صب جام انكاره على ذاته مسائلاً اياها. ويقف المتلقي مستمعاً إلى هذه المساءلة أو لنقل إلى هذا البوح الوجداني دون أن يضيق بما تحويه من دلالات أو تهيج ثائرته على المرسل، فتصل إليه دلالات السؤال بل تصفعه دون استفزاز أو تثوير. وهذا يؤكد ان السؤال من أشد الأساليب مراوغة لأنه يحمل من الدلالات الضمنية أضعاف ما تشير إليه دلالاته الظاهرة المباشرة.

---

[1] يوسف/١١.

[2] يس/٢٠-٢٤.

- **التعجـــب !!!!**

ومن الدلالات التي حوتها الأسئلة الحوارية (التعجب)، وهي دلالة تنطوي تحـت مظلـة الإنكار. جاء في اللسان: العجب والعجب انكار ما يرد عليك لقلة اعتياده، قال الزجاج: اصـــل العجب في اللغة أن الإنسان إذا رأى ما ينكره ويقل مثله قال: قد عجبت من كذا[١].

قال أبو حيان: "والتعجب تعظيم أمر في قلوب السامعين، ولا يكون إلا في شيء خـــارج عن نظرائه واشكاله"[٢]. وقد قيل إذا ظهر السبب بطل العجب، فالتعجب ينصب على ما خفـــي أو استبهم سببه، فمن شأن الناس أن يتعجبوا مما لا يعرف سببه[٣].

وقد اختير السؤال من بين التراكيب النحوية ليجسم التعجب الذي انتـاب أحـد أطـراف الحوار، لكون المتعجب يلتمس سر الشيء الذي خرج عن المالوف مسبباً له الإنبهار والحـــيرة، فهو يطلب المعرفة، والسؤال وقود المعرفة، وهو السبيل إلى برد اليقيـــن، يتحـول المتعجـب بدلالته الناقصة إلى المتلقي ليكملها فيصل السائل إلى الاستقرار.

ومن ذلك السؤال الذي حكاه الله على لسان زوج ابراهيم حين بشـرتها الملائكـة بأنـها ستنجب غلامـاً: ﴿**قالت : يا ويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً؟! إن هذا لشـيء عجيب**﴾[٤] تجسم عبارة (يا ويلتا) وقع المفاجأة عليها موضحة درجة الإنفعال التـي وصلـت حداً اختلطت فيها المشاعر؛ فتلقيها للبشرى شابه تلقي مصيبة أو كارثة لانـــها تجـهل الكيفيـة، فتحولت إلى المبشرين بسؤال تتعجب فيه من التناقض الصارخ بيـن البشـرى وحالـها وحـال زوجها الذي يحول دون تحقيقها، إنه تعجب يمتزج باستنكار، واستنكار يمـتزج بـأمر وإلحـاح يلاحقان المخاطب ليفك اللغز ويؤكد البشارة.

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة (عجب) -بتصرف-.

(٢) أبو حيان الاندلس، البحر المحيط، ج٨، ص٢٦١.

(٣) السيوطي، الاتقان، ج٢، ص٧٦.

(٤) هود/٧٢.

وتأكدت دلالة التعجب التي يحويها السؤال بالتعليق الذي ختمت به تساؤلها: (إن هذا لشيء عجيب!) لقد صرحت بوصف الإنجاب منها ومن زوجها وهما في تلك الحالة بأنه شيء عجيب، أي يدعو إلى العجب.

كما تأكدت دلالة التعجب التي حواها تساؤلها بالرد الذي وجهته الملائكة لها: ﴿**قالوا: أتعجبين من أمر الله؟! رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد**﴾[1]. لقد أنكر الملائكة تعجبها الواضح، طالبين منها أن لا تتعجب لأنه أمر الله الذي لا تعجزه الاساليب. ثم يردون على تساؤلها التعجبي بتساؤل يحوي تعجباً من تعجبها لإبطاله وتأكيد تحقق ما جاؤوا به من بشارة.

ومنه قوله تعالى على لسان الملائكة: ﴿**أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك؟!**﴾[2] انهم يتعجبون تعجب المستنكر الواقف على تناقض ما بين وقوع الجعل من الله: ﴿**اني جاعل في الارض خليفة**﴾[3]، وأن المجعول هذا سيفسد في الأرض ويسفك الدماء، فالسؤال ينصب على الصفة المنسوبة للمجعول، وهي الإفساد وسفك الدماء، لا على الجعل ولا على الخليفة في ذاته، لأن المسؤول عنه هو المعرف بمن الموصولة، وبالتالي فإن السؤال يتعدد حول مستتبعات جملة الصلة.

وتمتزج دلالة التعجب بالاستنكار والدهشة والاسترشاد المنبثقة من عدم المعرفة التي دفعت الملائكة إلى السؤال. وهذا الذي بينه رده -عز وجل- على تساؤلهم: ﴿**قال إني أعلم مالا تعلمون**﴾[4]، فالرد يقطع بأن هناك حكمة خافية تتضمن علماً لما لا يعلم السائل.

وقد تمتزج دلالة التعجب بالسخرية والتسخيف والتكذيب كقوله تعالى على لسان الكافرين المنكرين نبوة سيدنا محمد: ﴿ **هذا ساحر كذاب إجعل الآلهة الهاً واحداً؟! إن هذا لشيء عجاب!**﴾ [5].

وتأكدت هذه الدلالات بالتعقيب الذي أنهوا به سؤالهم: (إن هذا لشيء عجاب) أي بليغ في العجب، وهذا يؤميء بدرجة التعجب المكتنزة في السؤال، التي فاقت درجة التعجب القارة

---

[1] هود/٧٣.

[2] البقرة/٣٠.

[3] البقرة/٣٠.

[4] البقرة/٣٠.

[5] ص/٤-٥.

في سؤال زوج ابراهيم واختلفت في طبيعتها، فقد وسمت زوج إبراهيم انجابها للطفل وهي عجوز وزوجها شيخ كبير بأنه شيء عجيب ووسم كفار قريش جعل الإله الهاً واحداً بأنه شيء عجاب، فما الفرق بين العجيب والعجاب؟!

جاء في اللسان أن هنالك فرقاً بينهما؛ أما العجيب فالعجب يكون مثله، وأما العجاب فالذي تجاوز حد العجب، وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي: إن هذا لشيء عجاب (بالتشديد) وعجاب، بالتشديد، أكثر من عجاب[١].

ولا يخفى ان دلالة التعجب في سؤال زوج إبراهيم ترتبط بأمر مرغوب فيه، فإنجاب الغلام شيء قد تاقت اليه في شبابها، وبات أمنية مكبوتة تحت تراب الزمن كشفتها البشارة ودبت فيها الحياة. أما دلالة التعجب في سؤال كفار قريش فترتبط بأمر مستهجن ومستنكر ومرفوض، ولذا كان تساؤلهم اقرب إلى الاستنكار منه إلى التعجب، فهم يستنكرون استنكار المندهش المتعجب المعترض غير الموافق، أو يتعجبون تعجب المستنكر. وهذا يؤكد كون الإنحراف خاصية دائمة التجدد مع السؤال في مختلف سياقاته، فلا يمكن أن يكون التحليل الذي يقال في أحد الاسئلة الدالة على التعجب صالحاً لإن يقال في تحليل كل سؤال يحمل دلالة التعجب.

❖ طاقة السؤال وأسلوبيته في تجسيم دلالة التقرير:

من الدلالات التي اختارت السؤال قالباً مجسماً في الحوارات القرانية، فاكتسبت أبعاداً تختلف عن تلك المتحققة في الاسلوب التقريري الإخباري؛ لأن هذا الأخير تركيب جاهز، قد يمنح المتلقي شيئاً في بؤرة الخلق، ولكن دون أن يضعه هو بذاته في هذا الشيء أو في مواجهته كما يفعل السؤال.

جاء في اللسان أن القر: ترديد الكلام في أذن الابكم أو المخاطب حتى يفهمه، وأقررت الكلام لفلان إقراراً: بينته حتى عرفه، وقر بالكلام والحديث في أذنه: فرغه وصبّة فيها. والإقرار الإذعان للحق والاعتراف به، وأقر بالحق: اعترف به، وقد قرره عليه وقرره بالحق غيره حتى أقر[٢].

---

[١] ابن منظور، لسان العرب، مادة (عجب).

[٢] ابن منظور، اللسان، مادة (قرر).

وجاء في القاموس: الإقرار هو الاذعان للحق، وقر في المكان يقر (بفتح القاف وكسرها) قراراً: ثبت وسكن، وقرر الشيء: جعله في قراره[1].

فمن معانيه اللغوية التحقيق والثبوت، وطلب الإعتراف والإذعان. وقد تجسم هذان المعنيان في سبعين سؤالاً حوارياً تنازعتها عدة أطراف ومواطن، وجه الله ستة وأربعين سؤالاً منها إلى خلقه توزعت على النحو الآتي:

- اثنان وعشرون سؤالاً لقنها الله لرسوله محمد (ص) ليوجهها إلى الكفار.
- ثمانية عشر سؤالاً سيوجهها الله يوم القيامة؛ منها خمسة عشر سؤالاً خاطب بها المعذبين في نار جهنم، وثلاثة أسئلة قرر بها المخاطب الوسيط (عيسى، الملائكة، الرسل)، وقصد بها انكار فعل الذين حق عليهم القول(المخاطب المهمش).
- وستة أسئلة؛ منها ما وجه إلى الأنبياء، ومنها ما وجه إلى آدم وبنيه، ومنها ما وجه إلى الملائكة.

وغلبت قولبة التقرير بأسلوب السؤال المنفي الذي يستلزم من المخاطب الاعتراف بالثبوت، فقد ورد في واحد وثلاثين موضعاً، وهذا يعادل ما نسبته ٤٤,٣% من نسبة الاسئلة التقريرية، منها أحد عشر سؤالاً وجهها الله وخزنة جهنم للمعذبين يوم القيامة.

ولنا أن نتساءل: لم قرر الله (السائل العليم) مخاطبيه عامة والكافرين خاصة بالسؤال آمراً رسوله، صلى الله عليه وسلم، بذلك ؟! ألا يؤكد هذا كون السؤال أكثر التراكيب اللغوية استدعاءً للمثيرات عند المتلقي؟! وألا يومئ بالحالة الانفعالية التي يريد الله أن يلف مخاطبيه بها؛ فيسمو به من دور المتلقي السلبي الذي تغيب ذاته الفاعلة إزاء الرسالة الخطابية إلى متلق متفاعل حتى وإن لم ينبس بحرف؟!

تفتح الأسئلة التقريرية باب الحوار مع الآخر، فالسائل يسأل ليقوم المسؤول بالإجابة المؤكدة للحقيقة المتبلورة في السؤال، أو ليقف مستسلماً مبهوراً أمام ما يحمله عليه السؤال من اجابة لا يطلب منه سوى الإقرار بها، أو أمام ما يطرحه السائل من اجابة قد تعقب السؤال بعد أن أثير بإحتجابها عنه ولو للحظة خاطفة قد تتحدد بفترة سماع السؤال. فالسؤال يجابه المتلقي بالحقائق مستنطقاً إياه بإجابة حتمية داخلية كانت أم صريحة؛ لأنه يثير رد فعل تلقائي عنده في محاولة الاجابة محققاً أقصى درجات التواصل بين أطراف دائرة الحوار.

[1] الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة (قرر).

❖ تأملات في عدد من الأسئلة التقريرية:

يشكل السؤال التقريري الموجه إلى المعذبين في نار جهنم أداة تعذيب معنوي، يستنطقهم السائل (الله، خزنة جهنم، أصحاب الجنة) به تقريعاً أوتحسيراً أوتهكماً أوغيرها من الدلالات التي تصفع المخاطب وتطارده ملجمة إياه عن الكلام، أو تدفع به إلى الإجابة الموجزة المؤكدة المتمثلة بكلمة (بلى) التي تجسم حالة الاستسلام المطلقة المحيطة بالمعذب. وقد يقر المخاطب بما حواه السؤال من مضمون، فيثبت ما جاء فيه بأسلوب التقرير الخبري ممثلاً حالة من حالات البوح الوجداني الذي يمارس فيه المعذب ما يمكن أن يسمى بجلد الذات، ومن ذلك: قوله تعالى للذين كفروا يوم القيامة: **﴿أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوماً مجرمين، وإذا قيل : إن وعد الله حق والساعة لا ريب فها قلتم: ما ندري ما الساعة؟ إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين﴾**[١].

يجابه الله الذي كفروا بما وقع من أفعالهم وجدالهم مع انبيائهم بسؤال منفي يستوجب الاعتراف بالثبوت، فقوله: (أفلم تكن آياتي تتلى عليكم) يعني: (كانت آياتي تتلى عليكم)، وهذه الحقيقة المؤكدة التي لا يملك المخاطب إنكارها، تؤدي قولبتها في تركيب السؤال إلى ارتداد المخاطب إلى الزمن الذي وقع فيه الفعل وتجسيمه في الذاكرة. وقد أعاد الله كلامهم بصوتهم؛ ليقيم الحجة عليهم، ويزيد احساسهم بالخجل والندم والحسرة، فيلجم لسانهم الذي تفوه بهذا الجدال العقيم. وقد يقرر الله الذين كفروا بما يرونه من العذاب الذي طالما أنكروه في الدنيا مكذبين رسلهم مستهزئين بهم، فتقلب الأدوار ويضحي المستهزئون مستهزءاً بهم:

﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار: أليس هذا بالحق؟!

قالوا: بلى وربنا.

قال: فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾[٢].

لقد استنطقهم الله عز وجل بسؤال يفيض تقريعاً وتهكماً مقرراً إياهم بالنار المتأججة التي تنتظر التهامهم، وقد فتحت أبوابها لاستقبالهم؛ إنها الحقيقة الماثلة التي لا يشوبها شك، والتساؤل عنها كشف للمشاعر المتأججة في نفس المسؤول، واستنطاق له بالاجابة، لتكون حسرة عليه لوقوعها بعد فوات الأوان: (قالوا: بلى وربنا) إنه اقرار واستسلام يلفهما الفزع والترجي بل

---

[١] الجاثية/٣١-٣٢.

[٢] الاحقاف/٣٤.

التشبث بالسائل، لينقذهم من العذاب المحقق، ولذا اتبع حرف الجواب (بلى) بالقسم بالسائل عز وجل، وفي هذا أيضاً تأكيد لايمانهم بالله.

ولكن، جاء هذا الإقرار متأخراً ولهذا استحق الكفار العذاب (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) وهكذا جاء السؤال التقريري أداة كشف عن التحول الجذري في شخوص الكافرين من معاندين مكابرين منكرين في الدنيا إلى مستسلمين أذلاء يوم القيامة.

كما يوجه خزنة جهنم اسئلة تقريرية مماثلة، وكأني بهم يعيدون صفع المذبين بما تحويه هذه الاسئلة من دلالات التقريع والتهكم والتحسير التي سبق أن صفعهم الله بها:

﴿تكاد تميز من الغيظ كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها: ألم يأتكم نذير؟!

قالوا: بلى، قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا: ما نزل الله من شيء ﴾[1].

استنطق خزنة جهنم بسؤالهم المنفي، الذي يستلزم الاعتراف بالثبوت، المعذبين فأخذ هؤلاء بالإعتراف والإقرار وتأكيد ما أكده السائل، فلم يكتفوا بقولهم: (بلى)، وإنما قولبوا الحقيقة القارة في السؤال بأسلوب الخبر التقريري (قد جاءنا نذير فكذبنا) وأكدوا هذا التكذيب باعادة ما وقع من قولهم: (وقلنا: ما نزل الله من شيء) وقد يأتي السؤال التقريري بدل النفي في رد خزنة جهنم على طلب من طلبات المعذبين فيها، وهذا أبلغ في الرد، وأكثر اذلالاً للمخاطب:

﴿وقال الذين في النار لخزنة جهنم: ادعو ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب.

قالوا: أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات؟!

قالوا: بلى.

قالوا: فادعو وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾[2].

يمثل السؤال رفضاً غير مباشر لطلب الكافرين: (ادعو ربكم يخفف عنا..) يفوق في قطعيته عبارة بديلة كقولهم: (لن نفعل) مثلاً، لأن السؤال يؤزم الصراع الداخلي في نفس المخاطب، وقد يفتح، بدلالته الناقصة، آفاق توقعه، فتتأرجح مشاعره بين حافتي اليأس والأمل، وتحول دون قدرته على الجبل أو النقاش (قالوا: بلى) انها اجابة موجزة تفيض بالترقب مستنطقة السائل أن يكمل كلامه عله يومئ ببصيص أمل.

---

(١) الملك/٩.

(٢) غافر/٤٩-٥٠.

وتأتي الصدمة في تلك الواقفة الخاطفة بين الطلب (فادعو) وبين التعليق على هذا الطلب (وما دعاء الكافرين إلا في ضلال)، إنهم يصعدون بمشاعر الأمل إلى القمة حين يأمرون المعذبين بالدعاء، ولكنهم لا يلبثون أن يهووا بها إلى قاع سحيق حين يوضحون عاقبة هذا الدعاء.

كما وجه أصحاب الجنة سؤالاً تقريرياً إلى أهل النار يبرز التناقض بين حالتيهم، مظهراً سرور السائل وسخريته من المسؤول، رابطاً الحاضر بالماضي الذي أنتجه:

﴿ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار: أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟!

قالوا: نعم.

فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين﴾[١].

ولعل الفعل (نادى) يعلل، أيضاً، استخدم تركيب السؤال في تقرير أهل جهنم، فالنداء يوحي بوجود مسافة فاصلة بين المتحاورين أو حجاب **﴿وبينهما حجاب﴾**[٢] يحول دون الحوار وجهاً لوجه، ولذا يحرص المتكلم على ايصال رسالته للمخاطب بصوت واضح، وبتركيب قادر على استيعاب الانفعالات وتجسيمها. وهل أقدر من السؤال على ذلك؟!.

لقد جاءت بنية السؤال بطريقة تعمق دلالات الغبطة والشماتة، وتزيد في غم المخاطب وذلك بتقديم حال السائل وابرازها، وتأخير حال أهل النار، ويعكس هذا مشاعر السائل؛ فالمسرور بحالة يحب أن يظهرها للآخر، فكيف إذا كان الآخر خصمة اللدود الذي دأب على السخرية من كلامه وتكذيبه؟! لاشك أن المكذب سيجابه من كذبه بالحقيقة حين تثبت وتظهر بقوة وسطوع ليكيده ويفحمه.

وربما يؤكد حذف المفعول في قولهم (فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً) دلالات قريبة الصلة من الدلالات السابقة.

---

(١) الاعراف/٤٤.

(٢) الاعراف/٤٦.

قال الزمخشري: "فان قلت: هل قيل: ما وعدكم ربكم، كما قيل: ما وعدنا ربنـــا؟ قلـــت: حذف ذلك تخفيفاً لدلالة وعدنا عليه. لقائل أن يقول: أطلق ليتناول كلّ ما وعد الله من البعـــث والحساب والثواب والعقاب وسائر أحوال القيامة؛ لانهم كـــانوا مكذبيـــن بذلـــك أجمـــع، ولان الموعود كله مما ساءهم، وما نعيم أهل الجنة إلا عذاب لهم فأطلق لذلك"[١].

وقد يجسم هذا الحذف طبيعة العلاقة أو مقدار الصلة بين هؤلاء والله -عز وجل-؛ فـــهي قوية وطيدة بين المؤمنين والله في الدنيا تجعل الوعد يصل إليهم مباشـــرة؛ لتمســـكهم بتعاليمـــه وايمانهم برسله. بينما كانت العلاقة مبتورة بين الكافرين وبين الله لابتعادهم عن تعاليمه وكفرهـــم برسله، فكان وعد الله لهم بالحساب والعذاب يصل إلى المؤمنين تطميناً وتثبيتاً. والله اعلم.

ويقرر الله الكافرين في الدنيا بواسطة رسوله محمد صلى الله عليه وســـلم، ملقنـــاً إيـــاه السؤال والإجابة القاطعة التي سينطق بها الكافرون والمتمثلة بكلمى (بلى)، أو ســـيواجههم بـــها الرسول فيكون سائلاً ومجيباً في الوقت ذاته. وقد طرحت هذه الاسئلة وطرحت اجابتها بأســـاليب عدة منها: ما قد جاء فيه السؤال متبوعاً بإجابة على لسان السائل نفسه، آخذاً الشكل التجريـــدي الاتي: (قل: سؤال تقريري. قل: جواب)

كقوله تعالى لرسوله: ﴿**قل: من يرزقكم من السماوات والأرض؟!**[٢] **قل: الله. وأنا أو أياكم لعلى هدىً أو في ضلالٍ مبين**﴾

وقوله: ﴿**قل: من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدىً للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً وعلمتم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم؟!**

قل: الله.

ثم ذرهم في خوضهم يلعبون﴾[٣].

وقد تتوالى الأسئلة التقريرية وإجاباتها متخذة الشكل التجريدي الآتـــي: (قـــل: ســـؤال تقريري؟! قل: إجابة. سؤال انكاري؟! قل: سؤال تقريري؟! قل:إجابة. سؤال إنكاري؟!)

كقوله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم:

﴿**قل: هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده؟!**

---

[١] الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص١٠٠.

[٢] سبأ/٢٤.

[٣] الانعام/٩١.

قل: الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون؟!قل: هل من شركائكم مـن يـهدى إلى الحق؟!

قل: الله يهدي للحق، أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى؟! فما لكم كيف تحكمون؟!﴾[١].

إنها محاصرة المتلقي ومطاردته بحقائق مسلم بها لكونه يعلمها لكنه يخفيها تحت تـراب الكفر والعناد. وقد اختير السؤال في هذه المجابهة ليقف المخاطب وجهاً لوجه مصطدماً بالحقيقـة المخبأة، مستلسلماً مبهوراً أمام ما يحمله عليه السائل من إجابة، وأمام ما يطرحه من إجابة تعقـب السؤال، فيدخل المسؤول في مواجتين عنيفتين، يرجع إلى التناقض بيـن اليقيـن الكـامن فـي المسؤول وبين تصرفه المناقض لهذا اليقين.

تتجسم المواجهة الأولى في السؤال الذي ينقـل للمتلقـي دلالات ا لتحـدي والتعجـيز والتوبيخ؛ ليظل التفاعل بينه وبين الدلالات قائماً في جدل لا ينصب؛ يصده ويدخله في مواجهتـه مع نفسه، دافعاً به إلى التأمل في أمور غاب عنها تأمله مستخدماً فيه (من) التـي يطلـب بـها التصور.

ولكن السائل لا يلبث أن يقوم بتعيين المطلوب، فتقع المواجهة الثانية المتمثلة فـي تلـك الاجابة القاطعة الوحيدة التي لا يحتمل السؤال سواها (قل: الله).

وهذا اسلوب لافت في الخطاب، تبدو غرابته في كون المرسل سائلاً ومجيباً في الوقـت ذاته، فهو مدفوع إلى السؤال والجواب بثبات اليقين، بل ان جل حرارة الموقف تكمن فـي هـذا اليقين الذي تنطق به الاجابة.

ولعل أول ما يتبادر إلى الذهن في محاولة تحديد الغرض من السؤال هنا هو القول بـان غرضه التقرير، ولكن هذا القول يستدعي التساؤلات التي سبق أن طرحناها عن ايثار التقريـر بتركيب السؤال على التقرير الصريح، فلو استخدم المرسل الاسلوب الاخير (الله يرزقكـم مـن السماوات والأرض) أو (الله أنزل الكتاب..) أو (الله يبدأ الخلق ثم يعيده)، لانتفى عن الخطـاب الدلالات التي وضحناها، ولأبان هذا القرير عن استقرار من نوع مـا، ربمـا يكـون اسـتقرار الاصطدام بالحقيقة، ربما يكون استقرار الرضوخ لهذه الحقيقة، وربما يكون ذلك كله.

---

[١] يونس/(٣٤-٣٥).

أما تركيب السؤال ففيه تأجيج للصراع الذي يحول دون وصول المتلقي إلى برد الاستقرار أياً كان نوعه، لتبقى جذوة السؤال واجابته القاطعة متقدة في نفسه تثير فيه التأمل الدافع إلى اليقين.

كما أن في تقسيم الحقيقة إلى سؤال وجواب زيادة في التركيز والإبراز، بحيث يختص السؤال بالأفعال المعجزة الخارقة التي تفوق طاقة المخاطب وقدرته، ويختص الجواب بإبراز الفاعل الأوحد لها الذي تنسب اليه دون غيره، فيزيد التأمل في الفعل وفاعله.

وجاءت الإجابة مجسمة في كلمة واحدة (الله) أو في عبارة تعاد فيها العناصر الموجودة في السؤال تاكيداً وترسيخاً، وقد قدم الفاعل (الله) على فعله (يبدأ) لإبرازه ومجابهة المخاطب به.

وسبق أن بيّنا دور الأسئلة التقريرية في توليد السؤال الإنكاري أو التمهيد له، فبها يتأزم الصراع، ويستنطق المخاطب ويقرر فيقر مذعنا بإجابة داخلية أو إجابة متفوه بها (صريحة)، تقابل بسؤال ينكر التناقض بين الإعتقاد والممارسة الذي يكشفه السؤال التقريري.

وقد يأمر الله رسوله أن يحاصر خصومه بأسئلة تقريرية متوالية مخبراً اياه باجابتهم، طالباً منه أن يرد عليها بسؤال إنكاري:

﴿قل: من يرزقكم من السماء والأرض؟! أمن يملك السمع والابصار؟! ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي؟! ومن يدبر الأمر؟!

فسيقولون: الله.

فقل: أفلا تتقون؟!﴾[1].

لقد جسمت الأسئلة أداة الكشف التي أمر الله رسوله أن يوجهها للكافرين لينفض تراب كفرهم وعنادهم الذي ترسب على الحقيقة، وهنا يظهر التناقض، فالحقيقة تظهر على لسان المخاطب.

إنه حوار كامل يضعه الله بين يدي رسوله، شكلت الاسئلة التقريرية جل بنيته، وعرفت رد الخصم عليها قبل أن توجه اليه، ولقن السائل الوسيط الرد على تلك الإجابة بسؤال إنكاري جاء حصيلة ونتيجة منطقية للحوار السابق له الذي كشف التناقض بين يقين الكافرين وتصرفاتهم.

---

[1] يونس/٣١.

لقد أراد الله أن ينكر عدم تقوى الكافرين واصرارهم على السير قدماً في طريق الضلال، ولكنه لم يوجه هذا الانكار مباشرة، وانما خلق حواراً حياً يستنطق به الكافرين بأسئلة تقريرية ليقيم الحجة عليهم، ويلفتهم إلى الحقيقة الراسخة فيهم، متخذا من إجابتهم البرهان الذي يؤجج صوت السؤال الإنكاري التالي لها. كما جعل الله اجابتهم واقعة في جواب الشرط مؤكداً لرسوله أنهم لن يتفوهوا إلا بها أن توجه إليهم بالسؤال: ﴿**ولئن سألتهم: من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر، ليقولن: الله. فأنى يؤفكون؟!**﴾[١].

وقوله: ﴿**ولئن سألتهم: من نزّل من السماء ماءً فأحيا به الأرض بعد موتها؟! ليقولن: الله. قل: الحمد لله، بل أكثرهم لا يعقلون**﴾ [٢].

وهكذا أكد يقينهم بثلاثة أساليب:

- <u>الأول:</u> أمر الرسول بتوجيه سؤال أو أسئلة تقريرية والإجابة عليها، فيكون سائلاً ومجيباً في الوقت ذاته، ويكون صمت المخاطب إقراراً لا يعرف الجدل.
- <u>الثاني:</u> أمر الرسول بتوجيه سؤال أو أسئلة تقريرية واستنطاق المخاطب بالإجابة القاطعة التي لا يملك منها فراراً.
- <u>الثالث:</u> تاكيد صدور هذه الإجابة إن سألهم الرسول مقرراً إياهم.

هذه هي أهم مواطن توزع الاسئلة التقريرية في الحوار القرآني. أما بقية الأسئلة فقد تنازعها أطراف الحور في مواطن متنوعة، وألصقت بها عدة غايات،منها ما طلب من المسؤول إجابة واضحة ومحددة، ومنها ما أكد مضموناً معيناً دون أن يستنطقه بإجابة. نمثل على الأولى بقوله تعالى:

﴿**واذا أخذ الله ميثاق النبين: لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه. قال: أأقررتم وأخذتم على ذلك إصري؟**

قالوا: أقررنا.

قال: فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين، فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾[٣].

إنه السائل العليم بإجابة المسؤول، لكنه يستنطقه بها لتكون حجة عليه، وليترتب عليها توكيد وتحذير من الرجوع إذا علموا بشهادة الله وشاهدة بعضهم على بعض. إنهم يتلفظون بالكلمة الدالة على الاقرار الوارد في السؤال (أقررنا) وفيه تأكيد يفوق دلالة حرف الجواب (نعم).

---

[١] العنكبوت/٦١.

[٢] العنكبوت/٦٣.

[٣] آل عمران/٨١-٨٢.

ومثله قوله تعالى لبني آدم مشهداً إياهم على أنفسهم:

﴿ألست بربكم؟!

قالوا: بلى، شهدنا.

أن تقولوا يوم القيامة: إنا كنا عن هذا غافلين، أو تقولوا: إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم، أفتهلكنا بما فعل المبطلون؟! ﴾[1].

إنه يقررهم بأسلوب السؤال المنفي الذي يستلزم من المخاطب الاعتراف بالثبوت مستنطقاً إياهم بالإجابة. وجاءت اجابتهم موجزة يفسرها السؤال، يدل ايجازها على قمة التسليم والإذعان التي تحول دون النقاش والجدال: (بلى، شهدنا) ويعلل الله عقب اجابتهم سبب هذا الاستنطاق، المتمثلة في اقامة الحجة عليهم لئلا تصدر عنهم مبررات كفرهم ان كفروا بعد ذلك. وقد حكى الله بلسانهم ما يمكن أن يتحججوا به، وهذا أبلغ في التحذير، لأنه يضعهم في بؤرة المسؤلية.

وقد يقرر السائل مخاطبه طالباً منه اجابة ليسجلها عليه، كقول السحرة لفرعون: ﴿**أإن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين؟!**﴾[2]، فهم يريدون منه أن يؤكد لهم الأجر الذي ينتظرهم إن كانت لهم الغلبة على موسى، عليه السلام، وفي هذا السؤال دلالات عدة منها: طلب الأجر والجزاء على صنيعهم، واستنطاق فرعون بالموافقة على ذلك الطلب، ليقوم بتنفيذه حين يحققون الفوز، وقد ترك أمر تحديد ذلك الأجر ونوعه إليه بدلالة تنكير الكلمة (لأجراً).

كما نستشف من السؤال حرصهم على أن يؤكد لهم فرعون موافقته، فقد أكدوا طلبهم بأن واللام وتقديم شبه الجملة (لنا) على الأجر ليخصوا ذواتهم به، كما قدموا جملة جواب الشرط (أإن لنا لأجراً) على جملة الشرط (إن كنا نحن الغالبين) مظهرين تشوقهم لتأكيد الجزاء وتحقيقه، وكأن التغلب على موسى وقهره أمر مؤكد لا يؤرقهم.

وكان جواب فرعون المتعطش لقهر موسى، المستقل أي أجر يبذل لذلك: ﴿**نعم، وانكم إذاً لمن المقربين**﴾[3]، إنه يوافق على طلبهم، ويزيده تأكيداً بأن يعطف عليه القربى عنده والزلفى. وقد أكد رغبته في تحقيق الغلبة بقوله: (إذاً) أي سيتحقق ذلك وأكثر اذا غلبتموه، هذا هو الشرط والغاية التي يريد.

---

[1] الاعراف/١٧٢-١٧٣.

[2] الشعراء/٤١

[3] الشعراء/٤٢.

وقد تفيد قولبة التقرير في السؤال تنبيه المخاطب إلى المقرر لما فيه من توجيه الانتباه وتركيزه كقوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿**وما تلك بيمينك يا موسى؟**﴾[1]. لفت التساؤل عن العصا انتباه موسى اليها، فأضحت غاية بعد أن كانت وسيلة لا تحظى بالتأمل. لقد سأله الله ليريه عظم ما يخترعه في تلك الخشبة اليابسة من قلبها حية حقيقيّة تقهر فرعون وسحرته "ليقرر في نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب اليه، وينبهه على قدرته الباهرة"[2]، فبعد أن أقر موسى بماهية العصا ﴿**هي عصاي أتوكأ عليها، وأهش بها على غنمي، ولي فيها مآرب أخرى**﴾[3] أمره الله ان يلقيها ليحدث التغير الجذري: ﴿**قال: ألقها يا موسى. فألقاها فاذا هي حية تسعى**﴾[4].

كما يستنطق السائل مخاطبه لاختباره كقول سليمان، عليه السلام، لبلقيس: ﴿**أهكذا عرشك؟!**﴾[5] ففي سؤاله دعوة إلى التأمل وامعان النظر في العرش الموجود أمامها، وملاحظة أوجه الشبة بينه وبين عرشها، انه يؤجج الصراع في نفس بلقيس تأجيجاً ما كان ليحصل لو أخبرها بأنه عرشها وقد احضره إلى مجلسه رغم أنها غلقت عليه الأبواب، ونصبت عليه الحراس، أولو وجه اليها السؤال باسلوب اخر كان يقول: أهذا عرشك؟! لقد سألها: أهكذا عرشك؟) أي: أمثل هذا عرشك؟ موقعاً سؤاله على (هكذا) المكونة من : حرف التنبيه، وكاف التشبيه، واسم الاشارة، ولعل في تقديم هاء التنبيه على كاف التشبيه محاصرة لإنتباه المتلقي ومفاجأة له لما في صوت الهاء من مد يعمق الإحساس بالدهشة والمفاجأة، وهذا لا يتحقق في : (أكهذا).

ويوقع السؤال الملكة في حيرة وتساؤل عنيفين، فاستخدام كاف التشبه جازم بتغاير العرشين، حاكم بوقوع الشبه بينهما لا غير، فكأنه قال لها: أعرشك مثل عرشنا؟! أيتشابه عرشنا مع عرشك؟! كما رافقت المكر في السؤال مظاهر التنكير والتغيير على العرش، فقد أمر سليمان حراسه أن يغيروا من هيئة العرش وشكله لإثارة تأملها وتحديها ومعرفة مقدار علمها ورجاحة عقلها من إجابتها التي ستحاول بها الخروج من مأزق السؤال ﴿**قال: نكروا لها**

---

(1) طه/١٧.
(2) الزمخشري، الكشاف، ج٣، ص٥٥.
(3) طه/١٨.
(4) طه/١٩-٢٠.
(5) النمل/٤٢.

عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون ﴾[١]. وظهر ذكاء الملكة في جوابها: **﴿قالت: كأنه هو! ﴾** [٢].

قال الإمام الزمخشري عن جواب الملكة: "لم تقل هو هو. ولا ليس هو، وذلك من رجاحة عقلها وحيث لم تقع في المحتمل"[٣]. فلو اجابت (هكذا هو) مطابقة السؤال، لدلت إجابتها على وضوح التغاير بين العرشين ووقوع الشبه بينهما لا غير. لكنها لا تكاد تجد ذلك التغاير واضحاً، إنه عرشها، ومظاهر التنكير والتغيير عليه لم توقها في اللبس.

ولم تقل (هذا عرشي)، مع أنها كادت أن تصرخ: هو هو؛ لأنها لو أجابت بهذه الإجابة لكانت قد اتهمت رجال سليمان بأخذ العرش من قصرها، وهذا الاتهام سيوقعها في الخطر لانها أرض سليمان بعيدة عن وضحاها غريبة، كما لايتفق هذا الاتهام وأصول "الكياسة" الرسمية، فكيف تبدأ الملكة زيارتها باتهام رجال الملك بسرقة عرشها؟! ولم تقل (ليس هو)، وكيف تقول ذلك أمام الشبه الواضح بين هذا العرض وعرشها؟! لقد كان جوابها (كأنه هو) قمة في حسن التخلص الذي يومئ بحصافتها وفطنتها ولباقتها؛ فلا هي اعترفت أنه هو، ولا هي نفت أنه هو. لقد أبقت هذه الاجابة الباب مفتوحاً لكل الاحتمالات؛ أنها إجابة من قرب عنده الشبه حتى شكك نفسه في التغير بين الأمرين، فكاد يقول: هو هو، وتلك حال بلقيس.

وقد يطلب السائل الاجابة من مخاطبه لان فيها المخرج مما هو فيه، كقول المنافقين منادين أهل الجنة، وقد فصل بينهم حائط: **﴿ألم نكن معكم؟! ﴾**[٤]، إنهم يقررونهم بالسؤال طالبين اعترافهم وموافقتهم بأنهم كانوا معهم ومنهم في الدنيا، ليساقوا معهم إلى الجنة.

ولا تخفى دلالة الخوف والدهشة والاحساس بالضياع القارة في السؤال، إنهم يتشبثون بالإجابة التي تؤكد صحبتهم للمؤمنين تشبث الغريق بخشبة عائمة، وجاء سؤالهم بأسلوب النفي الذي يستلزم من المخاطب الاعتراف بالثبوت.

---

(١) النمل/٤١.

(٢) النمل/٤٢.

(٣) الزمخشري، الكشاف، ٣/٣٥٧.

(٤) الحديد/١٤.

وتأتي الاجابة المرتقبة لكنها تتقلب عليهم ﴿**قالوا: بلى، ولكنكم فتنتم أنفسكم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور. فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا، مأواكم النار، هي مولاكم وبئس المصير**﴾[١]. لقد اتبعت الإجابة باستدراك (ولكنكم) هذا يعلل سبب الفصل بينهم، ففيه أربع أفعال وقعت من المخاطب آلت إلى ما هو عليه (فتنتم انفسكم، وارتبتم، وغرتكم الاماني، وغركم بالله الغرور)، ثم اتصلت فاء السببية بظرف الزمان الدال على حاضر المخاطب (فاليوم)، أي إن أفعالكم المذكورة آلت إلى حاضركم الأليم.

وقد تقدم الظرف على الحدث لابرازه، لأنه وقت الكشف والحساب. كما أكد المكان الذي سيخلدون فيه بضمير الشأن (هي) العائد لى النار (مأواكم النار هي مولاكم) فالمعنى التوصيلي المباشر كان يمكن أن يتم دونه (ماواكم النار ومولاكم) أو (النار مأواكم ومولاكم) لكنهم أرادوا بهذا الضمير التأكيد؛ تاكيد استحقاقهم المكوث في النار ومحاصرتهم بالكلمة والضمير العائد اليها تعذيباً وشماته بهم. ولعل تقديم (مأواكم) على (النار) كان بقصد التجاور، تجاور الكلمة وضميرها لتكثيف الدلالة. أو لكون المأوى النهائي هو ما يؤرق المخاطب، فجاء تقديمه لتأجيج الصراع والترقب في نفس المنافقين ثم مواجهتهم بحقيقة هذا المأوى وتأكيده.

ومن الاسئلة التقريرية التي لا يطلب السائل فيها من مسؤوله التفوه بالإجابة، وإن كان صدورها محتملاً، السؤال التقريري الذي وجهه الله لآدم وحواء بعد أن أزلهما الشيطان فأكلا من الشجرة التي حرمها الله عليهما في الجنة: ﴿**وناداهما ربهما: ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما: إن الشيطان عدون مبين**﴾[٢].

أفاد السؤال تذكير بتأكيد ما وقع من تحذير بإسلوب النفي، فقوله تعالى: (ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما...؟!) إثبات لفعل النهي (نهيتكما) وفعل القول (قلت لكما). وقد امتزجت في السؤال دلالات التقريع واللوم والتخويف من إنتهاك المحذور، فالسؤال يوحي بنبرة الوعيد المنذر بأمر لا تحسن عقباه.

إنه تساؤل يضع المخاطبين في بؤرة المواجهة محاصراً إياهما بما حوته بنيته من تأكيدات تسلط المباشر عليهما، وذلك بتكرار (كما)، فالمعنى التوصيلي المباشر كان يمكن أن يكتفى فيه بقوله: (ألم أنهكما عن تلك الشجرة وأقل: إن الشيطان عدو مبين)، ولكنه -عز وجل-

---

(١) الحديد/١٤-١٥.

(٢) الاعراف/٢٢.

أراد تأكيده توجيه النهي إليهما، وتوجيه القول إليهما كذلك، وفيه حصر العداوة الشيطان لهما دون غيرهما وذلك بإعتراض (لكما) بين اسم ان (الشيطان) وخبرها (عدو مبين) لتخصيص هذه العداوة وتاكيدها، وحتى حين أشار إلى الشجرة استخدم الإثنين (تلكما).

ولعل في هذا رداً على من يدعي أن حواء هي التي أغوت آدم بالأكل من الشجرة، فالظاهر من بينه النص معاملة المخاطبين بمساواة تجمعها في بوتقة واحدة. وكانت نتيجة السؤال إقرار آدم وحواء بذنبهما تمهيداً لطلب المغفرة والرحمة من الله: **﴿قالا: ربنا ظلمنا أنفسنا وأن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾**[1]، ولعل إحساسهما بالخجل والندم الذي زاد في تأجيجه السؤال، جعلهما يتورعان من توجيه طلب مباشر من الله بصيغة الأمر، فقد قالا: (وإن لم تغفر لنا وترحمنا) ولم يقولا: (اغفر لنا وارحمنا) جاعلين من المغفرة والرحمة هبة يهبها الله لهما إن شاء. مبينين عاقبتهما إن لم يغفر الله لهما، وفي ذلك طلب خفي شديد الإلحاح، كشفه التوكيد في كلمة (لنكونن) بلام القسم ونون التوكيد، فتوكيد الخسارة يوحي بتوكيد الإعتذار والرجاء.

ومنها كذلك الاسئلة التقريرية التي يلاحق بها السائل ذاكرة مخاطبه ليستحضر خطاباً سبق أن وجهه إليه وذلك لغايات يكشفها السياق. وهذا يعني تمثل لحركة ارتداد إلى الخلف تدب الحياة في اوصال خطاب كان، واضعاً اياه في بؤرة حوار حاضر.

ففي السؤال السابق قرر الله آدم وحواء بما وقع من نهي وتحذير موبخاً إياهم مقيماً عليهما الحجة: **﴿ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما: إن الشيطان لكما عدو مبين﴾** إنه يواجه مخاطبيه بخطاب سبق أن وجهه إليهما، ويقولبه في السؤال المنفي الذي يصفع المسؤول بما يعنيه من اثبات، وهذا يؤجج مشاعر الندم والحسرة في نفس المسؤول الذي ارتد التساؤل بذاكرته إلى قوله تعالى: **﴿ويا آدم، اسكن انت وزوجك الجنة، فكلا من حيث شئتما، ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾**[2] وهذا ما نقل الله معناه بقوله: (ألم انهكما عن تلكما الشجرة). وقوله تعالى: **﴿يا آدم، إن هذا عدو لك ولزوجك، فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾**[3] الذي جاء في مقولة: **﴿إن الشيطان لكما عدو مبين﴾**.

---

[1] الاعراف/٢٢.

[2] الاعراف/١٩.

[3] طه/١١٧.

كما أعاد التساؤل التقريري الذي وجهه الخضر لموسى عليه السلام: **﴿ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا﴾**[١] قوله: **﴿إنك لن تستطيع معي صبراً﴾**[٢] حياً إلى ذاكرة موسى محملاً بالعتاب لنسية شرط اتباعه القائم على عدم طرح أية أسئلة. وينسانه موسى شرط الإتباع فيطرح تساؤلاً انكارياً ثانياً، فيرد عليه الخضر بالسؤال التقريري السابق ولكنه يزيد في بنيته شبه الجملة (لك) وفيها زيادة في توكيد مقولته واختصاص موسى بها: **﴿ألم اقل لك: إنك لن تستطيع معي صبراً﴾**[٣] لقد طرحت هذه المقولة مرتان لاقامة الحجة على المتلقي، وحثه على الصبر، ففي كل مرة تخور فيها قدرة موسى على الصبر فيصرخ منكراً، كان سؤال الخضر يعيد إلى ذاكرته توقعه اليقيني بتقهقر قدرته أمام ما سيشاهده من عجائب.

وتقرير الله الملائكة في تساؤله: **﴿ألم أقل لكم: أني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون﴾**[٤] تقرير من قال شيئاً ثم ثبتت صحته لمخاطبه. ومع أن الملائكة لا يطالبون الله بإثبات ما يقوله أو البرهنة على صحته، إلا أنه -عز وجل- يقنعهم بالحجة والدليل الموصلين إلى اقرار سليم لا تشوبه شائبة شك، فحين سأل الملائكة الله عن حكمه خلق الإنسان، الذي سيكون منه الفساد: **﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك؟!﴾**[٥] قال لهم: **﴿اني اعلم مالا تعلمون﴾**[٦]، وأثبت لهم مقولته السابقة حين علم آدم الأسماء كلها وأمره أن ينبئ الملائكة بأسمائهم فأنبأهم، وهنا أكد الله علمه الغيب للملائكة بتساؤل جاء بأسلوب النفي الذي يستلزم من الملائكة الإقرار بالثبوت.

وقد يقرر السائل مخاطبه بخطاب سبق أن طرحه عليه، لكن مخاطبه في وقتها تجاهله أو سخف من كلامه ولم يكترث به. ثم يتأكد فحوى خطابه، فترجح كفته أمام مخاطبه فيذكره بخطابه وقد تملكته مشاعر الغبطة وزهوة الظفر، ومثالة قول يعقوب، عليه السلام، لقومه حين جاءه البشر بقميص يوسف وألقاه عليه فارتد بصيراً قال: **﴿ألم اقل لكم: اني أعلم من الله**

---

[١] الكهف/٧٢.
[٢] الكهف/٦٧.
[٣] الكهف/٧٥.
[٤] البقرة/٣٣.
[٥] البقرة/٣٠
[٦] البقرة/٣٠.

مالا تعلمون﴾[1] إن يعقوب، عليه السلام، يرتد بقومه إلى ما سبق أن ذكره لـهم : **﴿قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله مالا تعلمون﴾**[2] وذلك فـي رده علـى قولـهم: **﴿تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضاً أو تكون من الهالكين﴾**[3].

ولا يخفى البون الشاسع في مشاعر يعقوب بين القولين، لقد حالت مشاعر الحزن والألـم إلى غبطة وزهو جسمتهما بنية السؤال خير تجسيم.

وقد يرد المسؤول على سؤال سائله بسؤال تقريري، ومن ذلك ما جرى فـي الحـوار الآتي بين يوسف وإخوته:

﴿قال: هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون؟!

قالوا: أإنك لانت يوسف؟!

قال: أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا، إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع إجر المحسنين﴾[4].

مثلت الأسئلة التقريرية التي تبادلها طرفا الحوار لحظة الكشف في قصة سيدنا يوسـف، فالسؤال الذي سأله يوسف لإخوته يحمل في طيّه خبراً يبين أن المتحدث إليهم إنما هو يوسـف، انه يكشف لهم عن هويته بتساؤل العليم العارف بخبايا مكيدتهم، اللائـم إيـاهم علـى عداوتـهم وتجنيهم. ولكنه لوم فيه لطف واشفاق، فكأنه يقول لاخوته لم فعلتم ما فعلتم؟! لـم ظلمتمونـي، وظلمتم أبانا، وظلمتم أنفسكم؟! فالسؤال يستنطقهم ليقروا بذنبهم فيتوبوا.

وقولبة الإخبار بفعلتهم الشنيعة في قالب السؤال يوحي بحلم يوسف وحرصه على عـدم كشف القبيح، وهذا ما يؤديه السؤال الذي يصل المتلقي بدلالة ناقصة يكلمها هو دون أن تخـرج كلها الىحيز الوجود، وهذا يعني حرص يوسف على كرامة اخوته في أرض غريبـة، وحبـه لهم، الذي يحول دون خدشهم أو توبيخهم توبيخاً صريحاً أمام الغرباء، يؤكد هذا تنكيره فعلتـهم باستخدام (ما) التي لا يعلم مدلولها سوى اخوته، كذلك تعليقه على فعلتهم بقوله (اذ انتم جـاهلون) يمثل اعتذاراً عنهم؛ لأن فعل القبيح على جهل بمقدار قبحه اسهل من فعله على علم، وهـم لـو ضربوا في طرق الإعتذار لم يلقوا عذراً كهذا.

---

[1] يوسف/٩٦.

[2] يوسف/٨٦.

[3] يوسف/٨٥.

[4] يوسف/(٨٩-٩٠).

لقد دفع سؤاله، عليه السلام، بذاكرة اخوته إلى احداث بدأت بتآمرهم على أخيهم وإلقائه في غيابات الجب، وانتهت بقولهم، مجاهرين بعداوته والتجني عليه: ﴿**ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل**﴾[١]. كما فسر السؤال لهم لغز طلب السائل في اللقاء الأول بهم : ﴿**ائتوني بأخ لكم من أبيكم، ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين**﴾[٢] وكيف غاب عنهم ان يدركوا أنه هو يوسف على الرغم من هذه الاشارة.

لقد عصف كل هذه الأحداث التي جرت في حق أزمان بذاكرة اخوة يوسف متركزة في لحظة خاطفة يمكن أن نحددها في بفترة سماعهم السؤال وبعد انتهائه. لقد خاضوا صراعاً عنيفاً مع السؤال بدأ من كلمة في بنيته هي (يوسف) التي هالتهم بما تثيره من مدلولات، فانعموا فكرهم في مغزى سؤاله، ودققوا نظرهم في ملامح وجهه، فانتقلوا من دور الإنكار؛ أي إنكارهم له وعدم معرفتهم به، إلى دور " الشك" أي شكّهم في أن الذي يكلمهم هو يا ترى يوسف أم لا؟ ثم إلى دور " اليقين" يقينهم بأن الذي يكلمهم هو يوسف. فأندفعوا إلى السؤال: ﴿**أإنك لأنت يوسف**﴾[٣] أي سؤال هذا؟! وكيف يمكن أن تحده مقولات البلاغيين أو تصينفاتهم؟!

لقد امتزج في ردهم السؤال والجواب في بوتقة تثير تفسيرات لا حصر لها أنها تجسيم لغوي ينبض بذهول الموقف ودهشته ومفاجاته. لعلهم توقفوا مضربين عن السؤال الذي استهلوا به عبارتهم، لان شكهم قد انتقل بسرعة إلى يقين تبلور في أكثر من توكيد (إن واللام وتكرار ضمير المخاطب)، وكأني بالسؤال صرخة انفعال تحاصر يوسف حامله من هول المفاجأة ما تحمل، مبرزة التأكيد الذي بعدها.

وأكد يوسف تأكيدهم بقوله: (أنا يوسف وهذا أخي..)، فإن قلت: قد سألوه عن نفسه فلم أجابهم عنها وعن أخيه؟ قلت: من باب تطمين أخيه وتفريحه، فهو يؤكد العلاقة التي تربطه بالمشار إليه، ولعله أراد أن يلتذ سمعه ولسانه برنين هذه اللفظة التي لم يتلفظ بها.

---

[١] يوسف/٧٧.
[٢] يوسف/٥٩.
[٣] يوسف/٩٠.

وتبرز تركيبة لافتة في بعض تكوينات السؤال التقريري، يأتي السؤال فيها متبوعاً بالإجابة القاطعة الصارمة التي ليست مجرد اقتراح أو إحتمال او اجابة مشكوك فيها ليقف السائل على الإجابة ويوقف المتلقي عليها مؤكداً إياها حاملاً المتلقي على الإقرار بها، فالسؤال يفتح باب التأمل المفضي لليقين. ومن ذلك: ما جاء في قوله تعالى على لسان رسوله في الحوار التلقيني الذي سيواجه به الكافرين: ﴿**فذلك الله ربكم الحق: فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون؟!**﴾[1] وقوله: ﴿**قل: هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين؟!**﴾[2] حيث يبرز دال القوة في إحكام الصياغة بالسؤال الذي لا جواب له سوى ما طرحه الله في التركيب القصري للسؤال، فدلالة التوكيد لا تنفصل هنا عن أداة السؤال التي تتبعها إداة الإستثناء (إلا) لتسيطر دلالة القصر على التركيب، فلا تدع أمام المتلقي سوى هذا الإختيار الوحيد، وهو في النص الأول لتأكيد حال المخاطب بأنه يقبع في ضلال يجانب الحق، وإبراز تلك الحال يفيد تحذير المخاطب من سوء واقعه وضرورة تغييره قبل فوات الأوان. ويفيد خصر التربص بإحدى الحسنيين مكايدة الكافرين بتأكيد حسن عاقبة المتكلم (المسلمين) في كل الأحوال، فأما النصر أو الشهادة.

ومنه أيضاً قول امرأة العزيز لزوجها وقد ألفته عند الباب وهي على تلك الحال المريبة: ﴿**ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم**﴾[3] لقد مثل السؤال ردة فعل دفاعية، تلاحق المتلقي وتلجمه، بسؤال وإجابة محددة ثنائية الدلالة؛ ففيها تهديد ليوسف وتخويف، وفيها إبراز غضبها لزوجها ومحاولة تبرئة ساحتها من أي اتهام او شبهة، ولهذا طالبت زوجها بايقاع عقوبة من عقوبتين اختارتهما هين مظهرة دور المعتدي عليه المتعطش لعقاب المعتدي.

والمتأمل طبيعة هاتين العقوبتين يدرك حب امراة العزيز ليوسف وحرصها على سلامته وبقائه حياً، فهي التي حددت العقوبة مقررة زوجها بذلك مستلة منه الاعتراف والتأكيد مخيرة إياه بين هاتين العقوبتين فقط، وكأنها تحاصره بهما.

---

[1] يونس/٣٢.

[2] التوبة/٥٢.

[3] يوسف/٢٥.

➢ ظواهر أسلوبية في بنية السؤال الحواري:

تآلفت العناصر اللغوية المكونة بنية السؤال الحواري تآلفاً يجسم الدلالات القارة فيه. وقد تعرضنا لفاعلية السؤال الناجمة عن طبيعة العلاقة بين عناصره اللغوية وعلة اختياره قالباً مناسباً لتجسيم دلالتي الانكار والتقرير، وكيف أثرت هاتان الدلالتان على بنية السؤال، فلكل دلالة بصماتها الواضحة التي تختلف باختلاف اطراف الحوار ومقاماتها.

ونشير هنا، وباختصار، إلى أهم الظواهر الأسلوبية في بنية السؤال الحواري، لأننا سنقف وقفات تأملية أمام عدد من الأسئلة في حديثنا عن أهم خصائص لغة الحوار القرآني التي شكل السؤال جزءاً كبيراً من مكوناتها.

ومنها ظاهرة الحذف التي تعني بتر عنصر من عناصر بينة السؤال اعتماداً على القرائن اللفظية والحالية المرافقة للحدث الكلامي، كقوله تعالى على لسان إبراهيم، عليه السلام،: ﴿**ومن ذريتي؟!**﴾[1] حيث حذف أداة السؤال وما تلاها من جمل تأدباً في خطابه مع الله والإكتفاء بالتنغيم الذي يبرز الطلب على استحياء، فكأنه قال: (ومن ذريتي، يارب، ألن تجعل للناس إماماً؟!).

وحذف الهمزة في قوله تعالى على لسان سحرة فرعون: ﴿**إن لنا لإجراً إن كنا نحن الغالبين**﴾[2] التي أثبتت في اية سورة الشعراء: ﴿**أإن لنا لأجراً**﴾[3] يعطي أبعاداً دلالية أخرى للعبادة؛ منها إثبات الأجر وعظمته لكونهم واثقين من غلبتهم لموسى، ومنها السؤال عن استحقاقهم الاجر والحصول عليه، وقد أغنى التنغيم عن أداة السؤال المحذوفة، وقرينة المقال الظاهرة في قول فرعون: ﴿**نعم، وانكم لمن المقربين**﴾[4].

ولعل حذف أداة السؤال في موضع وإبرازها في موضع آخر يصور لنا الجوانب التعبيرية التي تم بها الحدث أو أُلقي بها الكلام، ففي هذا التنوع تصوير لمواقف السحرة الذين صدر عنهم هذا القول؛ فمنهم من كان واثقاً من الغلبة همة الحصول على الإجر فقولب مقولته

---

(١) البقرة/١٢٤.

(٢) الاعراف/١١٣.

(٣) الشعراء/٤١.

(٤) الاعراف/١١٤.

بقالب الإخبار. ومنهم من حالت مهابة فرعون دون إلزامه بدفع الاجر، فقولب طلبه بقالب السؤال ليقرر فرعون باستحقاقهم الحصول على الأجر وتأكيده هو لهذا الأمر لا هم، فالسؤال يؤمئ بالتلطف في الطلب.

ولنا وقفة مع الجانب القرائي (القراءات القرانية) لعدد من الأسئلة الحوارية التي تغايرت بين الإخبار والسؤال، مبين كيف يمكن إن تتعدد رؤى توجيه هذا الجانب القراني تبعاً لتغاير النظرة إلى السياق أو المقام الواردة فيه، وبخاصة إذا ذهبنا إلى القول بإتجاه المخاطبين الذين صدر عنهم هذا القول، حيث تصور كل قراءة من القراءتين موقفاً لبعضهم، ومن ذلك قراءتي (أإنك) بهمزتين أو بهمزة واحدة على السؤال والإخبار[1] في قوله تعالى على لسان أخوة يوسف: ﴿**أإنك لأنت يوسف**﴾[2]، إذا وردت حكايته بالإخبار (إنك لأنت يوسف) ممن، عرفوه يقيناً قبل غيرهم، ووردت بالسؤال عمن تدرجوا في معرفته من مرحلة الشك إلى مرحلة اليقين (أإنك لأنت يوسف)، وفي هذا محاكاة لواقع المتكلمين، فأخوة يوسف ليسوا على درجة واحدة من الإدراك واستشفاف المقصود من الكلام، كما أن قدرتهم التأملية ليست واحدة.

وقد تحذف الجملة الفعلية التي تلي أداة السؤال لتناوب الكلام بين الطرفين الأمر الذي يجعل من ذكرها أمراً زائداً لا فائدة منه لكونه مدركاً عند المخاطب لا محالة، كقوله تعالى على لسان الملك الموكل بإغراق فرعون: ﴿**آالآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين** ﴾[3] أي (آلآن تؤمن).

ومن الظواهر الأسلوبية القارة في بنية السؤال الحواري ظاهرة التقديم والتاخير، وتعني التغيير في مواضع عناصر التركيب بحيث يقدم عنصر ويؤخر آخر وفقاً لطبيعة التجربة الشورية المحيطة بالمتحاورين، والمعنى المراد نقله، والإنفعال الذي يراد احداثه في نفس المخاطب، أي أنها تتضافر مع البعد النفعي الإنفعالي الذي يفيده السؤال في تجسيم الدلالات، ليبلغ التأثير والاقناع مبلغهما في نفس المخاطب.

ومن ذلك: تقديم الفاعل على الفعل في قول قوم شعيب له: ﴿**يا شعيب، أصلاتك تامرك ان نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في اموالنا ما نشاء؟! إنك لانت الحليم الرشيد**﴾[4] حيث قدم

---

[1] قرأها الجمهور بهمزتين على الاستفهام، وقرأها ابن كثير وأبو جعفر بهمزة واحدة، وقراها أُبي (أإنك أو أنت) ينظر: الزمخشري، الكاشف، ج٢، ص٥٠٢، وأبو حيان الاندلسي، تفسير البحر المحيط، ج٥، ص٣٤٢.

[2] يوسف/٩٠.

[3] يونس/٩١.

[4] هود/٨٧.

الفاعل (صلاتك) على الجملة الفعلية (تأمرك) لتسليط الإنكار والسخرية على ذلك المتقدم ومواجهة شعيب بهذه الدلالات وصفعه بها، لإن إنكار ما تدعو إليه صلاته والسخرية منه يعني توبيخه لتمسكه بها واستهجان هذا الأمر عليه؛ لأنه لا ينبغي له ولا يليق به، ولذا أنهوا سؤالهم الإنكاري بقولهم: (إنك لأنت الحليم الرشيد) أنهم يلاحقونه بصفاته الإيجابية التي تستلزم منه ترك صلاته، وذلك بالضمير المتصل، ولام التوكيد، والضمير المنفصل.

وقد يكون المفعول مثار اهتمام السائل فيقدمه على الفاعل كقول الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها: ﴿**أنى يحيي هذه الله بعد موتها؟!**﴾[1] فالصفة التي يتصف بها المفعول(خاوية على عروشها) جعلت المتكلم يتعجب من قدرة الفاعل على إحياء هذه القرية، واستعظام هذه القدرة.

وقد تكون علة حدوث الفعل مثار انكار المتكلم فيتقدم المفعول لإجلة في السؤال لمواجهة المخاطب به، لعل هذه المواجهة تدفعه إلى إنكار تصرفاته وتغيرها، كما في قول إبراهيم لقومه: ﴿**إإفكاً آلهةً دون الله تريدون؟!**﴾[2] لقد تملكت مشاعر الغضب والانكار إبراهيم، عليه السلام، بسبب اصرار قومه على الكفر، فقدم علة أفعالهم (إفكاً) والمفعول الذي يقع عليه فعل إرادتهم (آلهةً) لكونها سبب إنكاره وغضبه فيصدمهم بغاية يعاندها ويرفضها، ويدخلهم في مواجهة مع أنفسهم.

وبهذا يشكل التقديم تكنيكاً لغوياً يتضافر مع التكنيكات الاخرى القارة في السؤال لمحاصرة المتلقي وإقناعه.

وشكل توالي أدوات السؤال سمة أسلوبية بارزة في عدد من المواطن نذكر منها خطاب الرسل لأقوامه خاصة، حيث تتوالى الإسئلة في تكثيف يلاحق المتلقي ويحاصره، مولدة دلالات يكشفها السياق تتجه، في مجملها، نحو الغاية الإقناعية. ومن ذلك: توالي الكافرين الأسئلة في الحوار التلقيني الذي وجهه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم ليوجهه بدوره للكافرين المعاندين: ﴿**قل: من يرزقكم من السماء والأرض؟! أمنّ يملك السمع والأبصار؟! ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي؟! ومن يدبر الأمر؟! فسيقولون: الله. فقل: أفلا**

---

[1] البقرة/٢٥٩.

[2] الصافات/٨٦.

تتقون؟! ﴾[1] فالأسئلة توالت في تكثيف يحيل المتلقي إلى التفكر والتدبر والتأمل الذي يسلم بالضرورة إلى الاقرار والإذعان.

ومنها أيضاً توالي الاسئلة في خطاب إبراهيم الذي وجهه لقومه وقد حاجوه في الله فأنكر أقوالهم وأفعالهم وجسم إنكاره في هذه الأسئلة الإنكارية المتوالية التي تضعهم في وضع مقارنة. إذ وضع ضدين على الإنسان إن يختار بينهما في بنية الأسئلة الإنكارية التي تحول إلى تقرير يحمل المتلقي حملاً على اختيار طريق الهداية الذي يسير عليه المتكلم: ﴿**وحاجه قومه قال: أتحاجوني في الله وقد هداني ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا؟! وسع ربي كل شيء علماً أفلا تتذكرون؟! وكيف اخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله مالم ينزل به عليكم سلطاناً ؟! فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون؟!**﴾[2].

كما توالت الأسئلة الإنكارية على لسان الكافرين في عدد من المشاهد الحوارية مجسمة سخريتهم وتكذيبهم، منها: ﴿**وكانوا يقولون: أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أإنا لمبعوثون؟ او آباؤنا الأولون؟!**﴾ [3] فقد توالت اداة السؤال فاصلة بين أجراء الجملة، ولعل في هذا تجسيم حي لكيفية نطقهم، وقد لجوا في السخرية والضحك، فحال هذا دون قدرتهم على التلفظ بعبارتهم تلفظاً متواصلاً دون انقطاع، فكانوا يكررون أداة السؤال وكأنها همزة وصل تربط أجزاء الكلام.
وقد يكون لهذا التكرار دور في إبراز الجزء الذي يلي أداة السؤال بتنغيم السخرية والإنكار الذي يوحي به السؤال.

وتوالت الأسئلة أيضاً على لسان الملائكة في عدد من الحوارات التي دارت بينهم وبين المعذبين في نار جهنم، فبرزت كأنها رد مماثل على الكافرين بأسلوبهم الساخر ﴿**وقيل لهم: أين ما كنتم تعبدون من دون الله؟! هل ينصرونكم أو ينتصرون؟!**﴾[4].

---

[1] يونس/٣١.
[2] الانعام/(٨٠-٨١).
[3] الواقعة/(٤٧-٤٨).
[4] الشعراء/(٩٢-٩٣).

هذه هي أهم الإنحرافات الإسلوبية القارة في بنية السؤال الحواري في القرآن الكريم وقد تضافرت مع البعد الانفعالي الكامن في السؤال جاعلة منه طاقة فاعلة في إبداع الدلالات، ليبلغ التأثير والإقناع مبلغهما في نفس المخاطب. كما وتؤكد هذه الانحرافات الخارجية في بنية السؤال انحرافاً ذا عمق جوهري يتيمثل في التجدد الدائم لدلالات السؤال في سياقاته المختلفة.

• أسلوبية الجواب :

أثارت الأسئلة في عدد من المشاهد الحوارية ردة فعل كلامية عند الطرف المخاطب، وألجمت في مواضع أخرى لسانه فقبع صامتاً لا ينبس ببرد[1].

وجاءت الإجابات على لسان المخاطب في جل هذه المواطن، وخرجت عن الأصل في مواطن أخرى فذكرت بلسان السائل نفسه في الحوار التلقيني خاصة، حيث لقن الله رسوله صلى الله عليه وسلم السؤال ولقنه الإجابة أيضاً:

﴿قل: لمن ما في السماوات والأرض؟

قل: لله، كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون﴾[2].

وقد يلقنه السؤال ويلقنه إجابة المخاطب المحددة التي لا يملك منها فراراً، فيكون صلى الله عليه وسلم على علم مسبق بتلك الإجابة، وقد طلب منه أن يرد عليها بسؤال:

﴿قل: لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون؟

سيقولون: لله.

قل: افلا تذكرون؟!﴾ [3].

إنها اجابة واحدة تتكرر مع كل سؤال، تدل على استسلام المسؤول، ويقينه التام مبرزة التناقض العجيب بين الإقرار الكامن فيها والتصرف الفعلي للمجيب الذي يعاكس إجابته، ولذا أمر الله رسوله أن يرد على هذه الإجابة بسؤال إنكاري يبرز التناقض السابق، ليثير تأمل المجيب، ويحثه على التصالح مع إجابته.

---

[1] أتبعت الاسئلة بإجابات في مائة وخمسة وسبعين موضعاً من أصل أربعمائة وأربعة عشر موضعاً.

[2] الانعام/١٢.

[3] المؤمنون/(٨٤-٨٩).

وقد ينقل الله مضمون السؤال لرسوله (ص) دون أن يحاكي قول السائل، ويلقنه الإجابة الواضحة المحددة المبينة، لكونها أسئلة تشريعية تطلب إجابة لا لبس فيها:

﴿يسألونك عن الخمر والميسر. قل: فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما. ويسألونك ماذا ينفقون. قل: العفو ﴾[1].

وقد تمتزج الإجابة مع السؤال في بوتقة واحدة، ومن ذلك قوله تعالى على لسان رسوله (ص) في الحوار التلقيني الذي سيواجه به الكافرين: **﴿فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون؟! ﴾**[2] ، وقوله: **﴿قل: هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين؟! ﴾**[3].

وقد يتولى السائل مهمة الإجابة عن تساؤله ليؤكد ما فيه من إنكار مجرداً بهذه التركيبية خصمه من مجادلته مغلقاً في وجهه باب الحوار، فهو يطرح سؤالاً انكارياً محملاً إياه بدلالات الرفض والاستهجان، ويتبعه بإجابة يستهلها بأداة الإضراب (بل)، وكأني به يرفض أية إجابة محتملة، مركزاً يقينه القاطع على الإجابة الواقعة بعد (بل). ومن ذلك: قوله تعالى: **﴿قل: أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله او أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين؟! بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه -إن شاء- و تنسون ما تشركون ﴾**[4].

وقوله على لسان قوم صالح: **﴿أبشراً منا واحداً نتبعه؟! إنا إذاً لفي ضلال وسعر أألقي الذكر عليه من بيننا؟! بل هو كذاب أشر﴾**[5].

وقوله على لسان المستكبرين، الذين حق عليه القول، للمستضعفين في نار جهنم: **﴿أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم؟! بل كنتم مجرمين﴾**[6] فما كان من المستضعفين إلا أن نقضوا إجابة المستكبرين مؤكدين أنهم السبب في ضلالهم: **﴿بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له أنداداً﴾**[7].

---

[1] البقرة/٢١٩.

[2] يونس/٣٢.

[3] التوبة/٥٢.

[4] الانعام/(٤٠-٤١).

[5] القمر/(٢٤-٢٥).

[6] سبأ/٣٢.

[7] سبأ/٣٣.

لقد شكلت الاجابات السابقة تأكيداً لدلالات الاسئلة السابقة لـها، كما تممّت معناها، وتضافرت معها في تفريغ انفعالات المتكلم والوصول بها إلى نقطة استقرار لما في الإجابة من مواجهة مباشرة حاسمة.

وتراوحت أطوال الإجابة التي ولدها السؤال بين الكلمة والجملة، وذلك وفق الإثارة التي كونها السؤال في نفس المسؤول، أو الغاية التي يريد المجيب أن يوصل إليها سائله. تبلورت الاجابة في كلمة واحدة موجبة بالإقرار والإستسلام واليقين التام الذي لا يحتاج جدلاً أو توضيحاً في مواطن وطالت مستوعبة التوضيح والتفصيل في مواطن أخرى. وظهر هذا اللون الأول من الإجابة في سياقين؛ الأول: في الحوار التلقيني الذي أمر الله رسوله أن يوجه فيه مجموعة من الأسئلة التقريرية المتعلقة بصفات الله وقدراته المتفردة، التي لا يستطيعها أحد إلى الكافرين آمراً إياه بالإجابة عنها في مواطن، ومخبراً إياه بإجابة الكافرين ومثاله في قوله تعالى: وقد اقتصرت هذه الإجابة على كلمة واحدة هي (الله) أو (لله).

﴿قل: من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدىً للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً وعلّمتم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم؟ قل: الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون﴾[1] إنه أسلوب المواجهة الأمثل الذي اختاره الله ولقنه لرسوله، ففيه تقولبت الحقائق في سؤال وجواب يجذب كلاهما المتلقي لجزء من الحقيقة ويجابهه بها. ويتولى الرسول (ص) مهمة الإجابة عن تساؤله موقفاً المتلقي عليها واضعاً اياه في بؤرة الحقيقة التي تهرب منها وتجاهلها.

ولعل تكفله، صلى الله عليه وسلم، بالإجابة أمر من الله بمواجهتم بالحقيقة دون فتح باب الحوار معهم أو السماح لهم بالإجابة التي قد تفضي إلى جدل عقيم، ولذا أم الله رسوله أن يقول ما أمره به ثم يتركهم في خوضهم يلعبون.

وقد يطلب من الرسول أن يستنطق خصومه بالاجابة ليقيم عليهم الحجة ويبرز لهم التناقض الرهيب بين اجابتهم وأفعالهم:

﴿قل: من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم؟!

سيقولون: لله

قل: أفلا تتقون؟!﴾[2].

ولنا أن نتخيل تنغيم الكافرين وقد نطقوا بهذه الاجابة، لا شك أن الدهشة والاستسلام والخجل وغيرها من مشاعر الافحام التي خيمت عليهم خفقت اصواتهم وطأطأت رؤوسهم.

---

[1] الانعام/٩١.

[2] المؤمنون/(٨٦-٨٧).

وظهر هذا النمط من الاجابة على لسان المعذبين في نار جهنم موحية بالياس والافحام والاستسلام والألم وغيرها من المشاعر التي تلجم اللسان وتحول دون القدرة على اتمام الكلام أو الاطالة فيه، ومن ذلك اجابتهم الواردة في الحوار الاتي:

﴿ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار: أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فه وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟!

قالوا: نعم﴾[1].

أي نعم قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً. لقد استخدم المعذبون حرف الجواب (نعم) التي سدت مسد الجواب.

ومثلها اجابتهم بـ (بلى) رداً على السؤال الوارد في الحوار الآتي:

﴿قالوا: أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات؟!

قالوا: بلى.

قالوا: فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾[2].

لقد أغنت (بلى) عن جملة الجواب (أتتنا رسل ربنا بالبينات) وأفادت اثبات ما جاء منفياً في السؤال.

ويتجاوز المجيب في عدد من المشاهد حدود الكلمة الواحدة، فيذكر مع حروف الجواب السابقة الجملة التي كان يمكن أن تغني عنها كما جاء في الحوار الآتي:

﴿كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها: الم يأتكم نذير؟!

قالوا: بلى، قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزّل الله من شيء﴾[3].

أفاد ذكر جملة (قد جاءنا نذير) التي يصح حذفها لدلالة (بلى) عليها زيادة تأكيد وإعتراف وإذعان ليبنى عليها ما بعدها (فكذّبنا وقلنا)، فقد تلبسهم الاحساس بالندم والشعور بالخسارة فاخذوا يستذكرون الفرصة التي أتيحت لهم وكيف أضاعوها، وكأنهم بهذا يقرعون انفسهم ويجلدون ذواتهم.

---

(1) الاعراف/٤٤.

(2) غافر/٥٠.

(3) الملك/(٨-٩).

وقد يتلو حرف الجواب القسم، ومنه ما جاء في قوله تعالى:

﴿ ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال: اليس هذا بالحق؟! قالوا : بلى وربنا قال: فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴾[1].

انهم يريدون اظهارا يقينهم التام بحقيقة ما رأوه، لعل هذا ينقذهم من عذاب جهنم، ولكن يجعل الله من اجابتهم سبباً لوقوع العذاب عليهم، لانها جاءت بعد فوات الوقت. ولنلاحظ كيف ربطت الفاء بين اجابتهم وبين وقوع العذاب (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) ويرجعنا الحوار السابق إلى قوله تعالى :

﴿ويستنبؤونك : أحق هو؟!

قل: أي وربي انه لحق وما انتم بمعجزين ﴾[2].

وهذا يعلل سبب استنطاقهم بالإجابة، ويوضح الإنقلاب الجذري في موقف أولئك الكافرين. فقد كانوا يستخبرون رسول الله عن العذاب استخبار المستهزئ الساخر المنكر، ولذا أمر الله رسوله أن يؤكد لهم وقوع هذا العذاب ملقناً إياه الإجابة المفعمة بالتاكيد؛ فقد تلا حرف الجواب (إي) القسم (وربي) وأداة التوكيد (إن) ولام التوكيد.

وفي عدد من الاجابات ارتبطت حروف الجواب بجمل حالية تؤكد وقوع ما جاء في السؤال ببيان حالة السائل وقت الوقوع، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿وقالوا: إن هذا إلاّ سحر مبين أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أإنا لمبعوثون؟! أو آباؤنا الأولون؟ قل: نعم، وأنتم داخرون ﴾[3].

أي : نعم تبعثون وأنتم داخرون (خاضعون ذلاً وصغاراً) وكأنها مواجهة بالمثل، فالسخرية او التسخيف التي يعج بها السؤال قابلتها الاجابة بما حوته من حال تجسم انقلاب أوضاعهم يوم القيامة؛ فاستكبارهم وسخريتهم سيغدوان ذلاً وخضوعاً يجعلانهم عرضة للسخرية.

وقوله تعالى على لسان فرعون وقد سأله السحرة: **﴿أإن لنا لاجراً إن كنا نحن الغالبين؟ ﴾**[4] فقال لهم: **﴿نعم، وإنكم إذا لمن المقربين﴾**[5] أي : (نعم لكم أجر إن كنتم

---

[1] الانعام/٣٠.

[2] يونس/٥٣.

[3] الصفات/(١٦-١٨).

[4] الشعراء/٤١.

[5] الشعراء/٤٢.

الغالبين، وإنكم اذاً لمن المقربين)، وفي هذه الإضافة تشجيع للسحرة وتحفيز لهم، ففرعون يؤكد الاجر ويزيد عليه وصف حالهم عنده المتمثلة بنيل شرف الخطوة والتقريب من شخصه.

وقد تذكر في الجواب الجملة التي اشتمل عليها السؤال وقد كان يغني عن ذكرها حرف من حروف الجواب تمكيناً وتأكيداً، ومن ذلك ما جاء في الحوار الآتي:

﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبين: لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنُنّ به ولتنصُرّنه. قال: أأقررتم واخذتم على ذلك إصري؟

قالوا: أقررنا.

قال: فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾[1].

فقد ذكر النبيّون جملة (أقررنا) التي حواها السؤال، وقد كان يغني عن ذكرها حرف الجواب (نعم) تمكيناً لاقرارهم وتأكيداً، وهذا يناسب لغة المواثيق والعهود التي تمتاز بوضوح كل لفظة وصراحتها ليكون كل طرف مسؤولاً عما اتفق عليه، ولذا ربط الله شهادتهم بالإجابة التي تفوهوا بها مقيماً الحجة عليهم وذلك بفاء السببية(فاشهدوا).

ومنه أيضاً الإجابة التي قابل بها يوسف سؤال إخوته في الحوار الآتي:

﴿قالوا: أإنك لأنت يوسف؟ قال: أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾[2].

فيوسف، عليه السلام، لم يقل (نعم) ليناسب تصريحه لحظة الكشف، وليؤكد اليقين الكامن في سؤال اخوته، ويظهر شخصه الذي غيبوه من حياتهم بحقدهم وغيرتهم، شخصه الذي أخفاه تحت لقب العزيز؛ إنه بوح مظلوم انتصر يطوق إلى تكشيف الحقائق، حتى إنه تجاوز في إجابته حدود سؤالهم، فقد ذكر اخاه (وهذا اخي) مقروناً باسمه دون سؤال منهم.

ومنها إجابة قوم إبراهيم عن سؤاله في الحوار الآتي:

﴿واتل عليهم نبأ إبراهيم، إذ قال لأبيه وقومه: ما تعبدون؟

قالوا: نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين﴾[3].

لقد سألهم إبراهيم عن معبودهم فحسب، فكان القياس أن يقولوا: أصناماً، ولكنهم جاؤوا بقصة أمرهم كاملة، يدفعهم إلى هذا الأبتهاج والأفتخار بولائهم لأصنامهم، ورغبتهم في اظهار ذلك الولاء. وإجابة الحواريين عن سؤال عيسى، عليه السلام، في الحوار الاتي:

---

[1] آل عمران/٨١.

[2] يوسف/٩٠.

[3] الشعراء/(٦٩-٧١).

﴿فلما أحس عيسى منهم الكفر قال: مـن أنصاري إلى الله؟ قال الحواريـون: نحـن أنصار الله آمنا بـالله واشـهد بأنـا مسـلمون، ربنـا آمنـا بمـا أنزلـت واتبعنـا الرسـول فاكتبنـا مـع الشاهدين﴾[1].

فالحواريون لم يكتفوا بقولهم (نحن) أو (نحن أنصار الله) وإنما زادوا جوابـــهم تـــأكيداً وتفصيلاً بذكر إيمانهم وإشهادهم عيسى على ذلك تطميناً له. وتذكرنا إجابتـــهم بإجابـــة أبنـــاء يعقوب حيـــن ســـالهم: **﴿ما تعبدون من بعدي؟ قالوا: نعبد الهك وألـه آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون﴾**[2]

لقد عمم يعقوب، عليه السلام، سؤاله باستخدام (ما)، ولو قال (من تعبدون) لـــم يعمـــم، وكأنه يختبر اختيار ابنائه، فلو قال: (من تعبدون؟) لحدد اختيارهم وفرض عليهم ماهية المعبـــود. وكأن أبناءه أدركوا خوف والدهم عليهم الضلال من بعده.

كما أدركوا رغبته الشديدة في معرفة مقدار تمسكهم بشريعة الله التي جاهد هـــو وآبـــاؤه من قبل في نشرها وتطبيقها، ولهذا لم يكتفوا بقولهم: نعبـــد الله او نعبـــد الـــهك، وإنمـــا أخـــذوا يخصصون ويحصرون عبادتهم بالإله الواحد الأحد الذي دعا إلى عبادته يعقوب وآبـــاؤه الذيـــن ذكروا أسماءهم مبينين لذنبهم بهذا التسجيل المفصل معرفتـــهم لدينـــهم وتذكـــيرهم الدائـــم لـــهم وحرصهم على صيانة تلك الأمانة بالإضافة إلى التفصيل السابق نجـــد بنيـــة إجابتـــهم محملـــة بتأكيدات أخرى، فقد أكدوا إدراكهم لوحدانية الله وتخصيصه وحده بالعبادة بقولهم: (إلهاً واحـــداً) التي جاءت بدلاً من إله آبائك، وبتقديم شبه الجملة (له) التي ترجع الـــهاء فيـــها إلـــى الله عز وجل على خبر المبتدأ (مسلمون) هذا بالإضافة إلى أنهم ينصون نصاً صريحاً علـــى أنـــهم مســـلمون بجملة الحال المؤكدة المبينة:

(ونحن لهم مسلمون) أي مخلصون التوحيد ومذعنون. وهكذا فقد حملـــت بنيـــة الاجابـــة مـــن التأكيدات والفصيلات ما حملت لتطمين المتلقي، والبوح بالقضية التي تشغل باله وكانها دســـتور محفوظ بكل تفصيلاته.

---

[1] آل عمران/(٥٢-٥٣).

[2] البقرة/١٣٣.

وكما يكون الجواب صريحاً يكون متخفياً بجملة تتضمنهن ومثاله الجواب الذي قابل بـــه موسى، عليه السلام، سؤال قومه الإنكاري في الحوار الآتي:

﴿وإذ قال موسى لقومه: إن الله يامركم أن تذبحوا بقرةً.

قالوا: أتتخذنا هزوا؟!

قال: أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين﴾(١).

فقد تضمن مقولة موسى، عليه السلام، (أعوذ بالله أن أكون مـــن الجـــاهلين) الجـــواب الصريح هو (لا أهزأ بكم) مضفية عليه دلالات ما كنت لتمتزج به لو جاء صريحاً مباشراً. فقــد اوحت بحلم موسى، عليه السلام، وصبره على سفاهة قومه، وأسلوبه في ردّهم إلى جـــادة الأدب الواجب في جانب الخالق برفق، وعن طريق التعريض والتلميح. ولذا إستهل إجابته بالإســـتعاذه بالله من هذا الاتهام مبيناً لهم ان ما ظنّوه به لا يليق إلا بجاهل بقدر الله لا يعرف ذلــك الأدب ولا يتوخاه.

ومثاله أيضاً الجواب الذي قابل به فرعون سؤال حاشيته الإنكاري في الحـــوار الاتـــي:

﴿وقال الملأ من قوم فرعون: أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك؟! قال: سنقتل أبناءهم ونستحي نساءهم وانا فوقهم قاهرون﴾(٢) فقـــد تضمـــن رده جوابـــه الصريح وهو (لن أذر موسى وقومه) مبيناً الكيفية التي سيكون بها عدم تـــرك موســـى وقومـــه إبرازاً لقدرته على التنكيل بهم، وكأني بفرعون، وقد أجاب بما أجاب، قد انتقض لقدرتـــه التـــي شكك فيها السؤال الملأ بطرف خفي.

—

وقد يتخير المجيب جزءاً من السؤال ليعلق عليه أولاً ثم يتخـــير جـــزءاً آخـــر دون أن يكترث بترتيب السائل لتلك الأجزاء في سؤاله، ويعكس هذا أهمية ذلك الجزء بالنسبة للمجيـــب، فما قدم باللسان كان مقدما في الجنان، ومثاله رد موسى على سؤال فرعون في الحوار الآتي:

﴿قال: ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين؟ وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين؟! قال: فعلتها إذاً وانا من الضالين، ففرت منكم لما خفتكم، فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين. وتلك نعمة تمنها عليّ أن عبدت بني إسرائيل؟!﴾(٣)

---

(١) البقرة/٦٧.

(٢) الاعراف/١٢٧.

(٣) الشعراء/(١٨-٢٢).

لقد استهل موسى إجابته بالرد على الجزء الثاني من سؤال فرعون مقدماً ما أخره ومؤخراً ما قدمه، لأن حادثة قتله للقبطي كان لها الأثر الأكبر على مجرى حياته كلها، فقد هرب من فرعون وقومه خشية على حياته، فقسم الله له الخير، ووهب له الحكمة، وجعله من المرسلين.

كما عكس هذا التقديم حضور تلك الحادثة الدائم في ذاكرة موسى، واستشعاره قبحها وإحساسه بالذنب والألم على اقترافها. كما وجسّم الكرّ على فرعون بتلك الاجابة التحول الجذري الطارئ على شخص موسى بعد أن نزلت عليه الرسالة؛ إنه يبادر بالإقرار والإعتراف دون خول أو وجل؛ فالله معه يسمعه ويراه، وقد طمأنه بأنه محفوظ بحفظه [1].

وبدا التداخل واضحاً بين سؤال فرعون (وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين) واجابه موسى: (فعلتها إذا وأنا من الضالين..) فموسى، عليه السلام، يتخذ من سؤال فرعون ركيزة يستهل بها دعوته واصلاً كلامه بكلامه بـ (اذن) التي تفيد الجواب والجزاء، إنه يسلم لقوله مستبدلاً كلمة (الكافرين) بـ (الضالين)، مبرأ ساحته من هذه الصفة التي لا تليق بخصال الانبياء قبل الرسالة، علماً بأن كلمة (كافرين) في عبارة فرعون تعني الجحود بالنعمة ورفض عبادة آلهة فرعون،[2] ولكنها اكتسبت دلالة جديدة في قاموس نبي الله، عليه السلام، بعد أن أصبح رسولاً، ولهذا دفع تلك الصفة عن نفسه مبيناً أنه كان من الضالين أي الجاهلين السفهاء.

وقد يتبع السؤال جواب مصدر بكلمة (كذلك) التي تغني عن ذكر عناصر جملة السؤال:

﴿قال: رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً؟!

قال : كذلك أتتك آياتنا فنسيتها، وكذلك اليوم تنسى، وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى﴾[3].

فكلمة (كذلك) تعني مثل ذلك أي كنت مثل الحالة التي ذكرتها بسؤالك؛ كنت بصيراً ولكنك لم تنظر إلى آيات الله الواضحة بعين المعتبر، ولم تتبصر، فكذلك اليوم نتركك على عماك. وتغني (كذلك) الثالثة عن ذكر عقوبتيّ المعرض عن آيات الله؛ الأولى: المعيشة الضنك في الحياة، والثانية: حشرة يوم القيامة أعمى (ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى) [4].

---

[1] (قال: رب اني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون، وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردءاً يصدّقني إني أخاف أن يكذبون. قال: سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون اليكما بأياتنا، انتما ومن اتبعكما الغالبون)، (القصص/٣٣-٣٥).

[2] الزمخشري، الكشاف، ٣/٢٩٧.

[3] طه/(١٢٥-١٢٧).

[4] طه/١٢٤.

وهذا ما أدته كلمة (كذلك) في الحوارين الآتيين أيضاً:

الأول: حوار زكريا مع الرسل الذين بشروه بالغلام:

﴿قال: رب، أنّى يكون لي غلام، وكانت امرأتي عاقراً، وقد بلغت من الكبر عتيا؟!
قال: كذلك. قال ربك: هو عليّ هين، وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً﴾[١].
وفيه يشار بـ (كذلك) إلى قول زكريا دون السؤال؛ أي الأمر كما قلت؛ فالولد سيكون منك ومن زوجك وأنتما بتلك الحالة التي ذكرتها في: كلامك. ثم واصل كلامه* حاكياً ما قاله عز وجل.

والثاني: حوار مريم مع الرسول الذي تمثل لها بشراً سوياً وبشرها بأنها ستلد غلاماً:

﴿قالت: أنّى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغياً؟!
قال: كذلك. قال ربك: هو علي هين، ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً﴾[٢].
وفيه يشار بذلك إلى قول مريم دون السؤال: يكون لي غلام ولم يمسسني بشر.
وهكذا فقد ادت كلمة (كذلك) دور الرابط الإشاري الذي يدمج الإجابة في السؤال مجسماً الاحتكاك اللغوي المباشر في تلك الحوارات.

وقد يبتعد المسؤول بإجابته عن الإجابة التي يطلبها السائل أو يتوقعها، كقول إبراهيم، عليه السلام، وقد سأله قومه: **﴿أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم؟ قال: بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون﴾**[٣] فهو لم يجب بنعم ولا بلا، وإنما نسب الفعل الذي قام به إلى كبير الأصنام، ولهذه الاجابة دلالات وأبعاد؛ ففيها محاولة لإثناء السائلين عن أن يحلوا به عقاباً على تحطيمه لأصنامهم، فمع أن إبراهيم، عليه السلام، كان من الجرأة والشجاعة والثقة واليقين بحيث فعل ما فعل، إلا إنه لم يقر بالفعل إقراراً صريحاً، وهذا أمر طبيعي لا يحتاج إلى كبير تأويل وتبرير، فإبراهيم، عليه السلام، بشر يوحى اليه، ينتابه ما ينتاب البشر من مشاعر ينبغي أن تؤخذ بعين الإعتبار حين نتأمل كلامه ونفسر تصرفاته؛ لقد وقف فرداً أمام جمع غفير،

---

[١]: مريم/٩.
* يرجح الزمخشري في تفسيره لهذه الاية ان يكون الرسول الذ ناب عن الرسل في اجابة زكريا هو الروح: جبريل عليه السلام، وقد حكى في اجابته قوله تعالى: هو في هين ...) ينظر الزمخشري، الكشاف، ج٣، ص٩.
[٢]: مريم/(٢٠-٢١).
[٣]: الانبياء/٦٣.

يسأله ليمهله أو يتركه، وإنما ليحل به أقصى عقاب ممكن، اذا ما أقر بأنه فعل ذلك. ولو أجاب عليه السلام بلا لكانت اجابته مناقضة للحقيقة وهذا لا يليق باخلاق الأنبياء.

لقد أراد بإجابته أن يحقق غاية مزدوجة؛ الأولى: اثناؤهم عن عقابه، والثانية: دفعهم إلى التأمل والتدبر والتفكر؛ لإقامة الحجة عليهم وتبكيتهم مواجهاً إياهم بحقيقة غابت عنهم. ويجوز أن يكون حكاية لمّا يقود إلى تجويزه مذهبهم، كأنه قال لهم: ما تنكرون أن يفعله كبيرهم؛ فإن من حق من يعبد أن يقدر على هذا وأشد منه.

ومنه تجاهل موسى، عليه السلام، الدلالات التي حوتها أسئلة فرعون، وذلك بربط اجابته بالدلالة السطحية للأسئلة لا بالدلالة العميقة:

﴿قال: فمن ربكما يا موسى؟!

قال: ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

قال: فما بال القرون الأولى؟!

قال: علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى. الذي جعل لكم الارض مهداً وسلك لكم فيها سبلاً وأنزل من السماء ماءً فأخرجنا به أزواجاً من نباتٍ شتى، كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولي الألباب، منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى. ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى.

قال: أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى؟!﴾[1]

لم تكن الغاية من السؤال الأول الذي طرحه فرعون على موسى وهارن طلب المعرفة أو تحديد ماهية الإله الذي يعبدانه، وإنما كان تساؤلاً ينكر جرأة موسى وهارون وتصريحهما بعبادة اله غيره، وهذه جريمة في نظر فرعون؛ لأنه كان يدعي الألوهيّة ويرغم اتباعه على عبادته.

كما امتزج إنكاره بدلالة السخرية والتهكم من دعوة موسى وهارون والاستخفاف بها، ولكنه الخائف الغاضب الذي يغطي خوفه بغطاء التهكم و السخرية. وفي توجيه الخطاب لموسى: (فمن ربكما يا موسى؟!) تأكيد لدلالة السخرية التي يحويها السؤال، ففرعون ينحّي هارون موجهاً سؤاله بما يحويه من دلالات إلى موسى؛ لعلمه أن هارون أفصح لساناً من أخيه موسى، وأقدر على ضبط انفعالاته والتحكم بمشاعره. ولذا فقد كان يتوقع اجابة خائفة مهزوزة،

---

[1]:طه/(٤٩-٥٧).

حروفها غير واضحة المخارج، تثير سخرية الملأ المستمع وتهكمه، إنه يريد بسؤاله أن يستقوي على الطرف الأضعف.

ولعل فرعون أراد بتخصيص موسى بالسؤال دون أخيه ان يذكره بطبيعة العلاقة التي ربطتهما في الماضي، فقد ربى فرعون موسى وهو طفل رضيع في قصره، وهذا يضيف إلى الدلالات السابقة التي حواها السؤال دلالة الامتنان الممزوجة بالعتاب والتقريع.

ويجيب موسى عن هذا التساؤل إجابة تتجاهل دلالاته العميقة عاداً إياه مفتاح بداية تتكشف فيها الحقائق أمام الناس؛ ليعرفوا حقيقة ربهم وصفاته: (ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) إنها إجابة إنسان واثق مطمئن النفس هادئ الاعصاب، يقدم في كلامه ويؤخر بمنطق يدرك اهمية كل لفظة وأثرها على نفس المخاطب؛ فلقد قدم الفاعل (ربنا) على فعله (أعطى) ليخص المتقدم بهذا الفعل، وليصارح المخاطب، دون خوف، بعبادتها لهذا الاله باضافة لفظ (رب) إلى ضمير المتكلمين. ويقدم المفعول به الثاني (كل شيء) على المفعول الاول (خلقه) لتأكيد نسبة ما وقع عليه الفعل (أعطى) إلى الله وتجريد فرعون من هذا الشيء، فالله أعطى خلقه كل شيء، وفرعون من خلقه فهو معطى وليس معطياً. وعطف الفعل (هدى) على الفعل (أعطى) موحياً بالتراخي وذلك باستخدام حرف العطف (ثم) لبيان أن فعل الهداية يأتي بعد فعل العطاء المادي.

تثير هذه الإجابة ذعر فرعون، وتهدم صرح ألوهيته، وتحبط توقعه، فيأخذ بالحيلولة دون أن يتم موسى إجابته خوفاً من تأثيره في قلوب أتباعه الذين تاقت نفوسهم لمعرفة صفات هذا الإله، فطرح تساؤلاً يحول به مجرى الحديث إلى القرون الأولى: (فما بال القرون الأولى)؟!

ويدرك موسى سر هذا التساؤل، فيجيب عنه بحيادته تامة وباختصار: (علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى) ويأخذ باكمال اجابته الأولة المتعلقة بصفات الله ونعمة على البشر. ويختفي صوته بعد جملة (وأنزل من السماء ماءً) ويظهر صوت اخر ينسب الافعال إلى ضمير المتكلم: (فأخرجنا به أزواجاً من نبات ...)، ويدل هذا الالتفات على تدخل الرواي العليم في نقل الحوار الدائر بين الشخوص، فمرة يحكي ما قالته الشخوص بلسانها، ومرة يوقف الحوار متنقلاً إلى انشاء خطّاب يسند فيه الضمير إلى ذاته زيادة في تخصيص نسبة الافعال اليه، عز وجل، فهو الذي يختص بالقدرة على هذه الافعال التي لا تدخل تحت قدرة أحد.

وترتعد فرائص فرعون خوفاً مما جاء به موسى؛ لعلمه أنه على حق، وانـــه غالبـــه لا محالة، فيستخدم السؤال غطاء يستر به خوفه، فتظهر صرخة الخوف برداء الانكار والتوبيـــخ والوعيد: (أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى؟!) يقول الزمخشري معلقاً على قـــول فرعون: "وقوله: (بسحرك) تعلل وتحير وإلا فكيف يخفى عليه أن ساحراً لا يقدر أن يخرج ملكـاً مثله من أرضه ويغلبه على ملكه بالسحر".[١]

وقد تتوالى الإجابات مشكلة مجموعة واحدة وهذا ما حدث في الحوار الـــذي دار بيـــن موسى والخضر عليهما السلام، فالأسئلة الإنكارية التي وجهها موسى للخضـــر كـــانت تلاحـــق الأخير طالبة منه تفسيراً وتعليلاً لتصرفاته العجيبة، ولكنه تجاهلها لائماً موسى علـــى طرحـــها لمخالفة هذا الطرح لشرط الإتباع، وقد واجه كل سؤال إنكاري بسؤال تقريـــري كمـــا ســـبق أن وضحنا،[٢] ثم أخذ يجيب عن كل هذه الأسئلة مرة واحدة مستحضراً أســـئلة موســـى ومراعيـــاً ترتيبها،[٣] وقد مهد لإجاباته بقوله لموســـى : ﴿**سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبراً**﴾[٤] ولنا وقفة تأملية في أسلوبية تلك الإجابات:

لقد استهل إجاباته الثلاثة بحرف الشرط والإخبار والتوكيد (أمّـــا)، وروّس كـــل إجابـــة بالكلمة المحور التي وقع عليها فعله المنكر، ونسب ملكيتها لأشخاص معيّنين يمتازون بصفـــات معينة كانوا علة هذه الأفعال:

- (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر ... وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً).
- (وأما الغلام فكان ابواه مؤمنين ....).
- (وأما الجدار فكان لغلامين يتيمن في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً..).

كما وراعى في ترتيب المعاني داخل بنية الاجابة ما يعجل توصيل مبرر فعله وتوضيحه لموسى، ففي قـــول: ﴿**أما الجدار فكان لغلامين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً**﴾[٥] فقد قدم الاخبار بوجود كنز الغلامين لانها العلة الأولى في بيان سبب بنـــاء

---

[١] الزمخشري، الكشاف، (٦٨/٣).

[٢] ينظر ص ( ) من هذه الدارسة.

[٣] تنظر هذه الاجابات في الكهف /٧٩-٨٢.

[٤] الكهف/٧٨.

[٥] الكهف/٨٢.

الجدار، فالجدار لم يبن إلا لأن تحته كنزاً ينبغي الحفاظ عليه وحمايته من الآخرين، يأتي بعدها سبب حماية هذا الكنزين لهذين الغلامين وهو صلاح أبيهما (وكان أبوهما صالحاً).

وقد يجاب عن السؤال بسؤال، وهذا ما حدث في اربعة عشر موضعاً[١] سبعة منها جرت بين الأنبياء وأقوامهم، الأمر الذي يثبت فاعلية السؤال في تجسيم انفعال أطراف الحوار واستيعابه للصراعات الكامنة بينها، فالسؤال يؤلد في نفس المسؤول آفاقاً لا يستوعبه إلا السؤال. ومن ذلك:

-الحوار الذي جرى بين موسى وقومه في قوله تعالى على لسان الطرفين :

﴿قال موسى: أتقولون للحق لما جاءكم : أسحر هذا ولا يفلح الساحرون؟!

قالوا: أجئتنا لتلفتنا عمّا وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض؟! وما نحن لكما بمؤمنين﴾[٢].

-والحوار الذي جرى بين صالح وقومه في قوله تعالى:

﴿قالوا: يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا، أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا؟ وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب.

قال: يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمةً فمن ينصرني من الله إن عصيته؟! فما تزيدونني غير تخسير﴾[٣].

-والحوار الذي دار بين موسى والخضر في قوله تعالى:

﴿قال: أخرقتها لتغرق أهلها؟! لقد جئت شيئاً إمراً.

قال: ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً؟! ﴾[٤] ويصعق سيدنا موسى بتصرف منكر آخر قام به الخضر، فيصرخ به متسائلاً : **﴿أقتلت نفساً زكية بغير نفساً؟! لقد جئت شيئاً نكرا ﴾**[١] فيردد الخضر على سؤاله بسؤال ينكره **﴿ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً؟! ﴾**[٢].

---

[١] هي: البقرة/٢٤٦،٢٦٠، الاعراف/(٦٩-٧١)، يونس/(٧٧-٧٨)، هود/(٦٢-٦٣)، (٧٢-٧٣)، (٨٧-٨٨)، يوسف/(٨٩-٩٠)، الكهف/(٦٦-٦٨)، (٧١-٧٢)،(٧٤-٧٥)، النمل/(٦٧-٦٩)، العشراء-(١١١-١١٢)، ق/٣٠.

[٢] يونس/(٧٧-٧٨).

[٣] هود/(٦٢-٦٣).

[٤] الكهف/(٧١-٠٧٢).

والملاحظ إن الإجابات المتبلورة في تركيب السؤال تختلف في دلالتها وانفعالات أصحابها باختلاف درجة تأثرهم بسؤال السائل، فتساؤل موسى الإنكاري ولد تساؤلاً أكثر حدة وعنفاً على لسان أتباعه. أما تساؤل صالح فقد حاوله استيعاب الإنكار المتفجر من سؤال قومه والتخفيف من حدته. وقابل الخضر تساؤل موسى الإنكاري بتساؤل تقريري لا تتصاعد فيه الدلالة إلى درجة الإنكار.

(١) الكهف/٧٤.

(٢) الكهف/٧٥.

✦ الأمـــــــر

احتل الأمر مساحة واسعة في الحوارات القرآنية؛ فقد جاء في خمسمائة وأربعة وثلاثين موضعاً، أي ما يعادل ٣٤% من مكونات الحوار، وهذا يتماشى مع طبيعة سير الحدث الحواري، فكثيراً ما ينشأ حوار بين طرفين لتوجه أحدهما بطلب تنفيذ فعل ما إلى الآخر.

والأمر طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام[١]، ويقصد بالاستعلاء اختصاص الآمر بالعلو على المأمور. وهذا هو أصل المعنى الذي تنتجه بنية التركيب، ولكن كثيراً ما يكسر الوجود الفعلي للتركيب في النصوص قيد المعنى الأصلي منتجاً دلالات لا حصر لها[٢]، تتفاوت بتفاوت العلاقة بين طرفي الحوار، ولذا سيكون استحضار البعد التداولي الأساس المعول عليه في بيان دلالة التركيب. بيد أن ثمة ملحظاً آخر لاحد مظاهر الانحراف في أسلوبية الأمر حري بالتأمل يتمثل في التجاوز الدائب للتركيب في النصوص المختلفة، فليس كل أمر خرج عن دلالته الأصلية إلى دلالة الدعاء–مثلاً– سواء. وحتى حين تلتزم بنية التركيب بدلالتها الأصلية فلا بد من تمثل أبعاد الموقف الحواري؛ لاستشفاف الدلالات التي قد تمتزج مع المعنى الأصلي للبينة، فالأمر الذي يوجهه الله لاحد الرسل -مثلاً- ليؤدي مطلوباً ما قد يمتزج بالشفقة والإيناس، كقوله لنوح عليه السلام: ﴿ **اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك**﴾[٣] بينما يمتزج بالغضب والسخط حين يوجه الأمر ذاته إلى الشيطان ﴿ **قال: فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها، فاخرج إنك من الصاغرين** ﴾[٤].

بناء على ما سبق فإننا سنقف على تجاوزات التركيب في وجوده الفعلي في النص الحواري لقيد المعنى الأصلي، وذلك بطرح عدد من النصوص التي تفاوتت فيها دلالات بنية الامر:

ففي قوله، عز وجل، مخاطباً إبليس: ﴿ **واستفزز من استطعت منهم بصوتك، وأجلب عليهم بخيلك ورجلك، وشاركهم في الأموال والأولاد، وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً**﴾[٥]

---

[١] العلوي، الطراز،٣/٢٨١، ج٣، ص٢٨١.

[٢] تحدث البلاغيون عن خروج بنية الامر عن اصل المعنى. ينظر: أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، ص٢٢٩ وما بعدها. وسعد الدين التفتازاني، المطول على التلخيص، ص(٢٤٠-٢٤١). وبهاء الدين السبكي، عروس الأفراح، ضمن شروح التلخيص، ٢/٣٢٤، ج٢، ص٣٢٤.

[٣] هود/٤٨.

[٤] الأعراف/١٣.

[٥] الأسراء/٦٤.

تولد أفعال الأمر المتوالية دلالة التهديد الممزوجة بغضب المتكلم من المخاطب، وعدم رضائــه عن المأمور به، فقوله تعالى يرتد في العمق إلى : (استفزز من استطعت منهم بصوتك وسترى نتيجة استفزازك، واجلب عليهم بخيلك ورجلك وسترى عاقبة اجلابك، وشاركهم في الأموال والأولاد وسترى نتيجة مشاركتك، وعدهم وسترى نتيجة وعدك) وتشير إلى هذا العمق التقديري قرائن الأحوال المصاحبة، فقد أمر الله الملائكة أن يسجدوا فسجدوا إلا إبليس الذي قال: **﴿أأسجد لمن خلقت طينا؟!﴾**[1] انه يرفض منكراً وقوع فعل السجود الذي أمره به الله، ويقف متحدياً متوعداً **﴿قال: أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتنِ إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلاّ قليلاً﴾**[2] ويقابل هذا التحدي تحد أعنف، فقد أمره الله أن يفعل ما يريد وينتظر نتيجة أفعاله. وهذا يعني أن العلاقة الرابطة بين النتيجة والأمر علاقة (تضاد).

وفي قوله تعالى آمراً رسوله ﷺ أن يوجه مقولة القول التي يحوي أمراً إلى الكافرين المكذبين، خرج الأمر إلى دلالة التعجيز والتحدي:

﴿ أم يقولون افتراه. قل: فأتوا بعشر سور مثله مفتريات، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾[3] لقد ادّعى الكافرون أن الرسول افترى القرآن واختلقه من عند نفسه وليس من عند الله، فأمره الله أن يسايرهم واضعاً إياهم في بؤرة التحدي، وذلك بأن يقول لهم: هبوا أني اختلقته من عند نفسي وأن الأمر كما قلتم، فأتوا انتم أيضاً بكلام مثله، فأنتم عرب فصحاء لا تعجزون عن مثل ما أقدر عليه من الكلام، وادعوا من استطعتم ليعينكم في تنفيذ هذا الأمر. وهذا يعني أن قوله تعالى يرتد في العمق إلى: (فأتوا بعشر سور من مثل سور القرآن، وهو محال عليكم كما أنه محال علي) وما كانت تلك الإيحاءات لتتولد لو جاء رده، عليه السلام، مقتصراً على نفي التهمة عن نفسه بقوله: (لم أفتر القرآن)، لأن هذا الرد لا يعكس طبيعة الاحتكاك والصراع والتحدي المتأججة بين الفريقين كما يعكسها اختيار تركيب الأمر.

وهكذا فإن العلاقة التي تتيح (للأمر) إنتاج (التعجيز) هي التضاد ولكن مع مفارقة واضحة بين الأمر والتعجيز، وتتمثل في الأمر يتوجه إلى ما هو ممكن، وتوجه التعجيز إلى ما هو مستحيل.

---

(١): الإسراء/٦١.

(٢): الإسراء/٦٢.

(٣): هود/١٣.

وليس كل أمر خرج إلى دلالة التعجيز والتحدي سواء، فالتعجيز السابق وجه إلى خصم معاند لدعوة الرسول مكذّب ومُتّهِم لكلامه، ولذا جاء عنيفاً فيه إفحام للخصم ورغبة في إحباطه. ولكن دلالة التعجيز التي ولدها الأمر في قوله تعالى للملائكة: ﴿ **أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين** ﴾[1] امتزجت بدلالة مغايرة؛ لاختلاف المخاطب، فالملائكة عباد الله المطيعون الذين يفعلون ما يؤمرون، وما سؤالهم إلاّ دهشة ممزوجة بتعجب لا يخلو من استنكار، واستنكار لا يخلو من استرشاد، وذلك كله يرجع إلى عدم المعرفة لا إلى التحدي أو الرفض أو الرغبة في الجدل العقيم:

﴿**وإذ قال ربك للملائكة: إني جاعل في الأرض خليفة.**

قالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك؟!

قال: إني أعلم مالا تعلمون ﴾[2].

لقد كان بالإمكان أن يغلق الله باب الحوار مع الملائكة بتلك العبارة، ويحقق ما أراده أن يكون دون أن يعلل للملائكة سبب جعل الإنسان خليفة في الأرض، ولكنه، عز وجل، أراد أن يثبت للملائكة أحقية الإنسان في الخلافة وتميزه عن سائر مخلوقاته، وذلك باختبار يجريه على الملائكة وعلى آدم، يوجه فيه إليهما سؤالاً، ويأمرهما بالإجابة عنه، فيقف الملائكة عاجزين، ويجيب آدم فيتضح تميزه للملائكة، فيقرون راضين بخلافة بني آدم، لأنهم اقتنعوا بالتجربة والبرهان لا بالإكراه والإجبار:

﴿ **وعلّم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة، فقال:**

فقال: أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين.

قالوا: سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

قال: يا آدم أنبئهم بأسمائهم.

فلما أنبأهم بأسمائهم، قال: ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ﴾[3].

لقد أثبت الآمر العليم أن المأمور الأول (الملائكة) لن يستطيع تحقيق المأمور به، بينما يستطيع المأمور الثاني (آدم) تحقيقه. وهذا يعني أن الأمر الموجه للملائكة يحوي تعجيزاً لكونه يطلب

---

[1] البقرة/٣١.

[2] البقرة/٣٠.

[3] البقرة/(٣١-٣٣).

المحال، أما الأمر الموجه لآدم فالتزم بمعناه الأصلي وانتظر تحقيقاً للمحال الذي صار ممكناً بإرادة الله.

وقد يمتزج التعجيز الذي خرج إليه معنى الأمر بدلالة التكذيب والسخرية كقول قوم نوح له: ﴿ **يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا، فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين** ﴾[١] إنهم يستخفون بتحذيره، عليه السلام، مظهرين عدم المبالاة به، ولذا يطلبون منه تنفيذ وعيده، ليقينهم أن الفعل المأمور به لا يتحقق أصلاً. وهذا يعني أن كلامهم يرتد في العمق إلى: (فأتنا بما تعدنا إن كنت من صادقاً، ولكنك لن تستطيع لأنك كاذب فما تتوعدنا به أمر محال).
فما كان من نوح إلا أن أكد وقوع وعيده، ناسباً الفعل إلى من لا يعجزه شيء؛ إلى الله: ﴿**إنما يأتيكم به الله ، إن شاء، وما أنتم بمعجزين** ﴾[٢] إنه يوافقهم بكون اتيانه بالعذاب الأليم -الذي حذرهم منه - أمراً مستحيل الوقع إن كان هو الفاعل، لكنه أمر غير معجز لمن أمره إذا أراد شيئاً فانه يقول له كن فيكون. وأظهر، عليه السلام، تأدبه مع الله، فحين نسب الفعل إليه -عز وجل- أتبعه بالجملة المعترضة (إن شاء) التي تفيد الاحتراس، فتحقيق الوعيد أمر مرتبط بمشيئة الله، فإن شاء حقق مطلبهم الذي عدوه محال التنفيذ، وإن شاء أخر التنفيذ إلى الوقت الذي يريد.

ومن الدلالات التي خرج إليها الأمر (التسوية) حيث يطرح الآمر أمرين فيتوهم المتلقي أن أحدهما أرجح من الآخر، كقوله تعالى: ﴿**قل: أنفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبل منكم إنكم كنتم قوماً فاسقين**﴾[٣] الذي يرتد في العمق إلى: (أنفقوا طوعاً أو كرهاً فهما سواء في عدم التقبل).

ويولد الأمر (التمني) حين يوجه الآمر إلى المخاطب طلباً لا سبيل إلى تحقيقه، ومع هذا فهو يتوق إلى تحقيقه ليتخلص من واقع أليم يعايشه. ومثاله قول الذين ظلموا لما رأوا العذاب يوم القيامة: ﴿**ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل**﴾[٤]، إنهم يعلمون أن طلبهم لن يتحقق لأن الله قد حكم بين العباد، ولكنهم يحاولون جاهدين الخروج من نار جهنم قاطعين الوعود بأن يسيروا على طريق الهداية، ويمتزج التمني بالرجاء والإلحاح على المخاطب، لكنه، عز وجل، يرفض طلبهم متخذاً منه سبباً لتحسيرهم وزيادة تعذيبهم: ﴿**أو لم**

---

[١] : هود/٣٢.
[٢] : هود/٣٣.
[٣] : التوبة/٥٣.
[٤] : إبراهيم/٤٤.

تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال؟! وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال؟! ﴾(١)

ومنه أيضاً ما جاء في خطاب أصحاب النار لأصحاب الجنة:

﴿**ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن : أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله. قالوا: إن الله حرمهما على الكافرين**﴾(٢)

إن طلب أصحاب النار يناسب قدرة المأمور، فهم لم يطالبوا أهل الجنة بإخراجهم من جهنم، كما طلبوا من الله، ولكنهم تمنوا أن يفيضوا عليهم من ماء الجنة أو مما رزقهم الله من خيراتها.

ولعلكم لا تخالفونني الرأي في أن توقع تحقيق الأمنية في الحوار الثاني وصل إلى حد الممكن، لأنهم خاطبوا بشراً يمكن تحريك مشاعرهم أو تأجيج شفقتهم، بينما يحتضر توقعهم وهو يولد حيث يتوجهون بطلبهم إلى الله؛ ليقينهم بأنه -عز وجل- قال كلمته التي لا تتغير أو تتحور، ومع هذا فقد كرروا طلبهم في مشاهد حوارية كثيرة، مظهرين قمة الخشوع و التذلل والاستسلام. (٣)

وخرج الأمر في كثير من المواطن إلى (الدعاء) (٤) وفيه يوجه المتكلم الطلب على حال التضرع والخضوع حيث يكون المتلقي هو الأعلى مطلقاً، أو بالنسبة للمتكلم، واقتصر توجيه الدعاء في الحوارات القرآنية إلى الله -عز وجل- لأنه القوة المطلقة التي يتشبث بها فريق من أطراف الحوار، هو الفريق المؤمن بوجودها، والذي يستعين بها في مواجهة الفريق الآخر، أو في مواجهة هموم الحياة المختلفة.

وليس كل أمر خرج إلى دلالة الدعاء سواء؛ ففرق كبير بين دعاء سليمان عليه السلام: ﴿**رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والديّ، وأن أعمل صالحاً ترضاه، و أدخلني برحمتك في عبادك الصالحين**﴾(٥) وبين دعاء لوط عليه السلام : ﴿**رب انصرني على القوم المفسدين**﴾(٦) فسليمان توجه إلى ربه بدعائه وهو مسرور ومرتاح من أية صراعات؛ إنه محاط بالنعمة والراحة والسلام.

---

(١) ابراهيم/(٤٤-٤٥).

(٢) الأعراف/٥٠.

(٣) تنظر هذه المشاهد في: سورة المؤمنين/(١٠٦-١٠٩)، السجدة/(١٢-١٤)، فاطر/٣٧.

(٤) يطلق ابن فارس على الدعاء لقب (المسألة). ينظر: ابن فارس، الصاحبي، ص٢٩٧.

(٥) النمل/١٩.

(٦) العنكبوت/٣٠.

بينما توجه لوط إلى ربه بالدعاء حزيناً خائفاً من فحش قومه، ووقوفهم ضده وقفة رجل واحد مطالبينه بأن يخلي بينهم وبين ضيفه. إنه مشهد يتأجج صراعاً وعنفاً ومواجهة وتوتراً.

وفرق كبير بين دعاء الكافرين في الدنيا: ﴿**ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب**﴾(١) ودعائهم يوم القيامة: ﴿**ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين. ربنا أخرجنا منها فان عدنا فإنا ظالمون**﴾(٢) لقد كانوا في دعائهم الأول ساخرين يدعون على سبيل الهزء مظهرين لا مبالاتهم وإستهتارهم بالقوة المطلقة التي كان الرسول وأصحابه يتوجهون إليها طالبين المدد والرحمة والقوة.

ولكن هذه النبرة التهكمية الساخرة تتحول إلى نبرة بكاء وندب وحسرة ورجاء يوم القيامة.

وقد يوجه أحد أطراف الحوار أمراً إلى طرف آخر يعلو عليه في المكانة*، فيغطي وعيه لهذا الفارق نبرة الاستعلاء الملازمة لبنية الأمر، ويغلفها بالتواضع أو التذلل أو الرجاء أو غيرها من المشاعر التي تجسم استشعار الآمر بعلو مكانة المأمور عليهن ومن ذلك: الأمر الذي وجهه أبناء يعقوب لأخيهم يوسف وقد ظنوه العزيز: ﴿**قالوا: يا أيها العزيز مسّنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين**﴾(٣) انهم يظهرون حاجتهم وضعفهم مظللين طلبهم بالبؤس والحرمان اللذين يدفعان إلى الإلحاح، وتؤكد هذه الدلالات العبارة التي ختموا بها طلبهم (إن الله يجزي المتصدقين) فهي تحوي ترغيباً بتحقيق مطالبهم.

والأمر الذي وجهه الفتى الذي نجا من السجن، وكان بصحبة يوسف، إلى يوسف: ﴿**يوسف، أيها الصديق، أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون**﴾(٤) لقد مكث هذا الرجل مع يوسف في السجن مدة طويلة ذاق فيها أحواله، وتعرف صدقه وحكمته وعلمه وإدراكه لبواطن الأشياء في تأويله رؤياه ورؤيا صاحبه.

---

(١) ص/١٦.

(٢) المؤمنون/(١٠٦-١٠٧).

* ونقصد بالمكانة، ما يتفاوت به البشر من مال وعلم وسن ومركز وحكمة... الخ.

(٣) يوسف/٨٨.

(٤) يوسف/٤٦.

إنه يدرك تمام الإدراك تميز يوسف وعلو مكانته بصفاته على غيره، ولهذا كلمه بكـــلام المحترز؛ فالأمر الذي وجهه إليه (أفتنا) يمتزج بالرجاء والتذلل، يؤكد هذا قرائـــن الحـــال التـــي ذكرناها، وقرائن السياق اللفظية المتمثلة باستهلال خطابه بالنداء (يوسف) الذي اتبع بنداء آخـــر يحوي وصفاً للمنادى (أيها الصديق) أي أيها البليغ في الصدق وبعد أن صـــرح بطلبـــه ختـم خطابه بما يوحي بالحاجة الملحة التي تستدعي تنفيذ طلبه (لعلي ارجع إلى الناس لعلهم يعلمـون) انه يتوق إلى العودة ومعه تأويل الرؤيا التي أرقت الناس وعجز الملأ عن تفسيرها.

ربما كان قوله (لعلهم يعلمون) بدل اشتمال من قوله (لعلي أرجع إلى الناس)، وقد تكـــون جملـــة مستقلة تفيد معنى إضافياً فسره الزمخشري بوقوع الفعل (يعلمون) علـــى مفعـــول بـــه تقديـــره: (يعلمون) فضلك ومكانك في العلم، فيطلبوك ويخلصوك من محنتك[1].

كما توحي عبارته بما فيها من تكرار كلمة (لعل) التي تفيد الترجي برغبته الخاصة فـــي معرفة تأويل الرؤيا، فهو يرغب في نيل الحظوة عند الملك بهذا التأويل الذي عجز الناس عنـــه، وكأني به يحرص على أن يسمع الملك التأويل من فمه هو لا من فم يوسف، يؤكـــد هـــذا عـــدم تصريحه بهوية الحالم، فهو لم يقل (لعلي أرجع إلى الملك) ، وإنما قـــال: (لعلـــي ارجـــع إلـــى الناس)، كأنه يخشى من يوسف لو علم ان الحلم هو حلم الملك ان لا يؤوله إلا بعد خروجه مـــن السجن، ووقوفه أمام الملك مشترطاً ذلك.

وقد نعزو هذا التذلل في الطلب والرجاء أيضاً إلى إحساس الفتى بالذنب والحرج اتجـــاه يوسف، لأنه نسي طلبه بان يذكره عند الملك ليخرجه من السجن إلا بعد مدة طويلة[2]، فظـــن أن يوسف غاضب عليه، وقد يحول هذا الغضب دون تنفيذ طلبه.

وقول ابنة شعيب لأبيها: ﴿**يا أبتِ، استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين**﴾[3]

إنها ترغب في أن ينفذ أبوها طلبها؛ بأن يستأجر موسى، عليه السلام، ولهذا اتبعت طلبها ببيـــان صفاته التي تبرر طلبها وتغري والدها بالتنفيذ. وقد أطل طلبها باستحياء وحشـــمة، فـــهي فتـــاة عذراء حيية، سبق أن وصفها الله، عز وجل، بأنها ﴿**تمشي على استحياء**﴾[4] وطلبها يتعلـــق ببقاء رجل غريب، وهذا أمر تتخرج منه أمثالها، خاصة إذا كان المطلوب منه والدها، ولذا فإننـــا

---

[1]: الزمخشري، الكشاف، ٢/(٤٥٧-٤٥٨).

[2]: ينظر الحوار الموضح لما ذكرناه في سورة يوسف الاية (٤٢).

[3]: القصص/٢٦.

[4]: القصص/٢٥.

نؤكد صدور هذا الطلب بتحفظ يخفي من مشاعر الفتاة أكثر مما يبديه، وبحيادية الحكمة (إن خير من استأجرت القوي الأمين) التي تغلف إلحاح المتكلم ورغبته في أن ينفذ المخاطب طلبه.

وقد يوجه الطرف الأقل مكانة أمراً إلى الطرف الأعلى تغيب فيه دلالات الخضوع والتذلل والتواضع وغيرها من الدلالات الموجبة باستشعار الطرف الآمر لمكانة المأمور، وذلك لسمات في الشخصية يكشفها السياق. ومن ذلك:

الأمر الذي وجهه بنو إسرائيل لموسى في قولهم: ﴿**يا موسى، إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون**﴾ [1] لقد خاطبوا نبيهم بوقاحة العاجز، لأنه أمرهم بدخول ارض الميعاد وقتال الجبارين فيها، فتجرؤا عليهن وتوقحوا على دعوته التي تكلفهم مالا يريدون، وأمروه بكل وقاحة وتنصل أن يقاتل.هو والله ويذرهم وشأنهم. ويؤكد هذا التنصل عدمُ اكتفائهم بالضمير المستتر العائد إلى موسى -عليه السلام- في الفعل (اذهب) فقد أضافوا إلى بنية خطابهم اللغوية الضمير المنفصل (أنت)، ونسبوا كلمة (الرب) إلى كاف المخاطب التي تعود إلى موسى لا إلى (نا) المتكلمين، ليؤكدوا تنصلهم من الله وعقيدته إذا كان انضمامهم تحت هذا اللواء سيكلفهم القتال والمواجهة.

وهكذا فقد كشف السياق وما فيه من قرائن لفظية وحالية الدلالات المكتنزة في فعل الأمر (اذهب) التي لا تتناسب أبداً ومكانة المخاطب الذي وجهت إليه عاكسة أخلاق المتكلم السلبية التي دفعته دفعاً إلى ذلك؛ لما في مراعاة مكانة المخاطب من التزامات وواجبات لا تروق للمتكلم.

وفي المقابل قد يعكس عدم اكتراث المتكلم بمكانة المخاطب التحول الإيجابي الذي طرأ عليه، ومثاله ما جاء في مقولة سحرة فرعون بعد إيمانهم بدعوة موسى لفرعون وقد هددهم بالقتل:

﴿**قالوا: لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاضٍ، إنما تقضي هذه الحياة الدنيا. إنا آمنا بربنا، ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى**﴾ [2] إنهم يتحولون في لحظة من الكفر إلى الإيمان ويرافق هذا التحول تحول في دلالات ألفاظهم التي أرسلوها صاعقةً تحرق مكانة فرعون وتهد صرحه، فتتلاشى دلالات التعظيم والتوقير والإجلال والتقديس التي حالت في خطاب من خطاباتهم معه دون الجرأة على مطالبته بالأجر على سحرهم، فأخفوا هذا الطلب في ثوب السؤال: ﴿**فلما جاء السحرة قالوا**

---

(١) المائدة/٢٤.

(٢) طه/٧٢.

لفرعون: **أإن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين؟**﴾[١]، وتحل محلها دلالات التحقير والإهانة والاستخفاف التي امتزجت بفعل الأمر (فاقض) مجسمة الإيمان الذي سكن قلوب السحرة الذي كانوا منذ لحظة يقدسون مكانة فرعون، ويعدون القربى منه مغنما يتسابق إليه المتسابقون، فإذا هم بعد لحظة، قوة تواجهه، تهزأ بمكانته، وترخص ملكه وجاهه وسلطانه.

ومن الدلالات التي خرج إليها فعل الأمر في الحوارات القرآنية أيضاً دلالة النصح أو الإرشاد والتوجيه، وللأمر فيها معرفة أو علم وحكمة غير موجودة عند المخاطب، ومن ذلك:

دلالة أفعال الأمر التي وجهها لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه قال: ﴿**يا بني أقم الصلاة، وأمر بالمعروف، وانه عن المنكر، واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور**﴾[٢] انه الوالد الحكيم الذي يحرص على مصلحة ابنه وسعادتهن فيوجه إليه أفعال أمر متوالية خرجت عن دلالتها الأصلية إلى دلالات الحث على فعلها دون اجبار، و تحبيب هذا الفعل إلى نفس المخاطب؛ لينفذه برغبة وحرص واعياً نتيجة التنفيذ.

دلالة أفعال الأمر في معظم خطابات الرسل والصالحين لأقوامهم، حيث يقومون بتبليغهم أوامر الله وتعاليمه، بالقول اللين الذي يبتعد عن الاستعلاء أو الإكراه ممتزجاً بحرص المتكلم على مصلحة المخاطب وهدايته، ومثالها دلالة أفعال الأمر الواردة في خطاب شعيب عليه السلام لقومه: ﴿**يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره، قد جاءتكم بينة من ربكم، فأوفوا الكيل والميزان، ولا تبخسوا الناس أشياءهم**﴾[٣].

وتلك الواردة في قول هود لقومه: ﴿**ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً، ويزدكم قوة إلى قوتكم، ولا تتولوا مجرمين**﴾[٤].

وكثيراً ما ارتبطت دلالة النصح والإرشاد التي خرج معنى الأمر إليها بالتحذير، لتخويف المتلقي من عواقب عدم تنفيذ الأمر، كقول الرجل، الذي جاء من أقصى المدينة يسعى، لسيدنا موسى: ﴿**يا موسى، إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك، فاخرج إني لك من الناصحين**﴾[٥] حيث امتزجت دلالة النصح التي يحويها فعل الأمر (فاخرج) بالتحذير والإلحاح

---

(١) الشعراء/٤١.

(٢) لقمان/١٧.

(٣) الأعراف/٨٥.

(٤) هود/٥٢.

(٥) القصص/٢٠.

على التنفيذ، والتخويف من البقاء. وانحصر الفعل بين جملتين تؤكدان تلك الدلالات، ففي قولــه: (إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك) إفشاء لمكيدة دبرت في الخفاء، يستدعي العلم بها من المخـــاطب سرعة التحرك والهروب مخافة أن يقع فريسة لتلك المؤامرات.

وفي قوله : (إني لك من الناصحين) إبراز لحقيقة موقف المتكلم تجاه المخاطب، فـــهو حريص على سلامته، ناصح له، صادق فيما يقول.

وتتضاعف حدة التحذير والإلحاح على تنفيذ الأمر إلى درجة الرجاء في قول نوح لابنــه: ﴿**يا بني اركب معنا ولا تكن من الكافرين**﴾[1] فمهما كان حرص الرجل الذي خاطب موســى في المخاطب السابق، كبيراً وصادقاً، فانه لا يعادل جزءاً بسيطاً من الحرص واللهفة والخـــوف والإلحاح وغيرها من المشاعر الكافية في خطاب أب أدرك أن ابنه غارق لا محال إن لم ينفذ مـا يأمره به، وهل هناك ما هو أكثر حرصاً من حرص الآباء على نجاة أبنائهم وسلامتهم؟!
وهذا يؤكد أن العلاقة الزابطة بين طرفي الحوار هي المؤشر الحساس والأساس في بيـــان نـــوع الدلالة القارة في التركيب، ودرجة تشبع التركيب بـــها أو مقـــدار حدتـــها وماهيـــة الـــدلالات الممتزجة بها.

وهكذا نكون قد توقفنا على جزء من الدلالات المتعددة التي أنتجها تركيب (الأمر) فـــي عدد من النصوص الحوارية في القرآن الكريم مبينين فاعلية التركيب فيها، الناتجة عن التجـــاوز الدؤوب للتركيب في وجوده الفعلي في النص الحواري لقيد المعنى الأصلي، وحتى حيـــن يلـــزم بدلالته الأصلية فانه يتشرب دلالات أخرى يكشف عنها استحضار البعـــد التداولـــي المحيـــط بالآمر والمأمور مثبتاً أن كل (أمر) وجود قائم بذاته، قد يتشابه مع نظائره في نصوص أخـــري، ولكنه لا يتطابق معها.

ولنا الآن وقفة مع الكيفية التي تشكل بها تركيب (الأمر) في النـــص لتحقيـــق الـــدلالات القارة فيه وتجسيمها.

---
(١) هود/٤٢.

*أسلوبية (الأمــــر) في الحـــوار القرآني:

شكل الأمر سمة أسلوبية مهيمنة في بنية عدد من النصوص الحوارية، فقد توالت أفعـــال الأمر خارجة من دلالاتها الأصلية إلى الدعاء والتضرع في جل خطابات الرسل -عليهم السلام- مع الله، دالة بهذا التوالي على شمول الدعاء، وتعلق أمل الداعي بالمدعو فـــي تنفيـذ طلباتــه، مؤكدة قدرة المدعوّ وطاقته على استيعاب كل هذه الطلبات وتنفيذها، ومنها:

أفعال الأمر المتوالية في قول موسى، عليه السلام، مخاطباً الله:

﴿ رب، اشرح لي صدري، ويسر لي أمري، واحلل عقدة من لساني؛ يفقهوا قولي، واجعل لي وزيراً من أهلي، هارون أخي، اشدد به أزري، وأشركه في أمري، كي نسبحك كثيراً، ونذكرك كثيراً، إنك كنت بنا بصيراً﴾[1].

لقد أظهر موسى بطلباته المتعددة المتوالية بتنظيم إيقاعي مكنونات نفسه بكل ما فيها مـــن هواجس وضعف وخوف؛ لأنه يخاطب العليم بالخوافي، الذي يملك مخرج كل ضيق وهم، إنـــه يشرح ويفصل في دعائه، مبرزاً بقدرة الله، ورغبته في مناجاته. بدت أفعال الأمر في خطابـــه فواصل قسمت الخطاب إلى مجموعة جمل متساوية، انتهى كل منها بالمفعول الذي وقـــع عليـــه فعل الأمر، وقد أضيفت ياء المتكلم إلى هذه المفاعيل مؤكدة خصوصية حاجته.

وتوالت أفعال الأمر في وصية لقمان الحكيم لابنه بتكثيف يجعلها شريعة يســـهل علـــى المتلقي حفظها وبالتالي تذكرها والعمل بها، وما كان هذا الهدف ليتحقق لو كانت الفجوة المكانيـة بين أفعال الأمر واسعة: **﴿ يا بني أقم الصلاة، وأمر بالمعروف، وانه عن المنكر، واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾** [2].

كما توالت أفعال الأمر في خطاب الله الموجهة إلى إبليس حين رفـــض الســـجود لآدم، مشكلة سلسة من التحديات التي كثفت في جزء من الخطاب صافعة إبليس بما تحويه من تحـــد ووعيد، ملاحقة إياه كاسرة كبره وغروره: **﴿ واستفزز من استطعت منهم بصوتك، واجلب عليهم بخيلك ورجلك، وشاركهم في الأموال والأولاد، وعدهم، وما يعدهم الشيطان إلا غروراً﴾**[3].

---

[1] طه/(٢٥-٣٥).

[2] لقمان/١٧.

[3] الاسراء/٦٤.

لقد توالت أفعال الأمر في الخطابات السابقة بوتيرة الأمر الأول فيها، والنمط الذي تقولب فيهن ووجهت إلى مخاطب بعينه، ووقعت على مفاعيل واحدة أو متقاربة تدور في إطار واحد، وهذا يخلق إيقاعاً خارجياً يعكس نبض المتكلم وانفعالاته وموقفه من المخاطب، فالحالة الانفعالية التي تلق الحدَث الكلامي تسير على وتيرة واحدة.

وشكلت أفعال الأمر سمة بارزة في الخطاب الإلهي الموجه إلى أحد من الخلق، والتزمت بدلالتها الأصلية التي اختلطت بدلالات أخرى توضحها القراءة الإرتدادية للنص الواردة فيه ومراعاة المخاطب.

ورتبت هذه الأفعال بترتيب العليم، وهي تستوجب من الخاطب تنفيذاً يراعي الترتيب المذكور، ومن ذلك ما جاء في خطاب الله لإبراهيم في الحوار الآتي:

﴿وإذ قال إبراهيم: ربِ، أرني كيف تحيي الموتى.

قال: أولم تؤمن؟!

قال: بلى، ولكن ليطمئن قلبي.

قال: فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك، ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً، ثم ادعهن يأتينك سعياً، واعلم أن الله عزيز حكيم﴾[1].

لقد رتب الله الأفعال ترتيباً دقيقاً موضحاً الفترة الزمنية التي على المخاطب الالتزام بها بين كل فعل والذي يليه، وذلك بحروف العطف الدالة؛ فالفترة الزمنية بين الفعل (خذ) والفعل (صرهن) قصيرة، أن لم تكن معدومة، ولكنها تمتد بين الفعل (صرهن) والفعل (اجعل)، وقد أوحت (ثم) بهذا الامتداد، لأن تقطيع الطير يحتاج وقتاً أكثر من جمعها. كما فصلت (ثم) بين الفعل (اجعل) والفعل (ادعهن) وفي هذا زيادة إثبات للقدرة الإلهية وبيان، لأن تجميع أجزاء الطير واحيائه بعد أن لبث مدة مجزءاً ومفرقاً أزيد للبصيرة واليقين بقدرة الله العزيز الحكيم.

وقد يتكرر فعل الأمر ذاته على لسان الآمر نفسه، أو على لسان أكثر من آمر، ولهذا التكرار دلالات يكشفها السياق، فمن الأول: تكرار الفعل (اذكروا) على لسان هود في خطابه للذين كذبوه من قومه: **﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة، فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون﴾**[2].

---

[1] البقرة/٢٦٠.

[2] الأعراف/٦٩.

إن تكرار الفعل اذكروا يجسم إلحاح هود وحثه لقومه على التذكر والتدبر. انه يلاحقهم بهذا التكرار مستفزاً تفكيرهم وتأملهم، ساعياً بهذه الاستثارة إلى تغيير موقفهم من الكفر إلى الإيمان. والملاحظ أن متعلقات الفعل الأول هي أيضاً متعلقات الفعل المكرر، لكنها جاءت مفصلة مع الاول، ومجملة بكلمة (آلاء الله) مع الثاني.

كما تكرر فعل الأمر في قوله تعالى للملائكة : **﴿إني معكم، فثبتوا الذين آمنوا، سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب، فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان﴾**(١). أفاد تكرار فعل الأمر (اضربوا) حث الملائكة على سرعة التنفيذ وشموله؛ ليحيط الضرب بالكافرين من كل جانب؛ فالدال الأول يقع على مقتل (فوق الأعناق)، والدال المكرر يقع على غير مقتل (كل بنان)، وهذا يعني جمع النوعين معاً في مواجهة الكافرين.

وقد يتكرر الفعل حين يقاطع المتلقي كلام المرسل بتعليق أو تساؤل يدور حول تنفيذ الأمر، فيجيبه المرسل، ثم يرتد إلى الأمر الذي سبق أن طرحه، فيعيد ذكره، ليكون التكرار وصلة تستأنف بها بقية الخطاب. وهذا ما أفاده تكرار الدال في الحوار الذي دار بين الله، عز وجل، وموسى عليه السلام، فحين أمر الله موسى، عليه السلام، أن يذهب بآياته إلى فرعون الطاغية **﴿ اذهب إلى فرعون إنه طغى﴾** (٢) تفاجأ موسى بهذا الطلب، وتلبسه الخوف، لضعف قوته وحجته أمام قوة فرعون وبطشه. وقد دفعه هذا الخوف دفعاً إلى التوجه إلى الله بالدعاء طالباً النصر والقوة والمعين(٣)، قبل أن يعرف الرسالة التي يريد الله أن يبلغها لفرعون. ويستجيب الله لدعائه: **﴿قال: قد أوتيت سؤلك يا موسى﴾**(٤)، ولكنه، عز وجل، لا يذكر رسالته، وإنما يواصل تطمين موسى، وبث السكينة في نفسه، ليتلقى الرسالة بنفس هادئة، ويستوعبها بقوة وعزم يدفعان إلى التنفيذ، فيذكره بنعمه المتواصلة عليه، ورعايته له، وكيف ذلل أمامه كل العقبات التي واجهته، فكان دائماً في كنف الله ورعاية(٥)، وهذا يعني أن مواجهة فرعون ستكون تحت هذه الرعاية الإلهية الملازمة لموسى، وسيخرج منها منتصراً.

---

(١) الانفال/١٢.

(٢) طه/٢٤.

(٣) ينظر دعاء موسى لربه في سورة طه/(٢٥-٣٢).

(٤) طه/٣٦.

(٥) ينظر الخطاب الالهي لموسى في سورة طه/(٣٧-٤١).

وبعد هذا الحوار الطويل الذي أثاره الأمر بالذهاب إلى فرعون، يكرر الله الطلب ليكمل خطابه الذي يريد من المتلقي إيصاله إلى فرعون، ولكن يحدث تغيير في بنية فعل الأمر تعكس استجابة الله لدعاء موسى: ﴿ **واجعل لي وزيراً من أهلي، هارون أخي، اشدد به أزرى، وأشركه في أمري** ﴾[١]، فالله -عز وجل- وجه أمره إلى موسى وهارون، وذلك بإضافة ألف الاثنين إلى فعل الأمر (اذهب) مبيناً موافقته على ا شراك هارون في أمر الذهاب إلى فرعون: ﴿**اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري، اذهبا إلى فرعون إنه طغى، فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى**﴾[٢] ويدفع الخوف من جديد بموسى وهارون إلى أن يبوحا بخوفهما من هذا اللقاء، قبل أن يسمعا الرسالة التي كلفهما الله بحملها إلى فرعون: ﴿**قالا: ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى**﴾[٣] فيرد -عز وجل- مخاوفهما مؤكداً نصرته لهما ثم يعيد طلبه (فقولا) ويطرح رسالته التي تأخر طرحها بسبب مداخلات المتلقي ﴿**فأتياه فقولا: إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم .**﴾[٤].

وهكذا فقد شكل تكرار فعل الأمر وصلة يرتد بها إلى الدال الأول، ويستأنف بعدها ما توقف من خطاب، فيبدو الحوار متماسكاً يدور في بؤرة واحدة.

وقد يدل صدور فعل الأمر ذاته على لسان عدة شخوص في سياقات متشابهة حد التطابق على حدة الفكرة أو الدعوة التي جاء بها هؤلاء، وهذا ما برز في حوار الرسل، عليهم السلام، مع أقوامهم، فعقيدة التوحيد التي ينادي بها رسل الله واحدة، لم تتغير بتغير الزمان والأقوام. ففي سورة الأعراف جاءت جملة (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) التي تحوي فعل الأمر (اعبدوا) في خطاب نوح[٥]، وهود[٦]، وصالح[٧]، وشعيب[٨]، عليهم السلام، لأقوامهم، وهذا يثبت اجتماعهم على دعوة التوحيد، بعبادة الله وحده وإقراره -سبحانه- بالألوهية.

---

[١]: طه/(٢٩-٣٢).
[٢]: طه/(٤٢-٤٤).
[٣]: طه/٤٥.
[٤]: طه/(٤٧-٤٨).
[٥]: الأعراف/٥٩.
[٦]: الاعراف/٦٥.
[٧]: الاعراف/٧٣.
[٨]: الاعراف/٨٥.

وقد يصدر فعل الأمر ذاته على لسان أحد أطراف الحوار مرتين؛ الأولى بالسلب، والثانية بالإيجاب. ومثاله قول يعقوب لبنيه: ﴿ **يا بني، لا تدخلوا من باب واحد، وادخلوا من أبواب متفرقة** ﴾[١]، فوقوع الدخول وارد وحتمي، ولكن المتكلم يوضح للمتلقي وجهة التنفيذ، لتحقيق غاية يراها في ذلك.

وقول إبليس للمعذبين في نار جهنم : ﴿ **إن الله وعدكم وعد الحق، ووعدتكم فأخلفتكم، وما كان لي عليكم من سلطان، إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي، فلا تلوموني ولوموا أنفسكم** ﴾[٢] فقد تجاور الأمر بعدم القيام بالفعل مع نقيضه مبرزاً تنصل المتكلم من أتباعه، وذلك بنهيهم عن إيقاع فعل اللوم عليه، وأمرهم بإيقاع هذا اللوم على أنفسهم.

وغالباً ما يلجأ الطرف الآمر إلى تعليل أمره وبيان سببه للطرف المأمور. وقد يسبق السبب الأمر، وقد يتقدم الأمر عليه لغايات يكشفها السياق وطبيعة العلاقة بين الآمر والمأمور. ومن ذلك:

تقدم السبب على فعل الأمر في قول أبناء يعقوب لأخيهم يوسف - وقد ظنوه العزيز -:
﴿ **يا أيها العزيز، إن له أباً شيخاً كبيراً فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين** ﴾[٣] لأنهم أرادوا استعطافه بإذكارهم إياه حق أبيهم يعقوب، وانه شيخ كبير السن لن يقوى على فراق أخيهم هذا بالذات، وسبق استعطافهم مناداته متضرعين متوسلين قوته ومركزه (يا أيها العزيز)، وأتبعوا طلبهم بالثناء على إحسانه إلحاحاً منهم عليه لتنفيذ طلبهم.

وقول الملائكة لمريم - عليها السلام- : ﴿ **يا مريم، إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين. يا مريم، اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين** ﴾[٤] فقد بدءوا بتوضيح النعم التي اختصها الله دون غيرها من النساء لحثها على تنفيذ الأوامر المتوالية التي سيرشدونها إليها بعزم وقوة ومثابرة.

---

(١) يوسف/٦٧.

(٢) إبراهيم/٢٢.

(٣) يوسف/٧٨.

(٤) آل عمران/(٤٢-٤٣).

كما تقدم السبب على فعل الأمر في دعاء نوح وقد كذبه قومه واتهموه الجنون: **﴿فدعا ربه إني مغلوب فانتصر﴾** (١) ولعل هذا يعود إلى رغبة نوح في إظهار ضعفه ونفاذ حيلته مع قومه، الذين انتهروه بالشتم والضرب والوعيد، للمتلقي العليم بحاله، قبل أن يطلب منه الانتقام منهم ونصرته عليهم.

وقد يتقدم الأمر على السبب أو العلة لرغبة الآمر في أن ينفذ مخاطبه الأمر بسرعة دون تأجيل أو تسويف، وربما أراد بتأخير السبب بقاء علة الأمر في ذهن المتلقي تحاصره وتدفعه إلى التنفيذ. واختير هذا الترتيب في جل خطابات الرسل -عليهم السلام- مع أقوامهم. ومن ذلك:

قول عيسى -عليه السلام- لبني إسرائيل: **﴿يا بني إسرائيل، اعبدوا الله ربي وربكم؛ إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة، ومأواه النار، وما للظالمين من أنصار﴾** (٢).

وقول موسى -عليه السلام- لقومه: **﴿استعينوا بالله واصبروا؛ إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾** (٣).

وقوله تعلى لإبليس -وقد رفض السجود لآدم- : **﴿فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين﴾**(٤).

وقوله تعالى لموسى وهارون بعد أن أمرهم بالذهاب إلى فرعون: **﴿فقولا له قولاً ليناً؛ لعله يتذكر أو تخشى﴾** (٥).

وقد تتعدد وجوه الخطاب بأسلوب الأمر، ومثاله قول الكافر وقد حضره الموت: **﴿رب أرجعون﴾**(٦) ففيه يخاطب الله يخطاب الله خطابه للجماعة، ويمكن تعليل هذا باستحضار مشهد الاحتضار، وقد جاءت الملائكة لقبض روحه بعنف وقسوة وسرعة راغبة بإيصاله إلى العذاب الذي طالما كذب وقوعه، فصرخ منادياً الله، وروحه تسحبها الملائكة، فتوجه إليهم بطلب الإرجاع (ارجعون)، وهذا الإرجاع لن يتم إلا بإرادة الله الذي ناداه.

---

(١) القمر/١٠.

(٢) المائدة/٧٢.

(٣) الأعراف/١٢٨.

(٤) الأعراف/١٣.

(٥) طه/٤٤.

(٦) المؤمنون/٩٩.

وتنوعت الضمائر المتصلة بأفعال الأمر الواردة في قوله تعالى:﴿ **وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً، واجعلوا بيوتكم قبلةً، وأقيموا الصلاة، وبشر المؤمنين**﴾(١).

وقد علل الزمخشري هذا التنوع في الخطاب بقوله: "فإن قلت: كيف نوع الخطاب، فثنى أولاً (تبوءا)، ثم جمع (واجعلوا، واقيموا)، ثم وحد آخراً (بشر). قلت: خوطب موسى وهارون -عليهما السلام- أن يتبوآ لقومهما بيوتاً، ويختارها للعبادة، وذلك مما يفوض إلى الأنبياء. ثم سيق الخطاب عاماً لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلاة فيها؛ لان ذلك واجب على الجمهور، ثم خص موسى عليه السلام بالبشارة التي هي الغرض، تعظيماً لها وللمبشَّر بها"(٢).

وبهذا نكون قد توقفنا على أهم تشكلات تركيب (الأمر) في الحوار القرآني ولنا الآن وقفة عند أسلوبية ردة فعل المأمور الكلامية في عدد من النصوص.

❖ أسلوبية رد المأمور على أمر آمره:

تأرجحت جل ردود المأمور الكلامية بين ثنائية رفض التنفيذ وقبوله عاكسة طبيعة العلاقة بين الأمر والمأمور. فمن الطبيعي أن تسبب نظرة المأمور العدائية إلى آمره رفضاً لقبول الانصياع لأمره وتنفيذه، مهما حاول الآمر إقناعه، وهذا ما نلحظه في رد الكافرين أو العصاة على الأوامر التي وجهها رسل الله إليهم، ومن ذلك رد بني إسرائيل على موسى في الحوار الآتي:

﴿**يا قوم، ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم، ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين. قالوا: يا موسى، إن فيها قوماً جبارين، وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها، فإن يخرجوا منها فإنا داخلون**﴾ (٣).

فقد قابل بنو إسرائيل فعل الأمر (ادخلوا) الوارد في خطاب موسى بالرفض المتمثل بنفي الفعل نفسه بلفظه ومعناه (لن ندخلها).

---

(١): يونس/٨٧.

(٢): الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص٣٥١.

(٣): المائدة/(٢١-٢٢).

وقد يتجسم الرفض بالأداة (بل) التي تفيد إضراباً عن متعلق الأمر وإثباتاً لمتعلق آخر، ومنه ما جاء في الحوار الآتي:

﴿وإذا قيل لهم: اتبعوا ما أنزل الله.

قالوا: بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا﴾(١).

لقد رفض الكافرون وقوع فعل الاتباع على ما حدده لهم رسل الله (ما أنزل الله)، وأكدوا وقوع هذا الفعل على ما ألفوا عليه آباءهم.

وقد يجسم الطرف المأمور رفضه الانصياع لامر الطرف الآخر بسؤال إنكاري، كما جاء في الحوار الآتي بين رسل الله والكافرين:

﴿وإذا قيل لهم: اسجدوا للرحمن.

قالوا: وما الرحمن؟! أنسجد لما تأمرنا؟! وزادهم نفوراً﴾(٢).

انهم ينكرون متعلق فعل الأمر (الرحمن) بسؤالين؛ الأول يتعلق بماهية الرحمن كاشفاً عن تجاهلهم وتسخيفهم واستهانتهم بالرحمن (مركز عناية الأمر وبؤرة اهتمامه). ويتعلق السؤال الثاني بإنكار أمر السجود وما يقع عليه (لما تأمرنا).

ويبدو القلب المكاني واضحاً في تساؤلهم، فما تأخر في خطاب الأنبياء تقدم في سؤالهم، وما تقدم عند الأنبياء تأخر عندهم.

ومثاله أيضاً السؤال الإنكاري الذي وجهه الله للمعذبين في نار جهنم رافضاً طلبهم وذلك في الحوار الآتي:

﴿وهم يصطرخون فيها: ربنا، أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل.

: أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر، وجاءكم النذير؟! فذوقوا فما للظالمين من نصير﴾(٣)

فسؤاله يلاحقهم بدلالة التوبيخ مفحماً إياهم بما فيه من استنطاق اعترافهم الذي لا يملكون منه فراراً، وفيه من الرفض ما يلجم لسان الطالب محبطاً أي أمل له في التنفيذ. وقد أتبع السؤال بأمر يؤكد ما فيه من دلالات، ويقابل أو يصد طلبهم.

---

(١) البقرة/١٧٠.

(٢) الفرقان/٦٠.

(٣) فاطر/٣٧.

وقد تحوي جملة الرد خبراً مؤكداً توحي برفض ضمني، وهذا ما نجده في رد مالك على طلب أهل النار:

﴿ونادوا: يا مالك، ليقض علينا ربك.

قال: إنكم ماكثون﴾(١)

فقد أكد مالك واقعاً سيلازمهم، وهو المكوث الخالد في نار جهنم، وهذا يعني رفض طلبهم، فلن يقضي الله عليهم.

ونجده أيضاً في رد أصحاب الجنة : تنفيذ طلب أصحاب الجنة تنفيذ طلب أصحاب النار وتيئيسهم.

ونجده أيضاً في رد أصحاب الجنة على طلب أهل النار في الحوار الآتي:

﴿ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة: أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله

قالوا: إن الله حرّمهما على الكافرين﴾(٢)

إن تأكيدهم تحريم الله لما في الجنة على الكافرين يعني رفض أصحاب الجنة تنفيذ طلب أصحاب النار وتيئيسهم.

كما يبدو الرفض واضحاً يعج بالإنكار والاستهجان والتوبيخ في رد موسى ،عليه السلام، على طلب بني إسرائيل في الحوار الآتي:

﴿قالوا: يا موسى، اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة.

قال: إنكم قوم تجهلون﴾ (٣)

وقد يصد المأمور أمر الآمر بأمر يكتنز رفضاً، ومثاله ما جاء في قوله تعالى رداً على طلب أهل النار في الحوار الآتي:

﴿ربنا، أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون.

قال: اخسؤوا فيها ولا تكلمون؛ إنه كان فريق من عبادي يقولون: ربنا، آمنا، فاغفر لنا و ارحمنا وأنت خير الراحمين، فاتخذتموهم سخرياً حتى أنسوكم ذكري، وكنت منهم تضحكون﴾(٤).

---

(١): الزخرف/٧٧.

(٢): الاعراف/٥٠.

(٣): الاعراف/١٣٨.

(٤): المؤمنون/(١٠٧-١١٠).

لقد قوبل طلبهم (أخرجنا منها) بأمره -عز وجل- الذي يعج انكاراً وتوبيخاً وغضباً (اخسؤوا فيها)، وفي هذه المواجهة من العنف مالا تولده جملة منفية مثل: (لن تخرجوا)، ففي تركيب الأمر زجر للمتلقي يقطّع الأوصال بما يحويه من قطع وبت في التنفيذ، وقد أتبعه -عز وجل- بالنهي عن الكلام (ولا تكلمون) وهذا يبرز غضبه من أهل النار، الذي يحول دون إتاحة الفرصة أمامهم لمحاورته، فكل توسلاتهم ووعودهم ستذهب سدى، ولن يتاح لها أي مجال للتنفيذ.

وقد ينفي المأمور إمكانية تنفيذ الأمر بعبارة تدل على النفي وتمتزج بموقف المأمور، كعبارة (معاذ الله) التي جاءت على لسان سيدنا يوسف مرتين؛ الأولى في رده على طلب إمرأة العزيز في الحوار الآتي:

﴿وراودته التي هو في بيتها عن نفسه، وغلقت الأبواب وقالت: هيت لك.

قال: معاذ الله، إنه ربي أحسن مثواي، إنه لا يفلح الظالمون﴾[١].

فقولة يوسف هذه تعبير عن بغضه الشديد، ونفيه أن يأتي سلوكاً قبيحاً، وهي أقوى من (لا) ففيها استعصام بسلطان الله وذلك بإضافة كلمة (معاذ) إلى الله، وهذا يفيد التصاق العائذ بالمعوذ به محتمياً به من طلب امرأة العزيز، والذي يشكل اغراءً عظيماً تنهار أمامه إرادة أي شاب، إن اعتمد في صده على أرادته وحسب.

ويعلل يوسف رفضه واستهجانه تنفيذ أمر امرأة العزيز، بكون زوجها من أكرم مثواه ورباه، فكيف يزني مع زوجه؟! (إنه ربي احسن مثواي، إنه لا يفلح الظالمون) فالزنا فاحشة كبيرة فكيف إذ ارتبط بالخيانة.

وكذلك قال يوسف العبارة نفسها لاخوته حين طلبوا منه مستعطفين أن يأخذ واحداً منهم بدل أخيهم (بنيامن):

﴿قالوا: يا أيها العزيز، إنّ له أباً شيخاً كبيراً، فخذ أحدنا مكانه، إنا نراك من المحسنين.

قال: معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده، إنا إذاً لظالمون﴾[٢] لقد أظهر يوسف لإخوته أن استبدال بنيامين بغيره فعل منكر؛ لأن فيه استرقاق البريء وفك المجرم. إنّ تنفيذ أمر أبناء يعقوب يعني ظلماً في الحكم، وهذا ما يرفضه يوسف (إنا إذاً لظالمون) أي إنا إن نفذنا ما تطلبونه من نكن ظالمين.

---

[١] يوسف/٢٣.

[٢] يوسف/(٧٨-٧٩).

وقد يستجيب المأمور لأمر الآمر، ويوضح رده هذه الاستجابة، ومثاله رد إبراهيم، عليه السلام، على أمر الله في الحوار الآتي:

﴿إذ قال له ربه: أسلم.

قال: أسلمت لربِ العالمين﴾ [١]

إنه الإذعان والخضوع المطلق لأمره -عز وجل-، وقد تمثل بالمطابقة اللفظية لفعل الأمر (أسلم ←أسلمت)، مع اتباعه بتخصيص يفيد التأكيد والحصر واستجابة قوم موسى لطلبه في الحوار الآتي:

﴿وقال موسى: يا قوم، إن كنتم آمنتم بالله، فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين.

فقالوا: على الله توكلنا. ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين، ونجنا برحمتك من القوم الكافرين﴾[٢] لقد نفذ قوم موسى مطلبه، بتأكيد التلفظ به، مثبتين له إسلامهم، وقد جسموا هذا التوكّل فعلياً بالتوجه إلى الله بالدعاء.

ورد إسماعيل على طلب أبيه إبراهيم في الحوار الآتي:

﴿فلما بلغ معه السعي قال: يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك، فانظر ماذا ترى؟!

قال: يا أبتِ افعل ما تؤمر ، ستجدني -إن شاء الله- من الصابرين ﴾[٣]

إنها قمة الاستسلام لأمر الله الذي جاء لإبراهيم في المنام، فإسماعيل يؤكد لوالده الذي بدا حزيناً متألماً صبره وتقبله تنفيذ الأمر، آمراً إياه البدء بالتنفيذ (افعل ما تؤمر)، إنه أمر يحوي دلالات العزم والحث، يواجه به الأمر الذي وجهه والده له وقد طل باستحياء وحرص؛ خوفاً على مشاعر ولده، وتهويناً لوقع الأمر على نفسه، فقد أمره أن يبدي رأيه فيما سمع، دون أن يأمره بأن يستسلم مباشرة لسكنيه، فقد شاوره في أمر هو حتم من الله بالأمر الذي جاء في تركيب السؤال، ليأتي الأمر على لسان إسماعيل، فيكسب مثوبة الانقياد لأمر الله بإرادته، وهذا ما حدث بالفعل، فقد جاء الأمر الصريح على لسان إسماعيل.

ومنها استجابة السماء والأرض لأمر الله في قوله تعالى :

﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان، فقال لها وللأرض: ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا: أتينا طائعين﴾ [٤]

---

[١]: البقرة/١٣١.

[٢]: يونس/(٨٤-٨٥).

[٣]: الصافات/١٠٢.

[٤]: فصلت/١١.

إن الأمر الذي وجهه الله إلى السماء والأرض منفذ لا محال، منفذ شـــاء المخــاطب أو أبى، ومنفذ أحب أو كره. وجاء الرد على هذا الأمر بإظهار التنفيذ، واختيــار طريقــة التنفيــذ وموقف المأمور مما ينفذ، فقد لبت السماوات والأرض دعوة الله (ائتنا ← أتينــا)، واختارتــا تنفيذ هذا الأمر بطواعية ورغبة إرضاء للأمر وإظهاراً للاستسلام والإذعان.

ذكرنا في حديثنا عن رفض المأمور تنفيذ طلب الآمر، رفضه -عز وجل- تحقيق دعــاء الكافرين يوم القيامة. ونذكر هنا استجابته -عز وجل- لدعاء عبــاده؛ إكرامــاً لــهم أو تحديــاً واختباراً. فمن الأول استجابته -عز وجل- لدعاء موسى ،عليه السلام، في الحوار الآتي:

﴿قال: رب، إني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلـون، وأخـي هـارون هـو أفصح مـني لساناً؛ فأرسله معي ردءاً يصدقني؛ إني أخاف أن يكذبون.

قال: سنشد عضدك بأخيك، ونجعل لكما سلطاناً، فلا يصلون إليكما بآياتنا، أنتمـا ومـن اتبعكما الغالبون﴾ [1].

وقد يستجيب الله لدعاء من يدعوه، فيرد عليه بما يؤكد تحقيق طلبه دون أن يكرر ذكـر الطلب، كما في قوله تعالى رداً على دعاء موسى وهارون في الحوار الآتي:

﴿وقال موسى: ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينةً وأموالاً في الحيـاة الدنيا، ربنـا ليضلـوا عـن سبيلك، ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم، فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم.

قال: قد أجيبت دعوتكما، فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذي لا يعلمون﴾ [2]

فقوله تعالى (قد أجيبت دعوتكما) يعني (سأطمس على أموالهم وأشد على قلوبهم، فـــلا يؤمنــوا حتى يروا العذاب الأليم).

وقد يحقق الله طلب من يدعوه اختباراً وتحدياً للداعي أو لغيره، فمـــن الأول اســتجابته لطلب إبليس في قوله تعالى :

﴿قال: أنظرني إلى يوم يبعثون.

قال: إنك من المنظرين﴾ [3]

---

[1] القصص/(٣٣-٣٥).

[2] يونس/(٨٨-٨٩).

[3] الأعراف/(١٤-١٥).

فإن قلت: لم حقق الله طلب إبليس وهو يعلم أنه استنظره ليفسد عباده ويغويهم؟! قلت: لما في ذلك من تحد لإبليس واستهانة بقدرته على إغواء عباد الله الصالحين.

كما يكون التحدي والاختبار لأطراف أخرى غير الداعي، كما في رده تعالى على دعاء عيسى في الحوار الآتي:

﴿قال عيسى ابن مريم: اللهم، ربنا، أنزل علينا مائدة من السماء، تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا، وآية منك، وارزقنا وأنت خير الرازقين.

قال الله: إني منزلها عليكم، فمن يكفر بعد منكم، فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين﴾[1].

وقد يبتعد المأمور عن تنفيذ الطلب في إجابته ليحقق هدفاً ما ثم يرتد إلى طلب الآمر فينفذه، وهذا ما نلحظه في الحوار الذي دار بين يوسف -عليه السلام- وصاحبيه في السجن:

﴿ودخل معه السجن فتيان، قال أحدهما: إني أراني أعصر خمراً. وقال الآخر: إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه. نبئنا بتأويله، إنا نراك من المحسنين.

قال: لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما، ذلك مما علمني ربي، إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله، وهم بالآخرة هم كافرون. واتبعت ملة آبائي؛ إبراهيم وإسحق ويعقوب، ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء، ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس، ولكن أكثر الناس لا يشكرون. يا صاحبي السجن، أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار؟! ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان، إن الحكم لله أمر ألاّ تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

يا صاحبي السجن، أما أحدكما فيسقي ربه خمراً، وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه. قضي الأمر الذي فيه تستفتيان﴾ [2]

فما أبعد ما طلبه صاحبا يوسف -عليه السلام- عن رده، فقد كان طلبهما مفتاح باب دعوته، الذي فتح أمامهم الرؤى التي أدرك غيابها عن أذهانهم ليثير فيهم التأمل الدافع إلى يقين يسود أن يحملهم عليه وأن يقنعهم به. وبعد أن يصدمهما مدخلاً إياهما في مواجهة مع ذاتهما، يحقق طلبهما ويفسر حلميهما.

[1]: المائدة/(١١٤-١١٥).

[2]: يوسف/(٣٦-٤١).

النـــــهي

وفيه يطلب أحد أطراف الحوار من الطرف الآخر أن يكف عن الفعل أو يمتنـــع عنـــه، وصيغته الوضعية (لا تفعل). والتعامل مع هذه البنية " يستدعي حضور حالة شعورية وذهنيـــة تبدأ فاعليتها من منطقة (الإثبات)، لان (الكف) فعل يحصل بشغل النفس بضد المنهي عنه، وهـــو ما يستدعي تقدم الشعور بالمكفوف عنه، لأننا لا نطالب أحداً بعدم الفعل -أي تركه- إلا وعنـــده عزم على هذا الفعل، أو على الأقل وعي بإمكانية وقوعه، اذ لا يعقل ان يكون هناك إنســـان لا يعي شيئاً عن فعل ما، ولا يعتزم فعله، ثم آمره بتركه(١).

جاء تركيب النهي في مائة وستة عشر موضعاً حوارياً، ورد جلـــها فـــي خطابـــات الله ورسله وعباده الصالحين* عاكسة موقف هذه الأطراف من الطـــرف المقابـــل، ويتمثـــل هـــذا الموقف في الكف عن فعل صدر أو يخشى صدوره لما يترتب على تنفيذه من سوء عاقبة تحيـــق بالفاعل.

ولعل اختيار تركيب النهي في طلب الكف والأمر بالترك يحقق مواجهـــة وتفـــاعلاً مـــع الطرف الآخر لا يحققهما تركيب بديل، فالنهي عن ممارسة الفعل يستفز تأمل المنهي في حقيقـــة الفعل الذي كان سيؤديه أو يؤديه، وعاقبة هذا الفعل، فالنفس البشرية تستثيرها صيغة (لا تفعـــل). وهل أدل على هذا من استغلال إبليس للنهي الذي وجهه الله لادم وحواء في إغوائـــهما وإثـــارة فضولهما لمعرفة سبب هذا النهي:

﴿وقلنا: يا آدم، اسكن أنت وزوجك الجنة، وكلا منها رغداً حيث شئتما، ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾(٢).

﴿فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما وري عنهما من سوأتهما، وقال: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين.

وقاسمهما: أني لكما لمن الناصحين.

(١) محمد عبد المطلب، البلاغة العربية (قراءة أخرى)، ص٢٩٧.

* : ورد تركيب النهي في خطابات الكافرين والعصاة في أربعة مواطن فقط.

(٢) البقرة/٣٥.

فدلاّهما بغرور، فما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة. وناداهما ربهما: ألم أنهكما عن تلكما الشجرة، وأقل لكما: إن الشيطان لكما عدو مبين﴾[١].

والانحراف عن دلالة النهي الأصلية (الاستعلاء)* خاصية تتجدد بتجدد الواقع الفعلي للبنية في النصوص. ويحتاج استشفاف الدلالة إلى حضور طرفي الحوار بكل مكوناتهما الداخلية والخارجية؛ ففي قوله تعالى على لسان أولي الألباب: ﴿**ربنا، وآتنا ما وعدتنا على رسلك، ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد**﴾[٢] خرجت بنية النهي إلى الدعاء وما فيه من تضرع ورجاء يتوجه به الداعي إلى الله، وذلك لأن البنية توجهت من الطرف الأدنى إلى الطرف الأعلى.

وامتزج النهي بالرجاء والتلطف في قول إبراهيم لأبيه: ﴿**يا أبت، لا تعبد الشيطان؛ إن الشيطان كان للرحمن عصيا**﴾[٣].

وأفادت بنية النهي التهديد والتوبيخ والتحذير في قول موسى -عليه السلام- لفرعون وسحرته: ﴿**ويلكم لا تفتروا على الله كذباً فيسحتكم بعذاب، وقد خاب من افترى**﴾[٤].

وأفادت التحدي وقلة المبالاة بتهديد المتلقي في قول نوح لقومه: ﴿**يا قوم، إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله، فعلى الله توكلت، فأجمعوا أمركم وشركائكم، ثم لا يكن أمركم عليكم غمةً، ثم اقضوا إليّ ولا تنظرون**﴾[٥].

ويختلط التحدي بالتهديد والإنذار في بنية النهي الوارد في قول سليمان لملكة سبأ وقومها: ﴿**ألاّ تعلوا علي وأتوني مسلمين**﴾[٦] فهو الأقوى الذي يأمر وينهي وعلى الجميع الاستسلام لأمره ونهيه.

وأفادت التحذير الممزوج بالحرص على المتلقي والخوف عليه والرحمة به في قول يعقوب لابنه يوسف: ﴿**يا بني، لا تقصص رؤياك على إخوتك، فيكيدوا لك كيداً، إن**

---

(١) الأعراف/(٢١-٢٢).

* : (النهي: طلب كف عن فعلٍ على جهة الاستعلاء) ينظر: بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح، ج٢، ص٣٢٤.

(٢) آل عمران/١٩٤.

(٣) مريم/٤٤.

(٤) طه/٦١.

(٥) يونس/٧١.

(٦) النمل/٣١.

الشيطان للإنسان عدو مبين﴾[١]. وقولـه لأبنائـه: **﴿يا بني، لا تدخلوا من باب واحد، وادخلوا من أبواب متفرقة﴾**[٢] وقوله لهم أيضاً: **﴿يا بني، إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾**[٣].

وقول لقمان لابنه: **﴿يا بني، لا تشرك بالله، إن الشرك لظلم عظيم﴾**[٤] إنهم آباء ينصحون أبناءهم، يختلف تحذيرهم عن التحذير الذي يوجهه الأنبياء أو عباد الله الصالحين لأقوامهم، فالتحذير الكامن في بنى النهي الواردة في قول قوم موسى لقارون: **﴿لا تفرح، إن الله لا يحب الفرحين. وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة، ولا تنسَ نصيبك من الدنيا، وأحسن كما أحسن الله إليك، ولا تبغِ الفساد في الأرض، إن الله لا يحب المفسدين﴾**[٥] لا يمتزج بمشاعر الحب والشفقة التي امتزج بها في نهي الآباء لأبنائهم، بل لعله يمتزج بالغضب والكراهية من قارون الطاغية المتجبر.

كما اختلفت الدلالات التي حوتها النواهي الإلهية وتعددت باختلاف المخاطبين؛ ففرق كبير بين الدلالة القارة في بنية النهي الواردة في قوله تعالى لأصحاب جهنم: **﴿اخسؤوا فيها ولا تكلمون﴾**[٦] وبين الدلالة التي أفادتها بينة النهي الواردة في قوله تعالى لنوح،عليه السلام،: **﴿واصنع الفلك بأعيننا ووحينا، ولا تخاطبني في الذين ظلموا، إنهم مغرقون﴾**[٧]؛ ففي الخطابين نهي عن ممارسة فعل الكلام، ولكنه نهي يمتزج بالتوبيخ والتقريع والإهانة التي تحملها نبرة أو تنغيم صاعد يبينها السياق الذي جاءت فيه، فالله غاضب من أهل جهنم، لا يريد سماع توبتهم التي جاءت بعد فوات الوقت. لكن غضبه في نهيه لنوح عن الكلام ليس موجهاً إليه، وإنما هو موجه إلى قومه الكافرين ولذا تلاشت الدلالات السابقة القارة في بنية النهي الأولى. لاختلاف المخاطب، وجاءت في تنغيم جازم لكنه ليس صاعداً، وحوت دلالة التيئيس وإفحام أية محاولة شفاعة أو وساطة يقوم بها نوح، لا لأن شفاعته لا وزن لها عند الله، ولكن لتعلقها بالكافرين الذين وقع عليهم غضب الله وعذابه.

---

(١) يوسف/٥.

(٢) يوسف/٦٧.

(٣) البقرة/١٣٢.

(٤) لقمان/١٣.

(٥) النمل/١٠.

(٦) المؤمنون/١٠٨.

(٧) هود/٣٧.

ولنا وقفة نتأمل فيها دلالة التركيب في عدد من الخطابات التي تكـــرر فيـــها الـــتركيب مبينين دور هذا التكرار في ترسيخ الدلالة:

ونبدأ بقول شعيب،عليه السلام، لقومه: ﴿**يا قوم، اعبدوا الله، مالكم من إله غيره، ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها، ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين. ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن، وتبغونها عوجا، واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم، وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين**﴾[1].

تقوم بينة الخطاب السابق على مجموعة من الأوامر والنواهي التي انبثقت مـــن قولـــه: ﴿**قد جاءتكم بينة من ربكم**﴾ أي معجزة شاهدة بصحة نبوتي أوجبت عليكم الإيمـــان بـــي، والأخذ بما آمركم به، والانتهاء عما أنهاكم عنه.

إنه ،عليه السلام، يلاحقهم بهذه الأوامر والنواهي، واضعاً إياهم في بؤرة الموقف، فـــهم المطالبون بالتنفيذ، وهم المطالبون بالكف عن ممارسة أفعال تبتعد عن الصراط المستقيم، أو هـــم المطالبون بتركها؛ فحقيقة النهي عن ممارسة الفعل تعني الأمر بتركه. ويخلق الأمر بترك الفعل صراعاً في نفس المتلقي قد يؤول إلى الرفض، ولذا أحاطه الناهي بحجج ونصائح تقنع المتلقـــي بضرورة الانتهاء، ترغبه حيناً (ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين)، وترهبه حيناً (وانظـــروا كيـــف كان عاقبة المفسدين)، وأدت أفعال الأمر في النص دور الإقناع محـــاصرة تراكيـــب النـــهي المتلاحقة مبرزة ما فيها من تحذير.

وأرى أن اختيار بنية النهي في المواجهة أسلوب حكيم، ففيه يضع الناهي المتلقي أمـــام حقيقة فعله القبيح وجها لوجه، ولكن دون ان يلصقه به، فلو اختار في مواجهتم تراكيباً خبريـــة كان يقول لهم : إنكم تبخسون الناس أشياءهم، وتفسدون في الأرض بعد إصلاحها، وتقعـــدون بكل صراط توعدون) لأثارهم ضده رافضين منكرين صدور هذه الأفعال عنهم.
بينما تحتوي بنية النهي التي وجهها شعيب إليهم معنيين، الأول ظاهري يصطبغ بحيادية الإخبـــار فقوله (لا تبخسوا الناس) يعني لا تفعلوا هذا الفعل وقع منكم أم لم يقع. أمـــا المعنـــى العميـــق المضمر في نفس الناهي والمقصود إفهامه للمتلقي فيعني توقفوا عن ابخـــاس النـــاس أشـــياءهم، وتوقفوا عن إفساد الأرض بعد اصلاحها، وتوقفوا عن القعود بكل صراط موعدين وصادين عن سبيل الله.

[1] الأعراف/(٨٥-٨٦).

ولا يخفى ما لتجميع النواهي في حيز ما في النص من مواجهة المتلقي وملاحقته بسوء أعماله وإظهارها له، علّه يستشعر كثرتها، فيستثير هذا الاستشعار إحساسه بالخجل فيرتدع ويتركها.

وتكررت بنية النهي في قول لوط لقومه وقد أمروه أن يخلي بينهم وبين ضيفه ليفحشوا بهم: ﴿**قال: هؤلاءِ ضيفي فلا تفضحون، واتقوا الله ولا تخزون**﴾ [1] وجسم تكرارها تكرار محاولة قوم لوط الاعتداء على ضيفه وتكرار صد لوط لهم والتعرض بينهم وبين ضيفه.

ويفيض تركيبا النهي رجاءً وخوفاً وخجلاً، فقد كان لوط يرجو قومه أن لا يفعلوا ما يشين، وكان خائفاً من تقهقر قوته أمام قوتهم الزاحفة المسعورة، كما كان يشعر بالخجل من أفعالهم راغباً في إخفائها عن أعين ضيفه.

وكما ذكرنا، فالنهي قد يتطلب التعليل وبيان الأسباب الدافعة إليه، ولذا فقد قدم لوط السبب على النهي في المرتين: (هؤلاء ضيفي فلا تفضحون) لأن من أُسيء إلى ضيفه فقد أسيء إليه. (واتقوا الله ولا تخزون) فتقوى الله تحول دون أن يسببوا له الخزي بإذلال ضيفه والاعتداء عليهم.

وتكررت بنية النهي في الخطاب الذي أوحاه الله إلى أم موسى : ﴿**وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه، فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني؛ إنا رادوه إليك، وجاعلوه من المرسلين**﴾ [2]. وأفاد تكرار النهي تطمين أم موسى، وتهدئة هواجسها، وتخفيف صراعها. وبدأ بنهيها عن الخوف (وهو غم يلحق الإنسان لمتوقع)، واتبعه بنهيها عن الحزن (وهو غم يلحقه لواقع يتمثل في فراق موسى والإخطار به). وقد تجاور التركيبان فلم يفصل بينهما إلا بواو العطف، لتحقيق هذه الغاية.

ومثله قول الملائكة للوط -عليه السلام- وقد ضاق بهم ذرعاً خوفاً عليهم من فحش قومه: ﴿**لا تخف ولا تحزن؛ إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين**﴾[3].

---

(1) الحجر/(٦٨-٦٩).

(2) القصص/٧.

(3) العنكبوت/٣٣.

وتكررت بنية النهي في النصيحة التي وجهها لقمان إلى ابنه: ﴿**ولا تصعر خدك للناس، ولا تمش في الأرض مرحاً؛ إن الله لا يحب كل مختال فخور**﴾[١].

ولعل حصرها بين مجموعة تراكيب الأمر التي تشكلت فيها نصائح لقمان ووصاياه يثير تأمل المتلقي لما يمارسه من فعل المفاجأة التي تنتهك جمود التوقع، فتنشأ جدلية حيوية حركية بين الناصح والمنصوح عبر هذا التغير المفاجئ للبنية المستخدمة؛ من طلب وإلحاح على تنفيذ أفعال معينة، إلى نهي وأمر بترك أفعال اخرى، وعودة إلى طلب تنفيذ أفعال جديدة [٢]. ويثير هذا التنوع المتأرجح بين ثنائية الطلب والنهي فاعلية المتلقي فيحقق أقصى درجات التماشج بين الطرفين.

ويؤدي توالي التركيبين إلى رسوخ دلالة التحذير والتقبيح في ذهن المتلقي، ويتبعهما تعليل يضع المتلقي أمام الحافز الرئيس الذي يدفعه إلى تجنب هذين الفعلين سواء أوقعا منه او لم يقعان وهو (إن الله لا يحب كل مختال فخور)، وفي هذا زيادة في الردع والتحذير.

وقد يتكرر النهي بلفظه ومعناه لا ببنيته فحسب، ومنه قول قوم نوح متناصحين محذرين بعضهم بعضاً: ﴿**لا تذرُن آلهتكم، ولا تذرُن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً**﴾[٣] انهم يلحّون بهذا التكرار على التمسك بأصنامهم، فيذكرونها مرة ذكراً عاماً (آلهتكم)، ويعددونها أخرى مفصلين ذاكرين أسماءها.

- **ردود المتلقي على نهي الناهي:**

حين يتوجه أحد الأطراف إلى الطرف الآخر ناهياً إياه عن ممارسة فعل ما، فإنه يستفز ردوده التي تختلف باختلاف الفعل المطلوب تركه، وموقف المنهي من الناهي، وتفاعله مع الدلالات المكتنزة في بنية النهي.

وتراوحت هذه الردود بين صمت مطبق يوحي بموافقة المتلقي وإقراره بما ينهى عن فعله، وقبول تجسمه ألفاظ أو عبارات معينة، ورفض وتمرد على الانتهاء والكف المطلوب.
فمن الأول غياب ردود ابن لقمان وابناء يعقوب الكلامية على نواهي لقمان ويعقوب [٤]. ومن الثاني رد نوح -عليه السلام- على نهي الله -عز وجل- الذي وجهه إليه في الحوار الآتي:

---

[١] لقمان/١٨.

[٢] تنظر وصية لقمان في سورة لقمان/١٣، (١٦-١٩).

[٣] نوح/٢٣.

[٤] ينظر المشهد الحواري الأول في سورة لقمان: (١٣، ١٥-١٩). وينظر المشهد الحواري الثاني في سورة البقرة:١٣٢.

﴿ونادى نوح ربه فقال: رب، إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين.

قال: يا نوح، إنه ليس من أهلك، إنه عمل غير صالح، فلا تسألن ما ليس لك به علم، إني أعظك أن تكون من الجاهلين.

قال: رب، إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم، وإلا تغفر لي وترحمن أكن من الخاسرين﴾ (١).

تدل جملة (اني أعوذ بك) على نفي ضمني، فنوح -عليه السلام- ينفي أن يسأل الله ما ليس له به علم، معبراً عن بغضه وتبريء ذاته من هذا الفعل الذي نهاه الله عنه، إنه يرتقي بأسلوبه بالاستعاذة مظهراً استسلامه المطلق لما بلغه من أوامر الله ونواهيه لكي يعصمه من الجهل الذي يقوده إلى الخسران.

وقد يرفض المتلقي الاستجابة لطلب الكف، وتمثل هذا الرفض في ردود الكافرين على النواهي الإلهية التي وجهت إليهم بواسطة الرسل:

﴿وإذا قيل لهم: لا تفسدوا في الأرض

قالوا: إنما نحن مصلحون﴾ (٢)

حيث تمثل إجابة الكافرين إضراباً ورفضاً لوقوع فعل الإفساد الذي طلب منهم الرسل الكف عن ممارسته، فقد استهلت بـ (إنما) التي توسطت بين كلامين متغايرين نفياً وايجاباً، مبطلة ما قبلها (الإفساد في الأرض) مؤكدة ما بعدها (نحن مصلحون).

---

(١) هود/(٤٥-٤٧).

(٢) البقرة/١١.

✦ النـــــداء

النداء هو طلب الإقبال حساً أو معنى بحرف (مولد) من الفعل (ادعـــو)، ســواء أكــان الحرف ملفوظاً على مستوى السطح، أو مضمراً على مستوى العمق. وتتأتى أدبية النداء عنـد انحرافه عن (أصل المعنى) ليولد إنتاجية بديلة لا تتنصل من الدلالة الأصلية في سياقات كثيرة.

وبنية النداء بنية مهيمنة في الحوارات القرآنية، فقـد جـاءت فـي مـائتين وثمـانين موضعاً*، حملت أحوال المنادي وانفعالاته المختلفة إلى المنادى مجسمة سعيه الدؤوب للتواصـل مع الآخر، ومحاولته لفت انتباهه، وإثارة اهتمامه لمضمون الرسالة التي يريد إيصالـها. فقـد شكل النداء في كثير من المشاهد الحوارية ركيزة البدء التي استهل بها كل طرف حديثـه مـع الطرف الآخر، نذكر من ذلك ما جاء في الحوار الآتي بين يوسف ويعقوب عليهما السلام:

﴿ إذ قال يوسف لأبيه: يا أبتِ، إني رأيت أحد عشر كوكباً، والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين.

قال: يا بني، لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً، إنّ الشيطان للإنسان عدو مبين﴾ [(١)].

فكلا الطرفين يستهل خطابه بنداء الطرف الآخر مبرزاً العلاقة الرابطة بينهما وما تومئ به مـن مشاعر؛ فنداء يوسف الصبي الصغير لأبيه وقد أعجبه حلم رآه في منامه فوقف مزهواً سـعيداً يخبره بما رآه، يختلف عن نداء أبيه الذي أدرك معنى حلمه فخشي عليه من كيد إخوته. وهـذا يعني إمتلاء صوت يوسف الذي حمل لفظة (أبتِ) دهشة وسعادة، بينمـا يمتلـئ صـوت الأب يعقوب فرحة مشوبة بخوف وقلق وحرص فيظهر خائفاً مرتجفاً.

---

* : أكثر أدوات النداء استخداماً في لغة الحوار القرآني هي الـ (يا)، فقد جاءت في (١٣٨) موضعاً. وحذفت أداة النداء في (٨٨) موضعاً. وحذفت بنية ا لنداء في ثمانية مواضع.

(١): يوسف/(٤-٥).

كما شكل النداء بنية الاستهلال في الحوار الآتي الذي دار بين نوح -عليه السلام- والله:

﴿ونادى نوح ربه فقال: ربِ، إن ابني من أهلي، وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين.

قال: يا نوح، إنه ليس من أهلك، إنه عمل غير صالح، فلا تسألن ما ليس لك به علم، إني أعظك أن تكون من الجاهلين.

قال: ربِ، إنّي أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم، وإلاّ تغفر لي وترحمن أكن من الخاسرين﴾ [1].

وتكشف القراءة الارتدادية والبعدية للأحداث المحيطة بالنص الحواري السابق الدلالات المكتنزة في بنى النداء؛ ففي قوله نوح (رب) التي استهل بها خطابه مع الله يمتزج الرجاء بالحيرة والألم والإلحاح الخجول، فقد كان متلهفاً على ولده الذي رفض ان يركب السفينة فأصبح من المغرقين. وكان مهموماً محتاراً، فقد وعده الله ان ينجي أهله، فما بال ولده؟!

ويبين الله لنوح -عليه السلام- السبب الذي جعل ابنه من المغرقين مستهلاً خطابه بمناداته (يا نوح) التي امتلأت عتاباً وتحذيراً نستشفهما من مضمون الخطاب الذي جاء بعدها، وقد دار حول نفي العلاقة الرابطة بين نوح وابنه بسبب كفر الأخير وعصيانه، واستخدم ضمير الغائب في الحديث عن ابن نوح مبالغة في نبذه وتجاهله، وكأن الله يحث نوحاً بهذا التغييب لشخص ابنه والتركيز على صفته أن ينساه ولا يألم لغرقه. وأعقب هذا تحذيراً حملته بنيتا النهي (فلا تسألنِ) و (إني أعظك أن تكون) أي (لا تكن). فما كان من نوح إلا أن قابل الدلالات المكتنزة في ندائه -عز وجل- ببنية نداء مطابقة لندائه الاول (رب) لكنها تخالفه دلالة، فقد حوت اعتذاراً وخوفاً ورغبه في ان يسامحه المنادى على ما في ندائه الأول من دلالات.

وأدى استشعار المنادى لقرب المنادى المعنوي أو المادي إلى تغّيب أداة النداء في عدد من التراكيب، انحصر جلها في مناداة الخلق للخالق، لما فيها من استشعار المنادي حضوره -عز وجل- وسماعه لدِعائه دون أي وساطة ومن ذلك ما جاء في دعاء زكريا عليه السلام:

---

[1] هود/(٤٥-٤٧).

﴿إذ نادى ربه نداءً خفياً، قال: ربِّ، إني وهن العظم مني، واشتعل الرأس شيبا، ولم أكن بدعائك ربِ شقياً. وإني خفت الموالي من ورائي، وكانت إمراتي عاقراً فهب لي من لدنك ولياً، يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله ربِ رضيا﴾[١].

إنه ينادي رَبه نداءً خفياً هامساً كي لا يسمعه أحد مستشعراً قرب الله منـه، وسماعه لدعائه الخفي الذي فيه ما فيه من البوح الحزين المغلف بالضعف والشعور بالقلق والخوف. وقد تغيبت ازاء هذا القرب أداة النداء، وأضيفت ياء المتكلم إلى المنادى موحية بالتعلق والرجاء وقمة الاستسلام والخضوع.

وتكرر ظهور البنية ،بما فيها من حذف، في جسم الخطاب دالة على ذلك الإحساس المتعمق في نفس المنادى، ورغبته في التواصل مع المنادي؛ فالمعنى الإيصالي المباشر في قوله: (ولم أكن بدعائك رب شقيا) قد كان يمكن أن يكتفي فيه بقوله: (ولم أكن بدعائك شقيا)، ولكن المنادى يظهر بهذه الزيادة أدبه وتذللـه في خطابه مع الله، لأن في النداء تخفيفاً وتلطيفاً من حدة توجيه الخطاب بضمير المخاطب. ومثله توسيطه لبنية النداء بين المفعول الأول لفعل الأمر(اجعل) ومفعوله الثاني رضيا في قوله: (واجعله ،رب، رضيا) إظهاراً للخضوع والرجاء واحتراساً من ظهور اية همسة استعلاء قد يومئ بها تركيب الأمر.

ومن المواطن التي غيب المنادي فيها اداة النداء ما جاء في قول العزيز ليوسف،عليه السلام، وقد ظهرت براءته من التهمة التي الصقتها زوج العزيز به: **﴿يوسف، أعرض عن هذا﴾**[٢] وفي هذا الحذف تجسيم لموقف العزيز من يوسف، فقد اقترب منه ملاطفاً هامساً له خوفاً من شيوع هذه الفضيحة التي تمس عرضه وشرفه، وطلب منه الإعراض عن هذا الأمر وكتمانه وعدم التحدث به.

وقد يأتي النداء جملة معترضة تتوسط صلب الخطاب وتحقق غايات بكشفها استحضار العلاقة بين المنادي والمنادى، ومن ذلك ما ذكرناه في الحديث عن توسط قوله (رب) ،الواردة في دعاء زكريا، بين كان وخبرها (ولم اكن بدعائك ،رب، شقيا) وبين المفعول به الأول والثاني في قوله (واجعله ،رب، رضيا) حيث أفادت تجسيم استشعار المخاطب قرب من يخاطبه وحبه

---

[١] مريم/(٢-٦).

[٢] يوسف/٢٩.

لاستحضاره ومناجاته موحية بالبعد الانفعالي والعاطفي الذي يعج به الخطاب. كما دل هذا الاعتراض بالنداء على تأدب زكريا في خطابه مع الله.

منه أيضاً ما جاء على لسان اهل مدين في خطابهم مع شعيب عليه السلام:

﴿لنخرجنك -يا شعيبُ- والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودنّ في ملتنا﴾(١).

مثله وما جاء في قول قوم لوط له مهددين متوعدين:

﴿لئن لم تنته - يا لوط - لتكوننّ من المخرجين﴾(٢).

وقول قوم نوح: **﴿لئن لم تنته -يا نوح- لتكوننّ من المرجومين﴾**(٣).

حيث جاءت الخطابات الثلاثة السابقة على لسان الكافرين في مواجهتهم لرسل الله وتحديهم، وأفادت بنى النداء التي حملت أسماء انبياء الله، وجاءت على شكل جمل معترضة تنبيه المنادى وتهديده بعد تخصيصه دون غيره بالكلام، فهو مثار اهتمام النادي لكونه صاحب الدعوة المعترض عليها.

وقابل سيدنا موسى هذا الأسلوب وما يحويه من دلالات بالمثل في الحوار الذي دار بينه وبين فرعون:

﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فسأل بني إسرائيل إذا جاءهم، فقال له فرعون: إني لأظنك - يا موسى - مسحوراً.

قال: لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر، وإني لأظنك -يا فرعون - مثبوراً﴾(٤) إنه يتحداه بطريقته؛ بالشكل ذاته وبالدلالات ذاتها، فقول فرعون (يا موسى) الذي يكتنز سخرية واتخفافاً، يقابله قول موسى (يا فرعون) بما فيه من دلالات مماثلة.

وصاحب النداء بنى الطلب الأخرى وتضافر معها لتحقيق أقصى درجات التفاعل بين أطراف الحوار، وتقدم عليها في مواطن وتقدمت عليه في أخرى. فقد لازم بنية الأمر في مائة موضع، وتقدم عليها في جل هذه المواضع مقتضياً تلبية فعلية أو شعورية من المنادى، نذكر من ذلك قوله تعالى: **﴿وقيل: يا أرض، ابلعي ماءك. ويا سماء، أقلعي﴾** (٥)

---

(١) الأعراف/٨٨.

(٢) الشعراء/١٦٧.

(٣) الشعراء/١١٦.

(٤) الاسراء/(١٠١-١٠٢).

(٥) هود/٤٤.

وقوله على لسان ملك مصر في حواره مع الملأ: ﴿**يا أيها الملأ، أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون**﴾[١].

وقول ابنة شعيب في حوارها مع أبيها: ﴿ **يا أبتِ، استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين**﴾[٢].

وقول شعيب لقومه: ﴿**يا قوم، اعبدوا الله، وارجوا اليوم الآخر، ولا تعثوا في الأرض مفسدين**﴾[٣].

أفاد تقديم المنادى على تركيب الأمر في الخطابات السابقة تنبيه المخاطب وتوجيه اهتمامه للفعل المراد تنفيذه، وحصر هذا التنفيذ به دون غيره.

كما لا يخفى ما لاستهلال بنية الأمر بالنداء من أثر في تخفيف حدة دلالة الاستعلاء الملازمة لها، والتي قد تسبب استفزازاً للطرف المامور، لا لكونها متعلقة بتنفيذ فعل ما، ولكن لكونها أمراً فحسب. يؤكد هذا استهلال أفعال الأمر الواردة في الخطابات الموجهة من الخلق إلى الخالق بندائه -عز وجل – وما يحويه هذا النداء من تذلل وخضوع ورجاء: ﴿ **وإذ قال إبراهيم: رب، اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات**﴾[٤]

وقد يتقدم الأمر على النداء حين يكون هدف المتكلم تنفيذ الفعل دون أن يؤرقه مقام المنفذ أو مكانته، كقول فرعون لهامان ساعده الأيمن ومعاونه: ﴿ **يا أيها الملأ، ما علمت لكم من إله غيري، فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحاً لعلي أطّلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين**﴾[٥] فقد كان هم فرعون منصباً على تحدي موسى والسخرية منه، ولذا توجه إلى مساعده هامان بأمر فيه من التحدي وإبراز القدرة ما فيه، وما نداؤه لهامان إلا إسناد ينسب فيه مهمة التنفيذ إليه، دون أن يضع الأخير في بؤرة تفكيره أو اهتمامه.

---

[١] يوسف/٤٣.

[٢] القصص/٢٦.

[٣] العنكبوت/٣٦.

[٤] البقرة/١٢٦.

[٥] القصص/٣٨.

كما لازم النداء بنية السؤال في ستة وأربعين موضعاً، منها: قول زكريا ،عليه السلام، لمريم وقد وجد عندها رزقاً: ﴿**يا مريم، أنى لك هذا؟!**﴾[1] وقوله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿**قل: يا أهل الكتاب، لم تكفرون بآيات الله، والله شهيد على ما تعملون؟! قل: يا أهل الكتاب، لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً وأنتم شهداء؟! وما الله بغافل عما تعملون**﴾[2].

وقول أبناء يعقوب لأبيهم: ﴿**يا أبانا، مالك لا تأمنا على يوسف، وإنا له لناصحون**﴾[3] وقول يوسف ،عليه السلام، لصاحبيه في السجن: ﴿**يا صاحبي السجن، أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار؟!**﴾[4].

ولا يخفى أثر استهلال السؤال بالنداء، ففه زيادة للإثارة المتلقي، وأيقاظ اهتمامه، لتخصيصه هو دون غيره بالسؤال وما يحويه من دلالات.

وقد يتقدم النداء على السؤال، كما في الخطابات السابقة، وقد يتأخر حين يكون السؤال هدف المرسل وغايته، ومثاله قوله تعالى على لسان موسى -عليه السلام- في حواره مع السامري: ﴿**ما خطبك يا سامري؟!**﴾[5] فقد كان همه -عليه السلام- معرفة السبب الذي جعل السامري يعبد بني إسرائيل العجل، وليس مناداته؛ فما النداء هنا إلا زيادة تخصيص وتوجيه للسؤال وما يحويه من دلالات تقريع وإنكار إلى المتلقي.

ومنه قوله تعالى لموسى ،عليه السلام، وقد تقدم على قومه شوقاً للقاء ربه، ففتنهم السامري وعبدهم العجل: ﴿**وما أعجلك عن قومك يا موسى؟!**﴾[6] فقدم الله السؤال على النداء، لأهمية الرسالة القارة فيه والتي يريد إيصالها للمتلقي، ولان بنية السؤال ذاتها تحوي ضميراً يتوجه فيه الخطاب إلى المتلقي دون حاجة إلى مناداته، فالمعنى التوصيلي المباشر كان من الممكن ان يكتفي فه بقوله: (وما أعجلك عن قومك؟)، ولكن اتباع هذا السؤال بتركيب النداء فيه زيادة شحن وتأجيج للدلالات القارة في السؤال.

---

(1) آل عمران/٣٧.

(2) آل عمران/(٩٨-٩٩).

(3) يوسف/١١.

(4) يوسف/٣٩.

(5) طه/٩٥.

(6) طه/٨٣.

وقول قوم إبراهيم له: ﴿**أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم؟!**﴾[1]،إنه خطاب رتبت عناصره ترتيباً يحاصر المتلقي ليستل منه الاعتراف، والنداء أحد هذه العناصر، وفيه بوح بهوية المخاطب، التي سبق أن غلفت بضمير منفصل (أنت) وضمير متصل (فعلت)، إنهم يحاصرون إبراهيم بكل ما يمكن أن يعود اليه، متوجين هذا الحصار بندائه، الذي يعج تهديداً واتهاماً.

وبهذا يتضح أن استهلال السؤال ببنية النداء فيه توجيه لاهتمام المنادى وتأمله إلى السؤال، بينما يلاحق السؤال المنادى حين يتقدم عليه.

وتتكرر بنية النداء في دعاء الأنبياء وعباد الله الصالحين مقتصرة على مناداة الله،عز وجل، ويوحي هذا التكرار بتعلق رجاء المنادي بالمنادى، واستشعاره لقربه، ورغبته في تكرار ذكره حباً وأملاً وإلحاحاً، ومن ذلك: ما جاء في دعاء إبراهيم ،عليه السلام:

﴿**وإذ قال إبراهيم: رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبني وبني أن نعبد الأصنام. رب إنهن أضللن كثيراً من الناس، فمن تبعني فإنه مني، ومن عصاني فإنك غفور رحيم. ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرّم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون. ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن، وما يخفى على الله من شيءٍ في الأرض ولا في السماءِ. الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي سميع الدعاء. رب، اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا، وتقبل دعاءِ، ربنا، اغفر لي ولوالديّ وللمؤمنين يوم يقوم الحساب**﴾[2].

لقد كرر إبراهيم ،عليه السلام، في كل فقرة من فقرات دعائه الخاشع المنيب تركيب النداء (رب) أو (ربنا)، وكأنها همزة وصل يسعى أن يحملها خطابه مستشعراً لذة مناجاته لله، عز وجل، مظهراً رغبته في التواصل المستمر الذي لا يعرف الانقطاع. إنه يكرر نداءه قبل أن ينهي عبارته، فهو يضع تركيب النداء بين الطلب (واجنبني وبني أن نعبد الأصنام) وعلته (رب إنهن أضللن كثيراً من الناس). كما يضعه في قلب جملته الخبرية قبل ان يصرح بطلبه (ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليه).

---

[1] الانبياء/٦٢.

[2] ابراهيم/(٣٥-٤١).

ويعلل سيد قطب سبب اختيار سيدنا إبراهيم صفة الربوبية في دعائه فيقول: "إنه لا يذكر الله -سبحانه- بصفة الألوهية، إنما يذكره بصفة الربوبية. فالألوهية قلما كانت موضع جدال في معظم الجاهليات، وبخاصة في الجاهلية العربية، إنما الذي كان دائماً موضع جدل هو قضية الربوبية، فهي القضية العملية الواقعية المؤثرة في حياة الانسان، وهي مفرق الطريق بين التوحيد والشك في أرض الواقع، فإما ان يدين الناس لله فيكون ربهم، وإما أن يدينوا لغير الله فيكون غيره ربهم، والقران وهو يعرض على مشركي العرب دعاء أبيهم إبراهيم، والتركيز فيه على قضية الربوبية، كان يلفتهم إلى ما هم فيه من مخالفة واضحة لمدلول هذا الدعاء"[١].

كما تكررت بنية النداء في عدد من الخطابات التي وجهها الأنبياء إلى أقوامهم، وتمثلت في قوله (يا قوم) التي تؤكد العلاقة الرابطة بين الرسل وبين من يخاطبونهم بكل ما توحي به من حرص وصدق وولاء، ومن ذلك ما جاء في خطاب هود لقومه: ﴿**وإلى عاد أخاهم هوداً قال: يا قوم، اعبدوا الله مالكم من إله غيره إن انتم إلا مفترون. يا قوم، لا أسألكم عليه أجراً؛ إن اجري إلا على الذي فطرني. أفلا تعقلون؟! ويا قوم، استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً، ويزدكم قوة إلى قوتكم، ولا تتولوا مجرمين**﴾[٢]. إنه يلاحقهم بتكرار نداءاتهم ليدفعهم إلى تأمل خطابه وتنفيذ ما فيه، مظهراً بهذا التكرار رغبته في هدايتهم وخوفه عليهم من السير قدماً في طريق الضلال.

وقد تتجاور بنى النداء فلا يفصل بينهما فاصل، ويوحي هذا التجاور بزيادة رجاء وتعلق بالمنادى. وجاء هذا الأسلوب في موطنين؛ الأول: في دعاء عيسى،عليه السلام، : ﴿**اللهم ربنا، أنزل علينا مائدة من المساء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك، وارزقنا وأنت خير الرازقين**﴾[٣].

إنه ،عليه السلام، يتأدب في عرض مسألته أدب العبد الخاضع الراجي مع ربه، فيناديه بما يظهر يقينه: (يا الله، يا ربنا) وكأني به يتعجل في اظهار اعترافه واقراره خجلاً من الله ووجلاً لما في طلبه -الذي حمله الحواريون ثقله- من تشكيك خفي لا ينبغي أن يكون بعدما رأوا من معجزاته -عليه السلام، ما رأوا، وأسلموا له.

---

(١) سيد قطب، في ظلال القران، ج٤، ص٢١١١.

(٢) هود/(٥٠-٥٢).

(٣) المائدة/١١٤.

وتكرر هذا الأسلوب في حوار رئيس السقاة مع يوسف عليه السلام: ﴿**يوسف، أيها الصديق، أفتنا في سبع بقرات سمان، يأكلهنّ سبع عجاف**﴾[١] إنه يستهل خطابه بمناداته باسمه (يوسف)، وتكشف القراءة الارتدادية لحوار سابق دار بين المنادي والمنادى في السجن [٢] الدلالات القارة في بنية النداء؛ ففي ندائه يمتزج الخجل بالرجاء وطلب الصفح، لأنه نسي طلب يوسف إليه أن يذكره عند الملك. وكأني به يقترب من يوسف ممسكاً بيديه طالباً منه السماح وقبول العذر، ولذا غابت أداة النداء، غيبها القرب المادي والمعنوي الذي حققه المنادي.

وأتبع لفظ (العلم) بلفظ اللقب تأدباً معه،عليه السلام، واحتراماً له، وكأنه استثقل أن يناديه باسمه فقط وقد خبر علو فضله وسعة علمه وصدق كلامه، فاتبع اسمه بلقب يظهر استشعاره بمكانة يوسف وتميزه (أيها الصديق) مستخدما صيغة المبالغة في وسمه بهذه الصفة. ولعل رئيس السقاة يباغت يوسف بهذا الاستهلال الذي اختاره لخطابه وقد ذكر فيه اسمه ولقبه؛ لينبه يوسف،عليه السلام، إلى صحبته له سابقاً، ومعرفته به وبحاله، وليلفت ذاكرته إلى الوراء؛ إلى تأويله لرؤياه، وصدقه فيه، فقد مضى على فراقهما زمن طويل تتغير فيه الملامح ويخيم على أحداثه النسيان.

كما عكس هذا الأسلوب المركز في النداء لهفة المنادي، وحرصه على من يناديه، وتعلقه به، فقد كان رئيس السقاة حريصاً على تأويل رؤيا الملك التي أعجزت الناس، وهو على يقين بأن يوسف ،عليه السلام، الوحيد القادر على هذا التأويل، فقد سبق أن فسر له ولصديقه حلميهما، وتحقق ما قاله على أرض الواقع. ولذا نراه يتحدى الملأ بأنه سيأتي لهم بالتأويل اليقين: ﴿**أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون**﴾[٣] فما كان منه إلا أن أسرع إلى يوسف بلهفة وأمل ورجاء جسمها الأسلوب الذي قولب فيه نداءه.

وتنوعت دلالات الكلمات التي وقع عليها فعل النداء، فقد ينادي أحد الأطراف الطرف الآخر باسمه، ومن ذلك: مناداة الله -عز وجل- الأنبياء بأسمائهم باستثناء محمد -صلى الله عليه وسلم- فقد ناداه بقوله: ﴿**يا أيها النبي**﴾[٤] ولم يناديه باسمه قط، وفي هذا اعتراف من الله بنبوته واكرام له أمام معاصريه الذين يتابعون معه نزول الوحي، وارشاد وتوجيه لهم بكيفية

---

[١] يوسف/٤٦.

[٢] ينظر هذا الحوار في سورة يوسف/(٣٦-٤٢).

[٣] يوسف/٤٥.

[٤] الانفال/٧٠.

مخاطبته -عليه السلام- فقد نهاهم الله ان ينادوه باسمه مجرداً كما ينادون بعضهم بعضا، قال تعالى: ﴿ **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً** ﴾[١]

ومن دعاء الله الأنبياء بأسمائهم ما جاء في قوله مخاطباً موسى عليه السلام: ﴿**وما تلك بيمينك يا موسى؟**﴾[٢]، وقوله: ﴿**ألقها يا موسى**﴾[٣]، وقوله: ﴿**قد أوتيت سؤلك يا موسى**﴾[٤] إنه -عز وجل- ينادي موسى في الخطاب ذاته بعد أن يطرح عليه السؤال، ويناديه بعد أن يأمره بتنفيذ فعل ما، ويناديه بعد أن يبشره بقبول دعائه. وكأنه بهذا النداء يبث الأمن والطمأنينة في نفس موسى ويؤنسه، فقد كان -عليه السلام- خائفاً مضطرباً من هذا الحوار المفاجئ مع الله عز وجل.

ومنه قوله تعالى مخاطباً آدم مستهلاً خطابه بمناداته باسمه الذي اختاره له، مبرزاً الدور الذي سيؤدّيه هذا المخلوق الجديد: ﴿**قال: يا آدم، أنبئهم بأسمائهم**﴾[٥]، وأفادت مناداة المخاطب باسمه تخصيصه وتمييزه عن غيره.

ومثاله مناداة الملائكة لمريم -عليها السلام- وتكرار هذا النداء:

﴿**وإذ قالت الملائكة: يا مريم، إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين. يا مريم، اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين**﴾[٦].

وقد يغيب المنادي اسم مخاطبه داعياً إياه بلفظة تدل على طبيعة العلاقة الرابطة بينهما، ومن ذلك: استهلال هارون خطابه مع موسى بقوله (ابن أمَّ)* وذلك ادعى إلى العطف والرقة وإثارة الشفقة في نفس موسى ،عليه السلام، الذي تملكه الغضب والأسف فاخذ يجر أخيه بعنف كما ظهر في المشهد الآتي: ﴿**ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال: بئسما خلفتموني من بعدي. أعجلتم أمر ربكم؟! وألقى الألواح، وأخذ برأس أخيه يجره إليه، قال: ابنَ**

---

(١) النور/٦٣.

(٢) طه/١٧.

(٣) طه/١٩.

(٤) طه/٣٦.

(٥) البقرة/٣٣.

(٦) آل عمران/(٤٢-٤٣).

* : (ابن أم) قرئ بالفتح، وبالكسر على طرح ياء الاضافة. وابن أمي (بالياء). وابن أمِ (بكسر الميم). (ينظر الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص١٥٥).

أمَّ، إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني، فلا تشمت بي الأعداء، ولا تجعلني مع القوم الظالمين﴾(١).

ودعوة نوح لابنه بقوله: **﴿يا بنيّ، اركب معنا ولا تكن من الكافرين﴾**(٢) إنه ،عليه السلام، لا يناادي ابنه باسمه، وإنما يناديه بنسبه، تحفزه عاطفة الأبوة إلى هذا الاختيار؛ فكلمة (بني) توحي بالعطف والحرص والشفقة والحب التي يكنها المنادي للمنادى.

وتشابه ايحاءات كلمة (قوم) التي جاءت في خطابات الأنبياء مع أقوامهم الإيحاءات السابقة، فاختيارها وتكرار هذا الاختيار يوحي بحرص الأنبياء على التحبب لأقوامهم وملاطفتهم، وتذكيرهم بطبيعة العلاقة الرابطة بينهم، فهم ينتمون اليهم، ويعيشون معهم، وهذا يعني أنهم حريصون على مصلحتهم ويريدون خيرهم، لعلّ هذا يدفع أقوامهم إلى تصديق دعوتهم والإيمان بها. نمثل على ذلك بما جاء في خطاب نوح لقومه:

﴿قال: يا قوم، أرأيتم إن كنت على بينة مت ربي وآتاني رحمة من عنده، فعميت عليكم، أنلزمكموها وأنتم لها كارهون؟! ويا قوم، لا أسألكم عليه مالاً، إن اجري إلا على على الله، وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقو ربهم، ولكني أراكم قوماً تجهلون. ويا قوم من ينصرني من الله إن طردتهم، أفلا تذكرون؟! ﴾(٣)

كما خاطب يوسف -عليه السلام- الفتيين السجينين بقوله: **﴿يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار؟! ﴾**(٤) إنه لم ينادهما باسميهما، وإنما يناديهما بما يشف عن ارتباطه بهما واحترامه وتنزّله لهما، إيناساً لنفسيهما، وتمهيداً لوعظهما ودعوتهما. فقد خاطبهما بأنهما رفيقاه في السجن، أي عشيراه في المحنة والهمّ.

وقد ينادي أحد الأطراف الطرف الآخر واسماً إياه بصفة ما توحي بموقفه تجاهه، كقوله تعالى مخاطباً الكافرين يوم القيامة: **﴿وامتازوا اليوم أيها المجرمون﴾**(٥) فقد وسمه بالمجرمين توبيخاً لهم على كفرهم وضلالتهم وتقريعاً وتعذيباً.

---

(١) الأعراف/١٥٠.

(٢) هود/٤٢.

(٣) هود/(٢٨-٣٠).

(٤) يوسف/٣٩.

(٥) يس/٥٩.

ودعوة قوم فرعون لموسى بـ (أيها الساحر) في قولهم: (يا أيّه الساحر، ادع لنا ربك بما عـــهد عندك إننا لمهتدون) وتبرز تناقضهم وإصرارهم على تكذيبه، فكيف تتفق تسميته بالســـاحر مـــع قولهم﴿**إننا لمهتدون؟!**﴾[١]؛ انه وعد منوي إخلافه، وعهد معزوم على نكثه [٢].

وقول الكافرين للرسول -صلى الله عليه وسلم-: ﴿ **يا أيها الذي نزل عليه الذكـر إنـك لمجنون**﴾[٣] انهم يقرون بنزول الذكر عليه وينسبونه إلى الجنون، ويبرز هذا التناقض الواضـــح في الدلالات التي يحويها الخطاب استهزاءهم وتهكمهم من الرسول وما جاء به.

وقد يحاصر المنادي متلقيه باسمه وبصفته كما جاء في قول قوم مريم -عليها الســـلام- حين اتهم تحمل طفلاً بين ذراعيها: ﴿**قالوا: يا مريم، لقد جئت شيئاً فرياً. يا أخـت هـارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً**﴾[٤] حيث جسم تكرار النداء صراخهم المتعالي علـــى مريم وما فيه من توبيخ واستهجان، فقد حمل التركيب الأول (يا مريم) مشاعرهم المتأججة إليـــها لصفعها بها، ولحقه تركيب آخر يحيلها إلى علاقتها مع امثل بني إسرائيل والتي تستوجب منـــها ألا تلطخ شرفها، فقولهم (يا أخت هارون) يبرز التضاد الشنيع بين ما يتوقع أن يكون من مريـــم وما وقع منها.

وجسم النداء في عدد من الخطابات انفعالات المتكلم وأحوال نفسه وعواطفها من حـــب وبغض وحسرة وأسف ولذة إنتي آخر ما يتصرف فيه اللسان في هذا البـــاب، دون أن يوجهـــها إلى أي طرف، فيخرج النداء عن معناه في استنطاق التلبية إلى دلالات يكشفها البعد الانفعـــالي المخيم على الشخصية، الذي نستشفه من السياق.

ومن ذلك: قول الرجل الذي التقط يوسف -عليه السلام- من البئر: ﴿**يا بشرى، هـذا غـلام**﴾[٥] إنه ينادي البشرى، كأنه يقول لها: تعالى، فهذا وقتك، وفيه تعبير عن فرحته الغامرة الممتزجـــة بالتعجب الناتج من عثوره على غلام جميل بهي الطلعة بحبل الدلو. وهذا يعني رزقاً ســـيناله من بيع الغلام الذي حصل عليه دون مشقة.

---

[١]: الزخرف/٤٩.
[٢]: الزمخشري، الكشاف، ج٤، ص٢٥٠.
[٣]: الحجر/٦.
[٤]: مريم/(٢٧-٢٨).
[٥]: يوسف/١٩.

ومقابل صيحة الفرح هذه تقف صيحة تتعلق بالغلام نفسه؛ صيحة أب حزيـــن لفقـــدان ابنه، فها هو يعقوب -عليه السلام- ينفث تنهيدة ألم ولوعة يقولبها في تركيب النــــداء: ﴿**وتـولى عنه وقال: يا أسفا على يوسف. وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم**﴾[١] انه ينادي الأســـف، وهو أشد الحزن والحسرة، مضيفاً اياه إلى نفسه؛ فالألف بدل من ياء الإضافة.

ويشير الزمخشري إلى التجانس المطبوع بين كلمتـــي (يوســـف) و (الأســـف) فيقـــول: "والتجانس بين لفظتي (الأسف) و(يوسف) مما يقع مطبوعاً غير متعمد فيملح ويبدع" [٢].

وهكذا فقد أدى تركيب النداء في بنية الحوار القرآني دورين رئيسيين؛ **الأول**: دور لفـــت انتباه السامع وتأمله إلى الرسالة الكلامية التي يريد إيصالها اليه، ويتم هذا اللفت بمناداته باســـمه أو بصفته أو بلقبه.

ويتمثل الدور الثاني: في قولبة أحوال النفس وعواطفها ومشاعرها المتأججة لما في النداء من مد الصوت يستوعب صيحات الانفعال التي يطلقها المتكلم.

---

(١) يوسف/٨٤.

(٢) الكشاف، ٢/٤٧٧.

الفصل الثالث

ملامح أسلوبية في لغة الحوار القرآني

☙ إنزياحات ودلائل ☙

- التقديم والتأخير
- التكرار
- الحذف
- الإلتفات

التقديم والتأخير *

التقديم والتأخير سمة بارزة في الحوار القرآني، فظروف المقام التي سيق فيها التخاطب فقد تقتضي عدول الإلفاظ عن مواقعها ومراتبها الأصلية فيقدم المتكلم ما حقه التأخير ويؤخر ما حقه التقديم.

---

* من المباحث الهامة التي حظيت بعناية النحاة والبلاغيين والمفسرين وعلماء الأسلوب القرآني قديما وحديثاً. إن النظرة المتبعة للتقدم والتأخير نحوياً وبلاغياً تظهر أن سيبويه هو أول من لفت الأنظار إلى معنى التقدم والتأخير وسره البلاغي حين تكلم عن الاهتمام والعناية في المفعول والفاعل [الكتاب ٣٤/١]. ونص الأخفش والفراء في تفسيريهما للقران على مواضع التقديم والتأخير في القران [الفراء، معاني القران، ٩٢/١، ١٨٤، ١٩٥، ٢٣٨ وغيرها، والأخفش، معاني القران ، ٢٤٦/١، ٢٤٩، ٢٦١، ٤٥٠ وغيرها]. ثم جاء المبرد فوضع قواعد التقدم والتأخير معتمداً على المعنى دون الالتفات إلى الناحية البلاغية غالباً (المقتضب، ٩٥/٣، ٩٦، ٢٠٢، ٢٠٣. ٨٧/٤، ٨٨، ٨٩، وغيرها) وبحث ابن جني التقديم والتأخير ما يجوز منه وما لايجوز، وما يقبله القياس موافقاً لمنهج النحاة في كتابه الخصائص (٣٨٢/٢-٣٩٠) لكننا نراه ينهج نهج البلاغي الذي يهمه المعنى، ويغيبه التقدم وبلاغته في كتابه (المحتسب) (٦٥/١، ٦٦، ١٣ وغيرها). وبزّ الجرجاني من سبقه ولحقه في معالجة ظاهرة التقديم والتأخير، فقد فصل حالات التقدم والتأخير في الاستفهام والنفي والاثبات، وقد اخذ على العلماء اكتفاءهم بتفسير المقدم للأهمية والاعتناء مبيناً ضرورة تفسير هذه الأهمية وبيان سببها وذلك في كتابه (دلائل الأعجاز). وعمم الزمخشري في تفسيره حالات التقدم والتأخير في القران غرض الاختصاص. وناقش السكاكي هذه الظاهرة معتمداً على هدف المتكلم وحالته النفسية ومدى جمال هذا التركيب لدى المستمع. ولكنه عارض الزمخشري في عرض الاختصاص مرجحاً غرض الاهتمام والعناية. وظهرت العلاقات المنطقية في دراسة ابن الأثير للتقدم والتأخير كتقدم الكثرة على القلة، والعلاقة بين السبب والمسبب. وتوج أبو حيان هذه الجهود في تفسيره (البحر المحيط) فقد حلل وجوه التقدم والتأخير، واكد التقدم للاهمية. ولم يقتصر البحث في هذا الموضوع على النحاة والبلاغيين بل تناوله المفسرون والمهتمون بعلوم القران، فالزركشي عقد فصلاً لاسباب التقدم والتأخير وفصلاً آخر لبيان أنواعه (البرهان في علوم القران، ٢٣٣/٣-٢٨٣) وقد اعتمد على السباق في معرفة سبب التقدم والتأخير، في حين لم يعتمد علماء البلاغة على السياق اعتماداً واضحاً ولا يكاد يستثنى من ذلك الا عبد القاهر الذي أبدع في تحليل الأساليب البلاغية. كما تعرض عدد من الدارسين المحدثين لقضية التقدم والتأخير مؤيدين آراء القدماء شارحينها ومصنفينها حيناً كما فعل محمود السيد في كتابه (أسرار التقدم والتأخير في لغة القران الكريم) وحميد احمد العامري في كتابة (التقدم والتأخير في القران الكريم)، ومنهم من رفض ان يكون لهذه المسألة اثر في المعنى حيناً آخر كما فعل ابراهيم انيس في كتابه (من اسرار اللغة) فقد حمل على سيبويه والجرجاني رافضاً ان يكون للتقدم اثر في المعنى، فاللجوء الى التقدم في النثر ليس من الاساليب الصحيحه عنه، وما جاء في القرن انما هو رعاية للفاصلة. ومن الدارسين من تعرض لدارسة الاسس النفسية لاسلوب التقدم والتأخير كما فعل محمد ناجي في كتابه(الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ص ١١٢-١١٧) ومنهم من حاول دراسة هذا الاسلوب ضمن حلة جديدة كما فعل خليل عمايره في كتابه (في نحو اللغة وتراكيبها، ص٥٤-٦٠) حيث حاول تفسير هذه الظاهرة بأدوات المدرسة التوليدية التحويلية.

أما التقديم الجائز فهو حر الرتبة فالمتكلم يقدم ويؤخر ليظهر معنى مـا كـان لـه ان يظهره إذا جاء بالتركيب على الاصل، ومن هنا فإن موضع اهتمامنا التقديم الجائز لما له من أثـر في المعنى.

يتضمن أسلوب التقديم والتأخير ابعاداً نفسية ونكتاً ولطائف بلاغية تتبـع مـن طبيعـة التجربة الشعورية المحيطة بالمتحاورين، والمعنى المراد نقله، والانفعال الذي يراد احداثه فـي نفس المخاطب. وهذا يعني أن ترتيب الكلمات في لغة الحوار لا يرد اعتباطاً، انه ترتيب يعكـس ترتيب المعاني في النفس، فالمعنى اذا كان مقدماً في النفس تقدم في الجملة، يقـول الجرجـاني: "فإذا وجب المعنى أن يكون أولاً في النفس وجب للفظ الدال عليـه ان يكـون مثلـه اولاً فـي النطق"[1]، فالتقديم في اللسان تابع للتقديم في الجنان.[2]

ويرى تمام حسان ان التقديم والتأخير يبرز الفرق بين اللغة العاطفية واللغـة العقليـة[3]، ففي اللغة العقلية تأخذ الكلمات هذه المواقع بينما تغادر الكلمات مواقعها الاصليـة الـى مواقـع جديدة مغيرة بذلك نمط الجملة، ناقلة معناها الى معنى جديد يعكس انفعال المتكلم وحالته النفسـية وموقفه من السامع.

تقوم مسألة التقديم والتأخير في علم النحو العربي وقوانين البلاغة العربية علـى مبـدأ أساسي هو الاهتمام بموضوع القول الرئيس، ففي كل جملة يدور المعنى حول فكـرة محـددة او شخص معين او غرض مقصود يتوجه اليه الكلام ويسبق إليه الاهتمام.

سنحاول الوقوف عند أبرز حالات هذا التكنيك اللغوي في الحوارات القرانية مبينيـن دور النسق التركيب في تقديم المعنى، فقد استطاع التقديم والتأخير أن يكون مؤشراً حساساً سجل فـي مواقف عديدة المنحنى الوجداني والانفعالي لدى أطراف الحوار راسماً صورة لغوية لها، مـبرزاً أغراضها.

---

(١): عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص٤٣.

(٢): ابن الزملكاني، التبيان في علم البيان، ص١٤٧.

(٣): تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص٥٩.

ينقسم البحث في ظواهر التقديم والتأخير في لغة الحوار القرآني إلى أربعة أقسام[١]:

- أولاً : ما قُدّم والمعنى عليه.
- ثانياً : ما قُدّم والنية به التأخير.
- ثالثاً : ما قُدّم في آية وأُخّر في أخرى.
- رابعاً : ما قُدّم وأُخّر في آية واحدة.

أولاً: ما قدم والمعنى عليه:

هذا النوع من التقديم والتأخير مقدم في الأصل، فهو في موضعه الذي جاء عليه، فالكلمة لم تغادر الكلمة موقعها الأصل في التركيب إلى موقع جديد مغيرة بذلك نمط الجملة ناقلة معناها إلى معنى جديد. ولكن حتى في الموقع الأصل نفسه توجد منازل ودرجات تتبوأها الكلمات، فقد تسبق كلمةٌ كلمةً أخرى إلى حيز الوجود الكلامي لغايات ترتبط بالسياق.

ذكر الزركشي أسباب هذا النوع من التقديم، جامعاً إياها في خمسة وعشرين غرضاً منها[٢]: السبق، العلة والسببية، المرتبة، الداعية، التعظيم، الشرف، الغلبة، مراعاة اشتقاق اللفظ، الاهتمام عند المخاطب، الترقي، التحذير، التنقل .... الخ.

وقد رصدنا في الحوارات القرآنية كثيراً من الأمثلة على هذا اللون من التقديم، وحاولنا حصرها تحت أغراض تنوعت بتنوع أطراف الحوار، وغايات الحدث الحواري والمقامات التي جاء فيها نذكر منها:

البدء بتقديم الذات على الآخر لإلزام النفس قبل إلزام الغير، إظهاراً لإنصاف الخصم وتوخياً للموضوعية. وتكرر هذا في حوارات الأنبياء مع أقوامهم اتباعاً كانو أم معارضين رافضين، ومن ذلك:

قول المسيح لبني اسرائيل: ﴿ **يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم** ﴾[٣]، وقول هود عليه السلام لقومه: ﴿ **إني توكلت على الله ربي وربكم** ﴾[٤]. وقوله تعالى مخاطباً رسوله

---

[١] جهد علماء الإعجاز القرآني في حصر التقديم والتأخير في القران الكريم تحت أنواع رئيسة تتشعب إلى فروع كثيرة. وقد أخذنا بهذه التقسيمات في رصدنا أشكال التقديم والتأخير في الحوار القرآني. تنظر هذه الأنواع في (الزركشي، البرهان، ج٣، ص٢٣٨-٢٨٩).

[٢] تنظر هذه الأغراض في البرهان، (ج٣، ص٢٣٨).

[٣] المائدة/٧٢.

[٤] هود/٥٦.

صلى الله عليه وسلم: ﴿ **وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون** ﴾(١).

في الأمثلة السابقة تقدمت الكلمات المضافة إلى ضمير المتكلم العائد إلى الرسول على الكلمات نفسها المضافة إلى ضمير المخاطب؛ وذلك لكون الرسل قدوة عليهم ان يبادروا هم بفعل الشيء الذي يأمرون الناس بفعله. إلا في المثال الأخير فقد بدأ كالأمثلة السابقة له بتقديم (لي) على (لكم)، ولكن قلب التركيب في نهاية العبارة فقدم (أنتم بريئون) على أنا برئ) حرصاً على إظهار تخلصهم من تبعية أعماله.

وقد تقدم الذات على الآخر طمعاً في أجر أو مغفرة، كقوله تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿ **رب اغفر لي ولأخي** ﴾(٢). وفي مواقف الخوف والرهبة يقدم الآخر وتؤخر الذات، ومثاله: موسى، عليه السلام، مخاطباً ربه: ﴿**رب لو شئت اهلكتهم من قبل وإياي** ﴾(٣). فهو لم يقل: اهلكتني من قبل وإياهم، رهبة وخوفاً وإبعاداً لهلاك الذات وعقابها.

وظهر تقديم الذات في حوارات غير الأنبياء أيضاً، ومثاله قول زوج فرعون له: ﴿**قرة عين لي ولك** ﴾(٤) ففي تقديم (لي) على (لك) دلالة على تعلق قلب زوج فرعون بالطفل موسى ورغبتها في بقائه، وتحرزها من نسبه الحاجة العاطفية إلى فرعون أولاً، فهو طاغية عظيم السلطان لا يعبأ بأحد(٥).

وقد تترتب الكلمات ترتيباً زمنياً، ومنه قول أبناء يعقوب: ﴿**نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون** ﴾(٦). فقد بدؤوا بالجد إبراهيم وتدرجوا وصولاً إلى أبيهم يعقوب.

وقد ترتب الكلمات وفق الأولوية، ومنه قوله تعالى: ﴿ **يسألونك ماذا ينفقون قل: ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل** ﴾(٧)، إن ترتيب

---

(١): يونس/٤١.

(٢): الأعراف/١٥١.

(٣): الأعراف/١٥٥.

(٤): القصص/٩.

(٥): يقال انها اتت فرعون فقالت: قرة عين لي ولك، فقال فرعون: يكون لك فأما أنا فلا حاجة لي فيه. (الزمخشري، الكشاف، ٣/ ١٣٣.

(٧): البقرة/٢١٥.

الكلمات يعكس ترتيب الفئات التي تستحق النفقة حسب سلم الأولوية، حيث يتبوّء الوالـدان قمة هذا السلم ثم يتدرج نزولاً إلى الأقربين فاليتامى فالمساكين فابن السبيل.

وقوله تعالى على لسان عيسى ابن مريم: ﴿ **يا بني اسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد**﴾(١) في الجملة نعتان للرسول المبشر به هما: (يأتي من بعدي) و (اسمه أحمد)، وقد قدّم الوصف بالجملة الفعلية للأسبقية، فصفة (يأتي من بعدي) أسبق بالوجود من (اسمه أحمد). وجاءت كل صفة بصيغة تناسب وصفهما، فالاتيان يدل على الحركة فجاء الفعل (يأتي). والاسم يدل على الذات، فجاءت الجملة الإسمية (اسمه أحمد). والعلاقة بين الصفتين علاقة الكل بالجزء، جيء بالكل أولاً (يأتي من بعدي)، والجزء ثانياً (اسمه أحمد).

وتتنازع الكلمات الدالة على مضمون معنوي المواطن مع تلك الدالة على مضمون مادي، دالة على احتياجات أطراف الحوار واهتماماتها. ومن الأمثلة على ذلك:

قول النبي يوشع لبني اسرائيل مخبراً اياهم بصفات طالوت: ﴿ **إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم**﴾(٢) لقد قدم صفة العلم على القوة الجسدية، وذلك لأهمية اتصاف القائد بصفة العلم، لأن الجاهل غير منتفع به، وإن كان جسمياً يملأ العين جهارة.

أما ابنة شعيب، عليه السلام، فتقدم القوة الجسمية وتردفها بالقوة المعنوية في قولها لأبيها: ﴿ **يا أبتِ استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين**﴾(٣) إن تقديم (القوي) على (الأمين) دليل على ضعفهم وحاجتهم للقوة، وما قدم في الجنان قدم على اللسان، فالأب رجل مسن خارت قواه، فخرجت ابنتاه لتسقيا أغنامهم، وهذا عمل شاق لا يقوى عليه سوى الرجال، وكانتا تكرهان المزاحمة على الماء خشية الاختلاط المباشر مع الرجال. ولهذا حين قدم موسى لهما يد العون وكفاهما امر السقي بقوة ساعده، رأيت فيه الفتاة فيه القوى التي تفقدانها وتحتاجها.

---

(١): الصف/٦.

(٢): البقرة/٢٤٧.

(٣): القصص/٢٦.

كما يعكس هذا الترتيب لصفات موسى عليه السلام واقعين حياتيين، انبثق عن الأول صفة القوة، وانبثق عن الثاني صفة الأمانة[1]، أي أن الموقف الذي برزت فيه صفة القوة سبق الموقف الذي برزت فيه صفة الأمانة.

كما دل هذا الترتيب على أن الخصلتين اللتين ينبغي أن تجتمعا في القائم بأمور الضعفاء خاصة القوة أولاً والأمانة ثانياً.

وفي خطاب إبراهيم ربه داعياً قدم طلب الأمن على الرزق، لأنه الأهم، فلو فاضت الأرض بالخيرات وانعدم الأمن وساد الخوف لما تنعم الناس بهذه الخيرات. فالأمن هو البيئة التي يزهر فيها الخير والبركة: ﴿**رب اجعل هذا البلد امنا وارزق أهله من الثمرات**﴾[2].

وتتغلب الحاجة للطعام على الحاجة للطمأنينة في تعليل الحواريين طلبهم انزال مائدة من السماء: ﴿ **قالوا: نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا**﴾[3] ولعل هذا التقديم قد يوحي بتعطشهم الدائم للادلة المادية الملموسة التي تثبت صدق الرسول وما جاء به.

وقدم الامر بالأكل والشرب على الأمر بالرضا ورفض الهم والغم في قوله تعالى على لسان من نادى مريم عليها السلام من تحتها: ﴿**فكلي واشربي وقري عينا**﴾[4] وذلك مراعاة لحاجة المخاطب، فمريم عليها السلام نفساء، فقدت كثيراً من قوتها أثناء الولادة فكان تقديم أمرها بالأكل يناسب حالها، فالأكل والشرب ضروريان لاستعادة قوتها وتحقيق الأمر الثالث (قري عينا).

ويعكس ترتيب الكلمات في عدد من السياقات تنامي الصراع وتصاعد شحنة الغضب في نفس المتكلم. ومن الأمثلة على ذلك :

قوله تعالى على لسان قوم ابراهيم وقد أفحمهم وسخف الهتهم وحطّمها: ﴿**اقتلوه أو حرقوه**﴾[5] فقد بدؤوا باقتراح القتل رغبة بالتخلص السريع من ابراهيم، ثم تنامى حقدهم عليه فأرادوا أن يلحقوا به عذاباً أشد فاتبعوا الأمر الأول (اقتلوه) بأمر ثان (حرقوه)، وذلك لأن التحريق فيه قتل تدريجي للمعذب وبالتالي ألم أشد، في حين يُقضى عليه سريعاً بالقتل.

---

(١): عرفت احدى الفتاتين أمانة موسى حين أخبرته أن اباها يدعوه ليجزيه أجر ما سقى لهم، فمشى أمامها طالباً منها ان تدله على الطريق، حتى لا تلزق الريح ثوبها بجسدها فتصفه. (ينظر الزمخشري، الكشاف، ج٣، ص٣٨٩).

(٢): البقرة/١٢٦.

(٣): المائدة/١١٣.

(٤): مريم/٢٦.

(٥): العنكبوت/٢٤.

وقوله تعالى على لسان سليمان وقد غضب لغياب الـهدهد: ﴿**لأعذبنّه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين**﴾[١]. فقد بدأ سليمان تهديده بالتأكيد علـى تعذيـب الـهدهد، والتعذيب: هو التأديب بما يحتمله حال المعذب دون قتله. وتتصاعد نغمة هذا التـهديد فـتزداد درجة العقوبة فالتذبيح يعني تقطيعه وقتله. وفي هذا تحذير غير مباشـر لغـيره مـن الطيـور وتأديب. ولكن غضب سليمان لا يتصاعد أبعد من ذلك، لأنه غضب محدد يهدف إلـى تحقيـق غاية محددة فيها مصلحة ومنفعة. لذا نجده ينفي وقوع العذاب والتذبيح اذا جاءه الـهدهد بحجـة واضحة أوعذر: ﴿ **أو ليأتيني بسلطان مبين**﴾.

قوله تعالى على لسان زليخة امرأة العزيـز: ﴿**ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم**﴾[٢] حيث قدمت امرأة العزيز عقوبة السجن، ثم تتـامى الصـراع فـي داخلها فأرادت اظهار غضبها أمام زوجها، وجب التهمة عن نفسها، وتخويف يوسف، فـأردفت اقتراح السجن بإقتراح اكثر عنفاً هو تعريضه للعذاب الأليم.

كما نستشف من الترتيب السابق لأنواع العقوبة المقترحة حب امرأة العزيـز ليوسـف، وشغفها به وحرصها على سلامته وبقائه، فهي لم تبدأ باقتراح العقوبة القاسية، فقد قدمت عقوبـة السجن، ثم حين خافت افتضاح مشاعرها اقترحت عقوبة العذاب الأليم.

ولعل ترتيب العناصر في مقولة امرأة العزيز أثبت التهمة عليها، فلو كانت هي المعتـدى عليها لدفعها غضبها لكرامتها وشرفها بتقديم أقسى ألوان العقوبة الذي قد يصل إلى الأمر بـالقتل، لا بمجرد تصعيد العقوبة من السجن إلى العذاب الأليم.

وفي مقام الدعاء قد يبدأ الداعي بذكر الأسباب ويؤخر طلب النتيجـة لبيـان او لتعليـل استحقاقهم اياها. ومنه قول أهل النار لله عـز وجـل: ﴿ **ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون**﴾[٣] فهم لم يستهلوا دعاءهم بطلب الرجوع للدنيا، وإنما أخروا طلبهم بتقديـم أسبابه ليأكدوا لله عز وجل انهم أبصروا صدق وعده ووعيده، وسمعوا منه تصديـق رسـله، أو أنهم كانوا عمياً وصماً فابصروا واسمعوا.

---

[١]: النمل/٢١.

[٢]: يوسف/٢٥.

[٣]: السجدة/١٢.

وقوله تعالى على لسان المؤمنين من بني اسرائيل الذين برزوا لجالوت وجنوده: ﴿ **ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين**﴾[١] فقد تأخر طلب النصر، وتقدم طلب أسباب النصر (أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا)، للدلالة على رغبتهم في القتال، وعدم النكوص عنه، إبرازاً للفرق بينهم وبين المتقاعسين من بني إسرائيل.

وقد يكون في ترتيب الكلمات دلالة على أدب المتكلم مع المخاطب، كقول سحرة فرعون لموسى عليه السلام: ﴿ **يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى**﴾[٢] فقد خيروه أحد الأمرين، أن يبدأ هو بإلقاء ما عنده من السحر، أو أن يكونوا هم أول من يلقي. وفي بدء التخيير بتقديمه عليهم دلالة على استعمال أدب حسن معه، وتواضع له، وتنبيه على اعطاء النصفة من أنفسهم، ولعل الله ألهمهم حسن الخطاب مع موسى.

وقول لسيمان عليه السلام للهدهد وقد أخبره عن ملك بلقيس: ﴿ **سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين**﴾[٣] فقد بدأ باحتمال الصدق مؤخراً احتمال الكذب. وقال في موضع آخر: ﴿**نكروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون**﴾[٤] بتقديم احتمال هدايتها وتأخير احتمال عدم الهداية، لرغبته في حدوث الاحتمال الأول.

تقدم التركيب الاستفهامي على التركيب الندائي في عدد من الحوارات القرآنية منها:

قوله تعالى على لسان فرعون: ﴿ **فمن ربكما يا موسى؟**﴾[٥] لقد بدأ بسؤال موسى وهارون ووجه النداء إلى موسى وحده ربما لأنه الأصل في النبوة، وهارون وزيره او تابعه. ويحتمل أن يحمله مكره وسخريته على استدعاء كلام موسى دون أخيه لما عرف من فصاحة هارون والرتة في لسان موسى[٦]، أو لكون موسى محط إنكار فرعون واستهجانه لأنه تربى في قصره. وقد استهل فرعون استهل خطابه لموسى وهارن بالسؤال لأن المسؤول عنه مثار انكاره وسخريته وغيظه لإدعائه الألوهية.

---

[١] البقرة/٢٥٠.

[٢] طه/٦٥.

[٣] النمل/٢٧.

[٤] النمل/٤١.

[٥] طه/٤٩.

[٦] الزمخشري، الكشاف، ٦٥/٣.

ويتكرر هذا التقديم في قوله لموسى: ﴿ **أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى**﴾[١] دالاً على خوف فرعون مما جاء به موسى عليه السلام، وفاضحاً ما يؤرقه فإنه غالبه على ملكه لا محالة.

وفي تأخير المنادى في المثالين ابراز ايضاً لكونه آخر ما يسمعه المخاطب، لقد كان من الممكن أن يكتفي فرعون بتوجيه السؤال إلى موسى دون أن يناديه، لكونهما يتبادلان الحوار وجهاً لوجه. لكنه أردف سؤاله بنداء موسى لتوجيه اللوم والعتاب والانكار والتوبيخ اليه، أي أن النداء غاية بذاته لا مجرد وسيلة.

وقوله تعالى على لسان موسى عليه السلام : ﴿**فما خطبك يا سامريّ؟**﴾[٢] فقد تقدم التركيب الإستفهامي (ما خطبك) على التركيب الندائي (يا سامريّ) لكون السؤال مثار اهتمام موسى، عليه السلام، وإنكاره وغضبه، فالسامريّ صنع عجلاً وأمر بني إسرائيل بعبادته ففعلوا. فتوجه موسى اليه بالسؤال الإنكاري والتوبيخي: ما خطبك؟.

وقوله تعالى مخاطباً موسى: ﴿**وما أعجلك عن قومك يا موسى**﴾[٣] حيث تقدم التركيب الاستفهامي (ما أعجلك عن قومك) على التركيب الندائي (يا موسى) لتنبيه موسى، عليه السلام، على مافي ا لسؤال من دلالات وأبعاد عميقة. فقد أراد الله تعالى بسؤاله عن سبب العجلة أن يعلم موسى أدباً من آداب السفر، وهو وجوب تأخر القائد عن قومه في المسير ليكون نظره محيطاً بطائفته، وهذا المعنى لا يحصل في تقدمه عليهم.

ومثله قوله تعالى مخاطباً موسى: ﴿ **وما تلك بيمينك يا موسى**﴾[٤] فقد تقدم الاستفهام لإثارة المخاطب وتنبيهه للعصا التي يحملها بيمينه، لما سيكون لا من شأن عظيم في مواجهة فرعون وقومه. وبهذا يتضافر التقديم والسؤال في إثارة انتباه المتلقي وتامله إلى شيء لم يتنبه إليه من قبل، وقد أضحى غاية في ذاته لا مجرد وسيلة.

---

(١): طه/٥٧.

(٢): طه/٩٥.

(٣): طه/٨٣.

(٤): طه/١٧.

وتقدم الأمر على النداء في عدد من المشاهد الحوارية لأهمية تنفيذ الفعل والتعجيل في انجازه ومن ذلك ما جاء في:

قوله تعالى: ﴿**وامتازوا اليوم أيها المجرمون**﴾[١] حيث تقدم فعل الأمر (امتازوا) على التركيب الندائي (أيها المجرمون) لتنفيذ الفعل بسرعة تحقيرا وتقريعا.

قوله تعالى على لسان فرعون: ﴿**فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا**﴾[٢] فقد تقدم فعل الأمر (أوقد) على التركيب الندائي (يا هامان) عاكسا طريقة كلام الجبابرة والمتسلطين على الحكم، فهم غالبا ما يستهلون كلامهم بإلقاء الأوامر على أتباعهم للإسراع في تنفيذها. كما يدل هذا التقديم على السخرية والاستخفاف بموسى ودعوته والرقة في تحديه، والتدليل على سهولة تنفيذ أي شيء يريده فرعون، وذلك لإحساسه بالعظمة والجبروت.

وتقدم الأمر على النهي لغايات متنوعة ترتبط بأطراف الحوار، ومن الأمثلة على هذا الأسلوب:

قوله تعالى مخاطبا آدم وزجه ﴿ **ويا آدم اسكن وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين**﴾[٣] فقد تقدم فعل الأمر (اسكن، فكلا) على النهي (لا تقربا) تكريما لهما، فالنفس تنفر من استهلال مخاطبتها بالنهي. لقد استهل الله خطابه بنداء آدم عليه السلام، ممهدا لنقل خطابه، الذي يحوي أمرين، الأول: أسكن، والثاني: فكلا وفي الامرين مصلحة لادم وزوجه وتكريما لهما. وانهى خطابه بنهيهما عن الاقتراب من شجرة معينة. وهذا يوحي بسعة كرمه عز وجل الذي يعطي بلا حدود، ويأمر الناس بأخذ هذا العطاء والاستفادة منه، جاعلا النهي عن الاخذ من عطائه في زاوية متنحية متأخرة في الخطاب.

قوله تعالى على لسان نوح، عليه السلام، وهو ينادي ابنه من فوق السفينة: ﴿ **يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين**﴾[٤] حيث تقدم الأمر بالركوب (اركب) على النهي (لاتكن مع الكافرين) لحرص نوح على انقاذ ابنه ونجاته من الغرق. ولنا أن نتخيل المشهد المحيط بالحوار، لقد بدأ الطوفان يغمر ما حوله بسرعة وعنف لا يسمحان بحوار طويل، فالحوار لا بد

---

[١] يس/٥٩. (امتازوا) : انفردوا عن المؤمنين، وكونوا على حدة منعزلين، وذلك حيث يحشر المؤمنون ويسار بهم إلى الجنة.

[٢] القصص/٣٨.

[٣] الأعراف/١٩.

[٤] هود/٤٢.

أن يكون موجزا ترتب فيه الكلمات ترتيبا ينقل الرسالة بدءا بأهم أجزائها. وأهم ما يريده نوح ركوب ابنه السفينة، ولذا قدم الأمر (اركب) وتلاه بالنهي حين سمح الوقت المتبقي بهذه الإضافة.

قوله تعالى على لسان شعيب: ﴿ **أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين. وزنوا بالقسطاس المستقيم. ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين**﴾[١] لقد بدأ شعيب، عليه السلام، خطابه بتقديم الأمر بالواجب، وتأخير النهي عن المحرم، لكون تنفيذ الواجب مطلب النبي، فهو يحرص على أن يقوم قومه بتنفيذ الأمر لاحتوائه على النهي عن المحرم.

وقد يتقدم النهي على الأمر تحذيرا وتخويفا، منه قوله تعالى على لسان سليمان، عليه السلام، في خطابه لملكة سبأ وقومها: ﴿ **ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين**﴾[٢] في تقديم النهي (لاتعلوا علي) دلالة على قوة سليمان التي تقهر كل قوة أمامهما، ولهذا بدأ خطابه الموجز بنهيهم عن التكبر ومجاوزة الحد معه ممهدا للأمر (وأتوني مسلمين) ليقوموا بتنفيذه بسرعة ودون تردد.

وقول الذين كفروا لبعضهم البعض متناصحين: ﴿ **لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون**﴾[٣] في تقديم النهي (لاتسمعوا) على الأمر (الغوا فيه) دليل على خوفهم من تأثير القران على سامعه، فالنهي عن سامع القرآن أهم من اللغو فيه، لأن الإبتعاد عن المؤثر يسبق التفكير بتدميره، خاصة إذا كان التأثير قويا لا يمكن تجنبه.

وقد يتقدم النهي على الأمر لإفادة التطمين والتسرية عن قلب المخاطب، كقول الملائكة للمؤمنين حين تحضرهم الوفاة: ﴿**ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون**﴾[٤] فقد تقدم النهي عن الخوف والحزن على الامر بالبشرى تطمينا وتطهيرا للنفوس.

---

[١] الشعراء/١٨١-١٨٣.
[٢] النمل/٣١.
[٣] فصلت/٢٦.
[٤] فصلت/٣٠.

ولنا أن نتساءل لم لم يقدم النهي عن الحزن على النهي عن الخوف؟! لعل في الترتيب السابق دلالة على مراعاة الملائكة لما يختلج نفوس المؤمنين من مشاعر متباينة الاتجاه، بعضها يرتبط بما هو آت، بينما يرتبط الآخر بما قد مضى. تنهي الملائكة المؤمنين عن الإحساس بهذه المشاعر، مستهلة مقولتها بالنهي عن الإحساس بالخوف (ألا تخافوا) لكونه الاحساس المسيطر على هؤلاء المؤمنين أولا، فالإنسان حين ينتقل من المكان الذي ألفه إلى مكان آخر مجهول لا بد أن ينتابه شعور بالخوف، والخوف: غم يلحق الانسان لتوقع المكروه، وعندها سيدفعه الخوف إلى الحنين إلى المكان الذي ألفه فيشعر بالحزن على فراقه وفراق ما خلفه فيه.

وتقدم النهي عن الخوف على الجملة الخبرية للتطمين في قول شعيب لموسى عليه السلام: ﴿ **لا تخف نجوت من القوم الظالمين**﴾[1] ويعلل سر التقديم باستحضار الحالة المسيطرة على موسى عليه السلام حين قابل شعيبا لقد كان خائفا مضطربا يترقب لأنه قتل نفسا من قوم فرعون وافتضح امره، فلحقه جنود فرعون لقتله. وبعد أن اخبر شعيبا قصته، أراد شعيب ان يخفف من خوف موسى فبدأ عبارته بـ (لاتخف) قبل ان يخبره او يعلل له طلبه بعدم الخوف، لسيطرة الخوف على موسى وشفقة شعيب عليه ورحمته بحالة.

وتقدم الأمر على السبب للدلالة على سرعة تنفيذ الطلب. وظهر هذا في خطاب الله عز وجل، مع موسى، عليه السلام، في موقفين، الأول حين أمره بالذهاب إلى فرعون لهدايته: ﴿**اذهب إلى فرعون إنه طغى**﴾[2] حيث قدم فعل الامر (اذهب) على السبب (انه طغى)، فقد كان من الممكن أن يتقدم السبب على الفعل: (ان فرعون قد طغى فاذهب اليه)، ولكن أراد الله من موسى أن يسرع بتنفيذ الطلب الذي ما كان يجرؤ على فعله من قبل، وفي هذا دليل على ما طرأ على شخصية موسى من تحول، فقد أضحى رسولا يسير بهدي الله ورعايته وحفظه، يستطيع أن يقدم على أفعال لم يكن يستطيعهما، وهكذا يتحول هروب موسى من فرعون وجنوده إلى هجوم لا يعرف الفر.

وكل هذه الدلالات ما كانت لتبرز لو تقدمت جملة (انه طغى) على (اذهب إلى فرعون) لان طغيان فرعون وجبروته امر معروف عند المتلقي، لا يثيره ولا يخيفه، أما الذهاب اليه فهو الذي سيخلق الصراع في ذات موسى ليجعله يوقن بالتغيير الطارئ على شخصه.

---

(١): القصص/٢٥.

(٢): النازعات/١٧.

الموقف الثاني، تقدم الأمر على بيان السبب في قوله تعالى: ﴿ **وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي إنكم متبعون**﴾[1] فقد تقدم الأمر بالإسراء (أن إسر بعبادي) على بيان السبب (انكم متبعون) للإسراع في تنفيذ الطلب إنقاذا لموسى واتباعه، وإهلاكا لفرعون وجنوده.

وتتقدم الجملة الخبرية على التركيب الندائي للإسراع في توصيل الخبر للمنادى، مثاله ما جاء في قوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿**قد أوتيت سؤلك يا موسى**﴾[2] وذلك لتعجيل إيصال المسرة لموسى بعد أن توجه لله داعيا، فجاء تقديم الإخبار باستجابة دعوته دالة على سرعة الإستجابة، ومبرزة نعم الله التي أغدقها على موسى.

وتقديم النعت بالمفرد على النعت بالجملة في قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿**إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين**﴾[3] فقد تقدم النعت بالمفرد (صفراء) على النعت بالجملة (تسر الناظرين)، لإن صفة اللون الأصفر الفاقع صفة غريبة، وهي المسببة للسرور.

وفي الآية تقديم علانية التأخير في قوله: (فاقع لونها) فقد قدم الخبر (فاقع) على المبتدأ (لونها) لإبراز صفاتها الغريبة تعجيزا وتحديا لبني اسرائيل الذين اكثروا من الاسئلة عن ماهية البقرة وحالها وصفاتها، فأعنتهم الله بصفات غريبة نادرة خارجة عما عليه البقر.

❖ ثانيا: ما قدم والنية به التأخير:

كان النوع الأول من التقديم والتأخير مقدما في الأصل، فهو في موضعه الذي جاء عليه، أما النوع الثاني فهو مقدم علىنية التأخير، أي أن التقديم ليس أصلا فيه وإنما أصله التأخير، فهو خارج عن موضعه لتأدية أغراض معنية قصدها المتكلم.

ويتعلق هذا النوع بالمسند والمسند إليه ومتعلقات الفعل (الظروف، والجار والمجرور، والمفعولات، والحال، والتمييز، والاستثناء).

---

(١): الشعراء/٥٢.

(٢): طه/٣٦.

(٣): البقرة/٦٩.

❖ ومن أنماط هذا النوع:

(أ) التقديم والتأخير في الجملة الفعلية:

١- تقديم الفاعل على الفعل:

اقتضت الظروف المحيطة بعدد من الحوارات القرآنية أن يقدم أحد الأطراف المتحاورة الفاعل في كلامه ليؤكد نسة الفعل إلى فاعله ويحصره فيه دون ان يشكك في هذه النسبة منكرا صدور الفعل من فاعل بعينه. وكما يؤكد هذا التقديم الفاعل ويبرزه فانه يثير تطلع الطرف الآخر (السامع) لمعرفة ماذا جرى له أو حدث منه أو ما هو الحكم الذي يريد المتكلم ان يثبته للفاعل.

وقد أشار إلى هذا البعد الدلالي الذي يخلقه تقديم الفاعل عبد القاهر الجرجاني قال: "انه لا يؤتي الاسم معرى من العوامل الا لحديث قد نوي اسناده اليه، فاذا قلت: عبد الله، فقد اشعرت بذلك أنك قد أردت الحديث عنه. فاذا جئت بالحديث فقلت مثلا: قام، أو قلت: خرج، أو قلت: قدم، فقد علم ما جئت به، وقد وطأت له وقدمت الإعلام فيه، فدخل على القلب دخول المأنوس به، وقبله قبول المتهيء له المطمئن اليه، وذلك لا محالة اشد لثبوته وأنفى للشبهة وامنع للشك وادخل في التحقيق. وجملة الأمر: أنه ليس إعلامك الشيء بغتة مثل إعلامك له بعد التنبيه والتقدمة له، لأن ذلك يجري مجرى تكرير الاعلام في التأكيد والأحكام"[1].

تقدم الفاعل على فعله في الحوار القرآني في اثنين وعشرين موضعا[2]، تقدم لفظ الجلالة (الله) على الفعل في تسعة مواضع[3]. وجاء هذا التقديم على لسان الأنبياء والرسل في حواراتهم مع المعاندين والمشركين، لإبراز قدرة الله وسيطرته. فتقديم لفظ الجلالة على الأفعال يؤكد اسنادها للفاعل وقصرها عليه دون غيره، فهذه الأفعال مخصصة بالفاعل وحده لا شريك له، بحيث لا يستطيع أن يقوم بها فاعل سواه. ومثاله تقديم لفظ الجلالة على الفعل في قول إبراهيم، عليه السلام، لقومه منكرا عليهم عبادة الأصنام: ﴿ **أتعبدون ما تنحتون. والله خلقكم وما تعملون** ﴾[4] وأفاد هذا التقديم تأكيد إسناد الخلق إلى الله، فهو الذي خلقهم وخلق ما يعبدون ولهذا فهو من يستحق العباده وحده. ولعل إبراهيم عليه السلام بهذا التقديم أيضا ان

---

(١) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص(١٠١-١٠٢).

(٢) هذه المواضع هي: البقرة/٢٤٧، آل عمران/٤٧، هود/٨٧، سبأ/٣٢، الجن/١٠، الأنعام/٦٤، يونس/٣٤،٣٥،٥٩، الفرقان/٥،١٧، يوسف/٢٦،٣٠، المائدة/١١٦، الأنبياء/٦٢، الصافات/٩٦، الحجرات/١٧، الأعراف/١٥٦، النمل/٣٦،٣٩،٤٠.

(٣) هذه المواضع هي: البقرة/٢٤٧، آل عمران/٤٧، الأنعام/٦٤، يونس/(٣٤،٣٥،٥٩)، الصافات/٩٦، الحجرات/(١٦،١٧).

(٤) الصافات/(٩٥،٩٦).

يصفع قومه بالحقيقة الواضحة التي طمست في نفوسهم بتراب كفرهم وتعنتهم، فكان التقديم بمثابة القوة التي تعمل على إزاحة التراب لكشف.

كما يكشف لنا هذا الإنزياح في التركيب عن ملمح من ملامح شخصية ابراهيم عليه السلام؛ إنه إنسان مؤمن، لا يخشى في الله لومة لائم، يواجه قومه دون خوف من بطشهم، فجاءت عبارته دليلا على ذلك، لأن في التقديم تصريح وابراز، فالفاعل يتقدم واضحا دون ان يتستر هذا الوضوح بغطاء الفعل.

ويتكرر تقديم لفظ الجلالة "الله" في الخطاب الذي لقنه الله لرسوله محمد (ص) ليتحدى به المشركين في ستة مواضع[١] منها ما جاء في قوله تعالى: **﴿قل: هل من شركائكم من يهدي إلى الحق؟ قل: الله يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون﴾**[٢] فقد لقن الله رسوله السؤال التقريري الذي يفيد تأكيد نفي وجود الفاعل (الهادي إلى الحق). ويعقب هذا السؤال الجواب الذي يبرز فيه الفاعل ويؤكد تقديمه اختصاصه وحده بالفعل (الله يهدي إلى الحق)، وهذه وسيلة من وسائل اقامة الحجة ودحض الخصم.

وتقدم الفاعل (لفظ الجلالة) في الإجابة عن الأسئلة الإنكارية المتعلقة بكيفية حدوث فعل خارق لحدود القدرة البشرية، وذلك لبيان ان هذه الأفعال لا شأن للبشر فيها، فهي أفعال لا تصدر الا من الله وحده. وذلك في ردين؛ الأول: رد الروح، الذي تمثل لمريم بشرا سويا، على سؤالها الإنكاري: **﴿ أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر؟! قال: كذلك الله يخلق ما يشاء﴾**[٣]، فخلق غلام دون أب أو رجل أمر خارق لا يكون إلا بقدرة فاعل يقول للشيء كن فيكون.

الرد الثاني: جاء على لسان نبي لبني اسرائيل حين سألوه منكرين أن يكون الملك لطالوت الذي لم يؤت سعة من المال، فأجابهم: **﴿والله يؤتي ملكه من يشاء﴾** [٤] فالملك بيد الله وحده يؤتيه من يشاء.

---

[١]: هذه المواضع هي: الانعام/٦٤، يونس/(٣٤،٣٥،٥٩)، الحجرات/(١٦،١٧).

[٢]: يونس/٣٥.

[٣]: آل عمران/٤٧.

[٤]: البقرة/٢٤٧.

كما يفيد تقديم الفاعل التوكيد في الوعد والضمان، يقول الجرجاني: " ومما يحسن ذلك فيه ويكثر الوعد والضمان، كقول الرجل: أنا أعطيك، أنا أكفيك أنا أقوم بهذا الأمر، وذلك من شأن من تعده وتضمن له أن يعترضه الشك في تمام الوعد، وفي الوفاء بهن فهو من أحوج شيء إلى التأكيد"[١]، ومنه قول عفريت من الجن لسليمان عليه السلام: ﴿ **أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين**﴾، وقول الذي عنده علم من الكتاب لسليمان: ﴿**أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك**﴾[٢] وذلك في اجابتهم عن سؤال سليمان: ﴿ **أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين**﴾[٣]، إن هذين المخلوقين اللذين سخرهما الله لخدمة سليمان يعد كل واحد منهما سليمان بأنه هو من سيأتيه بعرش ملكة سبأ، فجاء تقديم الفاعل "أنا" لتوكيد الوعد والضمان، وإبراز القدرة الخارقة التي يتصف كل واحد منهما بها. كما يدل هذا التقديم على الإعتداد بالنفس فتقديم الذات الفاعلة دليل على القدرة والإعتزاز والرغبة في خدمة سليمان والتسابق في تقديمها.

ويفيد تقديم الفاعل توكيد نسبة الفعل إلى الفاعل المقدم لتوكيد نفي صدور الفعل من المتكلم. ومن ذلك قول يوسف عليه السلام وقد اتهمته امرأة العزيز بأنه هم باغتصابها: ﴿**هي راودتني عن نفسي**﴾[٤]، فتكذيب المدعي يحتاج إلى توكيد، فقدم المتهم الفاعل (هي) الذي يعود على امرأة العزيز ليؤكد نسبة فعل المراودة اليها ونفيه عن نفسه.

ويتقدم الفاعل على فعله في كلام من يريد اثارة انتباه السامع واهتمامه ليستهجن وينكر صدور هذا الفعل من هذا الفاعل، مثاله قول نسوة في المدينة: (امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه)[٥]. يدل على أن الفعل (تراود) واقع لا جدل فيه، ولكن الجدل في الفاعل الذي أسند إليه الفعل، ولذا قدم الفاعل لتوكيده، ولتوكيد وقوع الفعل منه، فلوا تأخر الفاعل: (تراود امرأة العزيز فتاها)، لكان هناك نوع من الشك في نسبة الفعل إليها، أو دل على أنها تراوده بطريف غير مباشر، بمساعدة وصيفة من وصيفاتها مثلا. فعندما تقدم الفاعل دل هذا على أن امرأة العزيز هي التي تراود هذا الفتى ليس أحد غيرها.

---

(١) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص١٠٣.

(٢) النمل/(٣٩-٤٠).

(٣) النمل/٣٨.

(٤) يوسف/٢٦.

(٥) يوسف/٣٠.

إن إطلاق لقب امرأة العزيز يثير رغبة المستمع إلى معرفة ماذا حدث منها أولـــها، لأن أخبار الطبقة الحاكمة ومن حولها مثار اهتمام الشعب، فإذا صدر فعل غير لائق من أحد أفـــراد هذه الطبقة تبارت الألسنة في توكيد نسبة هذا الفعل إلى فاعله، أي أن تقديم الفاعل واقع لغـــوي يحاكي الواقع الحياتي ويعكسه.

ومن أغراض تقديم الفاعل في لغة الحوار القرآني ضمان سرعة وصول المعنـــى إلـــى ذهن السامع لتعجيل انذاره وتخويفه حينا، وتطمينه وتبشيره حينا اخر، ومن ذلـــك قولـــه تعـــالى لموسى عليه السلام: ﴿ **عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء** ﴾[١].

ويتقدم الفاعل على فعله في الاستفهام اذا كان الشك متعلقا بالفاعل الذي قام بالفعل لحمـل المخاطب على الإقرار والإعتراف، ومن ذلك قول قوم ابراهيم وقد كسرت أصنامـــهم: ﴿ **أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم؟** ﴾[٢] إن تحطيم الاصنام قد حدث بالفعل، ولكن وقـــع الاســـتفهام عن النسبة، أكان هذا الفعل الواقع صادرا عن المخاطب (إبراهيم) أم لا.

وقوله تعالى لعيسى،عليه السلام: ﴿ **يا عيسى ابن مريم: أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله** ﴾[٣] إن اتخاذ عيسى وأمه إلهين قد حدث في الدنيـــا، ولكـــن وقـــع الاستفهام عن نسبة هذا القول لعيسى، مع علمه -عز وجل بأن هذا الفعل لم يصدر عن عيســـى عليه السلام وإنما صدر عن المشركين، فكأن تقديم الفاعل المنزه عن الفعل تقريعا لفـــاعل آخـــر صدر عنه هذا القول، ولهذا كانت إجابة عيسى عن سؤال ربـــه: ﴿ **ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته** ﴾[٤].

ويتقدم الفاعل في الاستفهام للتهكم والسخرية من المخاطب، ومنه قول قوم شـعيب: ﴿ **يا شعيب أصلاتك تأمرك ان نترك ما يعبد أباؤنا** ﴾[٥] قدم الفاعل (صلاتك) فـــي هـــذا الســـؤال الإنكاري الساخر للتهكم من تعاليم شعيب وما ينادي به ويأمر به اتباعه.

---

[١] الأعراف/١٥٦.

[٢] الأنبياء/٦٢.

[٣] المائدة/١١٦.

[٤] المائدة/١١٦.

[٥] هود/٨٧.

ويتقدم الفاعل في الاستفهام لإنكار إسناد الفعل اليه، ومنه قول الذيـــن اســتكبروا للذيـــن استضعفوا: ﴿ **أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين** ﴾[١] فقد تقـــدم الفاعل (نحن) على الفعل (صددناكم) لتبريء الفاعل المقـــدم مـــن الفعـــل فـــالصد وقـــع مـــن المستضعفين (بل كنتم مجرمين). إن إنكار إسناد الفعل للفاعل المقدم في أول العبارة تبعه تـــأكيد نسبته لفاعل آخر هو (المخاطب). ومثلــــه قولــــه تعـــالى: ﴿ **قل الله أذن لكم أم على الله تفترون** ﴾[٢]، وقولــه: ﴿ **ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول: أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل** ﴾[٣].

يقول الزمخشري في تفسيره للآية الاخيرة: "فان قلت: ما فائدة أنتم وهم؟ وهـــلا قيـــل: أضللتم عبادي هؤلاء، أم ضلوا عن السبيل؟ قلتك ليس السؤال عن الفعل ووجوده، لأنـــه لـــولا وجوده لما توجه هذا العتاب، وإنما هو عن متولية، فلا بد من ذكره وايلائه حـــرف الاســـتفهام، حتى يعلم انه المسؤول عنه"[٤]. إن تقديم الفاعل في هذا السؤال طريقة غير مباشرة لنفي اســـناد الفعل إلى الفاعل المقدم وتوكيد نسبته إلى فاعل اخر يشهد الحوار دون ان يتوجه اليه الخطـــاب فيشارك فيه، وذلك لتبكيته وتحقيه. وتكون الإجابة بالإنكار وتوجيه الاتهام باسناد الفعل للفـــاعل الحقيقـــي: ﴿ **قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا** ﴾[٥].

وقد يتقدم نائب الفاعل على الفعل في الاستفهام. من ذلك قول الجـــن: ﴿ **وإنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا** ﴾[٦] أصل الجملة قبل التقديم : (أأريد شـــر بمن في الأرض)، فقدم نائب الفاعل "شر" على الفعل المبني للمجهول "أريـــد". ويعكـــس هـــذا التقديم حيرة الجن إزاء مصير البشر. وترتبط الحيرة بهواجس الترقب وتوقع الشـــر والعـــذاب أكثر من توقع الخير. ولهذا تقدم الشر لأنه الهاجس المسيطر على الجن. وجاء الفعل بصيغـــة المبني للمجهول تأدبا من الجن في عدم نسبة الشر إلى الله، في حين نسبوا الرشد إلى الله.

---

(١) سبأ/٣٢.

(٢) يونس/٥٩.

(٣) الفرقان/١٧.

(٤) الزمخشري، الكشاف، ج٣، ص٢٦١.

(٥) الفرقان/١٨.

(٦) الجن/١٠.

٢- تقديم المفعول به:

المفعول به اسم وقع عليه فعل الفاعل، يأتي بعد تمام الإسناد. فالأصل فيه أن يتأخر عن الفعل والفاعل، ولكنه قد يتقدم على الفاعل، وعلى الفعل والفاعل معا.

ويفيد تقديم المفعول به دلالات عدة منها تأكيد وقوع الفعل عليه دون غيره: ﴿ **قل: الله أعبد مخلصا له ديني**﴾[١] فتقدم المعبود (الله) على فعل العبادة (أعبد) يدل على اختصاص فعل العبادة بالمتقدم.

ويدل هذا التقديم على القصر، وهذا لا يخرج عن التوكيد، فالقصر ليس إلا تأكيدا للحكم على تأكيد[٢]، مثاله قوله تعالى: ﴿**قال: الحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين**﴾[٣]، فقد تقدم المفعول به (الحق) على الفعل والفاعل (أقول)، وهذا يعني: لا أقول إلا الحق. وفي الجملة توكيدان: الأول توكيد بالقسم (والحق) والثاني توكيد بتكرار اللفظ نفسه وتقديمه على الفعل، والتقديم نوع من التوكيد. وفي هذا تهديد وتخويف من الله للشيطان وأتباعه، وتأكيد بتحقق هذا الوعيد.

ومن دلالات تقديم المفعول به على الفعل نفي وقوع الفعل على المفعول لسوء هذا الفعل ومحاولة المتكلم تبريء ذاته من وقوع هذا الفعل عليه، ومن ذلك قول الشياطين أو أئمة الكفر يوم القيامة متبرئين من أتباعهم: ﴿ **ما كانوا إيانا يعبدون**﴾[٤] ولم يقولوا ما كانوا يعبدوننا، لرغبتهم الشديدة في التخلص من هذه التبعة لعل ذلك يخفف جزءا من عذابهم.

ويتقدم المفعول به حين يكون مثار اهتمام المتكلم ومنه قول الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها فقال: ﴿ **أنى يحي هذه الله بعد موتها**﴾[٥] حيث تقدم المفعول به (هذه) لكونه مثار حيره هذا الرجل واهتمامه، فالصفة التي يتصف بها المفعول (خاوية على عروشها)،

---

(١): الزمر/١٤.

(٢): السكاكي، مفتاح العلوم، ص٢١٩.

(٣): ص/(٨٤-٨٥).

(٤): القصص/٦٣.

(٥): البقرة/٢٥٩.

جعلت الرجل[1] يتعجب من قدره الفاعل وامكانيته في إحياء هذه القرية، فقوله: (أنى يحي) اعتراف بالعجز عن معرفة طريقة الإحياء، واستعظام لقدرة المحيي.

وقد يوحي تقديم المفعول به على تحقيره : ﴿ **إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم**﴾. فقد تقدم الفعول به (هؤلاء) على الفاعل (دينهم) لحصر التغرير بهؤلاء دون غيرهم تحقيرا وسخرية من القائل. وأصل الجملة قبل التقديم: غر الدين هؤلاء. كما يدل هذا التقديم على كون المفعول محول اهتمام القائل؛ فالمؤمنون هم الهاجس الذي يؤرق المنافقين ويقض مضاجعهم، ويسيطر على تفكيرهم فينعكس في كلامهم، فما قدم في الجنان قدم اللسان، ونقصد بذلك كل المشاعر التي تتأجج في الصدر حبا كانت أم بغضا.

ويتقدم المفعول على الفعل والفاعل في الاستفهام الإنكاري، فيأتي المفعول به عقب همزة الإستفهام، ويتوجه الانكار إلى المفعول به المقدم، ويلزم من إنكاره إنكار الفعل.

ومن ذلك قول موسى لأتباعه وقد طلبوا منه أن يجعل لهم أصناما يعبدونها: ﴿ **أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين**﴾[2] فقد قدم المفعول به (غير الله) لإنكاره، فموسى عليه السلام ينكر أن يكون غير الله إلها لهم، وفي هذا إنكار للفعل (أبغي) أيضا. ولو تقدم الفعل لما أفاد هذا المعنى، لأن التالي للهمزة هو محط الانكار.

ومنه أيضا قول قوم ثمود منكرين اتباع صالح عليه السلام لأنه بشر مثلهم: ﴿ **أبشرا منا واحدا نتبعه**﴾[3] قدم المفعول به (بشرا) لأنه محط الإنكار فهم ينكرون أن يكون الرسول بشرا مثلهم، فالإنكار موجه إلى بشريته.

وقد تتقدم بعض المفعولات على بعضها كأن يتقدم المفعول به الثاني على الأول، أو على الفعل والفاعل والمفعول الأول وفقا للمعنى الذي في نفس المتكلم. ومن ذلك قول موسى لفرعون وقد ساله: ﴿ **فمن ربكما يا موسى؟**﴾[4] فاجابه: ﴿ **ربنا الذي أعطى كل شيء**

---

[1]: قيل أن هذا المار كان مؤمنا وهو العزيز أو الخضر، وأراد أن يعاين الإحياء كما طلبه ابراهيم. وقيل كان كافرا بالبعث لانتظامه مع النمرود في سلك (ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج١، ص٣٠٢-٣٠٣) وقد رجحت الرأي الأول. أما الاستدلال على كفرة باقتران قصته مع قصة نمرود فليس أولى من الاستدلال على ايمانه باقترانها ايضا مع قصة ابراهيم. والله أعلم.

[2]: الاعراف/١٤٠.

[3]: القمر/٢٤.

[4]: طه/٤٩.

خلقه ثم هدى﴾[١] فقد تقدم المفعول الثاني (كل شيء) على الاول (خلقه) اقرارا من المتكلم بنعم الله على عباده، فقد سخر لهم كل شيء في الكون[٢]، وتعجيلا بإظهارها اعترافا وشكرا لله ومكايدة لفرعون وتحديا اياه.

وقدم المفعول به الثاني على الفعل والفاعل والمفعول الأول في قوله تعالى: ﴿ **خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه﴾**[٣]، ولهذا التقديم دلالات منها:

- الإبراز والحصر أي لا تصلوه الا الجحيم.
- التعذيب المعنوي لذلك الكافر بتعجيل ذكر مكان العذاب.
- قطع أي بريق أمل له في النجاة؛ لأن في تقديم الجحيم دلالة على النتيجة الحتمية التي سيؤول اليها. فلو قال: ثم صلوه الجحيم، لكان في تأخير التصريح بالمكان فرصة لتوقع مكان آخر، ولكن الله يحرم الكافر من لذة هذا التوقع إمعانا في تعذيبه.

٣- تقديم المفعول لأجله:

الأصل في المفعول لأجله أن يتأخر عن فعله، ولكنه قد يتقدم للتركيز على الغاية أو سبب حدوث الفعل. كما ورد في قول ابراهيم عليه السلام لقومه: ﴿ **أإفكا آلهة دون الله تريدون﴾**[٤] فقد تقدم فيها المفعول له (إفكا) على فعله (تريدون) لانكار سبب حصول الفعل، كما تقدم المفعول به (آلهة) على الفعل، فأصل الجملة قبل التقديم: أتريدون آلهة دون الله افكا. وقد أفاد تقديم المفعول له والمفعول به إنكار لسبب عبادة الأصنام ولعبادتها.

٤- تقديم الجار والمجرور والظرف:

يدل تقديم الجار والمجرور على الإختصاص والتفصيل والتوضيح وازالة الإبهام، فهو قيد مخصص أو محدد أو مبين للحدث. ويشير تقديم الظرف إلى التركيز والإهتمام بزمان الحدث أو مكانه.

---

[١]: طه/٥٠.

[٢]: أرجح حذف الصفة في قوله تعالى: (كل شيء) اكتفاء بالتلوين الصوتي، وتقديرها: حسن أو سوي أو مفيد. ومثله قوله تعالى: (اني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم) (النمل/٢٣).

[٣]: الحاقة/(٣٠-٣١).

[٤]: الصافات/٨٦.

ويلفت النظر في ظاهرة تقديم الجار والمجرور الكثرة العددية لتلك الظاهرة وشيوعها في كلام الأطراف المحاورة، وليونتها وسهولة تنقلها بين عناصر الجملة.

❖ **ومن صور تقديم الجار والمجرور والظرف:**

● تقديم الجار والمجرور على الفعل والفاعل(١):

برزت هذه الظاهرة في كلام الرسل وأتباعهم(٢). واقتصر الاسم المجرور فيها على لفظ الجلالة ظاهرا أو مفسرا، لإبرازه وجعله موضع الاهتمام والعناية وذلك لمواجهة فئتين من المخاطبين؛ الأولى: فئة المخالفين والمتقاعسين من أتباع الرسل، والثانية: فئة الكفار الساخرين المهددين. فيكون في هذا التقديم تذكيرا وتحذيرا للفئة الأولى وتحديا ومواجهة للفئة الثانية.
ومن الأمثلة على هذا اللون من التقديم:

قول رجلين مؤمنين من قوم موسى يحاولان اقناع بني اسرائيل بدخول الارض المقدسة ومحاربة الجبارين: ﴿ **ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون، وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين** ﴾(٣)، ففي الآية تقديمان يبرزان المعنى المراد ايصاله للمخاطبين المتقاعسين، الأول: تقديم شبه الجملة (على الله) على الفعل (توكلوا) لافادة القصر وحصر التوكل على الله، والثاني: تقديم جملة جواب الشرط (على الله فتوكلوا) على جملة الشرط (ان كنتم مؤمنين) للتاكيد والحرص على تحقيق النتيجة لما لها من أهمية في تشجيع المخاطب وحثه على الفعل (ادخلوا عليهم الباب).

وقول شعيب عليه السلام لقومه وقد سخروا منه وهددوه: ﴿ **إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيق الا بالله عليه توكلت وإليه أنيب** ﴾(٤) حيث تقدم الجار والمجرور (عليه) على الفعل (توكلت)، والجار والمجرور (إليه) على الفعل (أنيب) لتوكيد حصر فعلي التوكل والإنابة بالله عز وجل، وهذا يدل على ما رسخ في يقين شعيب من كون القوة بيد الله، ولذا يرجع اليه، ويصرح بما يعتقد ليثبت نفسه ويتحدى خصمه، فالنفس تعنى بتقديم ما تعلقت به وما كان إلتفات الخاطر إليه في ازدياد.

---

(١) جاءت هذه الظاهرة في خمسة عشر موضعا هي: التوبة/٥١، المؤمنون/١١٥، يونس/٥٩،٧١،٨٤، هود/٨٨، المائدة/٢٣، الانعام/٩٣، الاعراف/٢٥، يوسف/٤٣، النمل/٣٦، الملك/٢٩، الحاقة/٣٢.

(٢) تنظر هذه المواطن في: التوبة/٥١، يونس/٥٩،٧١،٨٤، المائدة/٢٣، الملك/٢٩.

(٣) المائدة/٢٣.

(٤) هود/٨٨.

وقد لا يكون الطرف المخاطب عاصيا أو كافرا معاندا، فيكون التقديم للتذكير والتثبيت، ومنه قول موسى عليه السلام لأتباعه الذين آمنوا به على خوف من فرعون: ﴿ **يا قوم إن كنتم آمنتم فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين** ﴾(١) فموسى عليه السلام يأمر اتباعه ان يكون توكلهم على الله وحده. ويستجيب اتباع موسى الصالحين لامره، وتتمثل هذه الاستجابة بإعادة عبارته وما فيها من تقديم: ﴿ **قالوا: على الله توكلنا** ﴾(٢).

وتقدم الجار والمجرور على الفعل وفاعله في قوله تعالى لملائكة العذاب: ﴿ **ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه** ﴾(٣) لإبراز أداة العذاب وتخصيصها امعانا في تخويف الكافر، واظهارا لغضب الله منه، فالله يعجل اظهار اداة العذاب قبل الفعل لتأكيد وقوعه.

وتكرر تقديم الجار والمجرور على الفعل في قوله تعالى لإبليس وآدم وزوجه حين امرهم بالهبوط على الارض: ﴿ **فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون** ﴾ لتخصيص المكان وتحديده، واكد التكرار وحدة هذا المكان، فالأفعال (تحيون، تموتون، تخرجون) كلها ترتبط بهذا المكان دون غيره. وهذا التاكيد لا يتأتى لو قال: فيها تحيون وتموتون وتبعثون. ويعود هذا الاهتمام بالمكان لكونه محور الحدث، فالإنتقال إليه كان نتيجة لصراع الاطراف المخاطبة في المكان الأول (الجنة).

وقد يدل التقديم على احتقار ما قدم وتسخيفه، ومن ذلك قول سليمان عليه السلام في حواره مع رسل ملكة سبأ وقد جاؤوه بهديتها: ﴿ **أتمدونن بمال فما آتان الله خير مما آتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون** ﴾(٤) فقد تقدم الجار والمجرور (بهديتكم) على الفعل (تفرحون) لتخصيص الفعل، وربطه بما قدم استهزاء وتحقيرا.

---

(١) يونس/٨٤.

(٢) يونس/٨٥.

(٣) الحاقة/٣٢.

(٤) النمل/٣٦.

- تقديم الظرف على الفعل والفاعل[١]:

وقد اقتصر ذلك على ظرف الزمان. مثاله قول ملائكة العذاب للظالمين يـوم القيامـة: ﴿ **أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون** ﴾[٢] فقد تقدم ظرف الزمان (اليوم)، على الفعل المبني للمجـهول ونـائب الفاعل (تجزون) للتركيز على زمن حدوث الفعل، وذلك لكون هذا اليوم مدار تكذيب الظـالمين في الدنيا، وها هو واقع ملموس يتعذبون فيه لإنكارهم اياه. كما تقدم الجـار والمجـرور (عـن اياته) على الفعل (تستكبرون) تخصيصا وتاكيدا لتعظيم هذا الفعل وانكاره. وسبق هـذا التقديـم تقديم الجار والمجرور (على الله) على المفعول به (غير الحق). فالعبارة تعج باسلوب التقديـم والتاخير الذي يعكس انفعال الملائكة وغضبها وشماتتها بالمخاطبين فتقدم ما أنكره المخـاطبون في الدنيا لتحسيرهم.

ومنه قول إبراهيم لقومه: ﴿ **إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مـودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا** ﴾[٣]، فقد تقـدم الظـرف (يـوم القيامة) على جملة (يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا) دالا على يقين المتكلم من حـدوث المتقدم، فابراهيم عليه السلام متيقن من حدوث يوم القيامة الذي ينكره قومه، ولذا يقدمه مواجـها ومتحديا ومؤكدا. هذا بالإضافة إلى التركيز على زمن الحدث وتحديـده وتخصيصـه، ففيـه ستتغير علاقة هؤلاء الكفرة من المودة والولاء إلى الكفر والخصام واللعن.

وقد يعكس تقديم الظروف صفة من صفات المتكلم وطباعه، ففي تقديم ظـرف الزمـان (الآن) في قول بني اسرائيل لموسى بعد ان اجاب عن كل أسـئلتهم: ﴿ **الآن جئت بالحق** ﴾[٤] دليل على طبيعة بني اسرائيل، فهم يكثرون الجدل ومخاصمة الانبياء، فنفوسهم لا تتقبل الحـق الا بعد لجاج طويل. لقد ربطوا مجيئه بالحق بزمانهم الحاضر، أي ان هذا الفعل قد حدث فقـط في ذلك الوقت (الان)، وما قبل ذلك كان مثار شك يدفع إلى السؤال.

---

[١]: جاء هذا في ثلاثة مواضع: العنكبوت/٢٥، البقرة/٧١، الانعام/٩٣.

[٢]: الانعام/٩٣.

[٣]: العنكبوت/٢٥.

[٤]: البقرة/٧١.

- <u>تقديم الجار والمجرور على الفاعل[١]:</u>

ويفيد هذا التقديم التأكيد والتحديد والتفصيل. اتصل حرف الجر في جل مواطن هذا النوع من التقديم بضمائر تعود على المتكلم أو المخاطب أو الغائب وهذا يناسب طبيعة الحوار حيث ينسب المتكلم الفعل إلى نفسه أو إلى مخاطبة أو يشير إلى طرف غائب، هذا التقديم يدل على أن الإهتمام والتركيز ينصبان على من يخصه فعل الفاعل.

ومن ذلك تقدم الجار والمجرور على لفظ الجلالة (ربي أو ربنا) للدلالة على هبة أو مغفرة يمن بها الله على المتكلم ويختصه بها دون غيره، مثله قول موسى، عليه السلام، لفرعون: ﴿ **ففرت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين**﴾[٢]. وقول السحرة لفرعون وقد هددهم بالصلب: ﴿ **إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا أول المؤمنين**﴾[٣].

وقد يتقدم الجار والمجرور الذي هو جزء من الفاعل المؤخر أو بعضه للتحذير أو التخصيص، ومنه قول الرسل الموكلين بعذاب قوم لوط له: ﴿ **فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك**﴾[٤].

أو يكون المجرور هو الكل والفاعل المؤخر جزءا منه، لحقول يعقوب عليه السلام لبنيه وقد أخبروه بأن الذئب أكل أخاهم يوسف: ﴿ **بل سولت لكم أنفسكم أمرا**﴾[٥] فالنفس جزء من الأنسان، وقد فصلت في المثال السابق وتأخرت لبيان تأثيرها على المتقدم، فكأنه بهذا الفصل ينأى بأبنائه عن هذا الفعل الشنيع ويلصقه بأنفسهم الأمارة بالسوء.

---

(١): تقدم الجار والمجرور على الفاعل في المواطن الآتية: الجن/١٠، الشعراء/٢١-٥١، هود/٨١، الحجر/٦٥، يوسف/١٨، الأعراف/٧١، النمل/٢٤-٤٠، العنكبوت/٢٨، الصافات/٣١، القلم/٢٤، الحاقة/٢٨-٢٩، الجن/٢٥، طه/٦٤، طه/٩١.

(٢): الشعراء/٢١.

(٣): الشعراء/٥١.

(٤): هود/٨١.

(٥): يوسف/٨١.

وظهر هذا اللون من التقديم في سياق العذاب يوم القيامة للتخصيص والتاكيد، مثاله خطاب المتبوعين لاتباعهم في النار: ﴿ **وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين فحق علينا قول ربنا إنا لذائقون** ﴾ (١) ففي تقديم الجار والمجرور (علينا) على الفاعل (قول ربنا) دلالة على تخصيص المتقدم بالعذاب وتأكيده، وإقرار المتكلم ويقينه بوقوع فعل الفاعل عليه.

وقول من أوتي كتابه بشماله: ﴿ **ما أغنى عني ماليه. هلك عني سلطانيه** ﴾(٢) وفيه تقدم الاسم المجرور العائد إلى المتكلم على الفاعل مناسبا الدلالة على ندب الذات التي ستعذب قريبا، كما أن تأخر الفاعل في الموضعين (ماليه، سلطانيه) يلائم التعبير عن غياب المال والسلطان، ووقوف هذا الإنسان متجردا منها لا يدفع عنه العذاب شيء.

وربما شابه هذا الإحساس ببعد الفاعل أو تخليه قول بني إسرائيل لهارون: ﴿ **لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى** ﴾(٣) فقد ابتعد بنو إسرائيل عن تعاليم موسى في غيابه، وعبدوا العجل، وعكفوا عليه ناسين موسى وما جاء به من الهدى، وقد أظهر تاخير الفاعل (موسى) هذا البعد والنسيان، فما قدم في الجنان قدم في اللسان.

وقد يتعدد الجار والمجرور للتاكيد والتحديد والتفصيل كما في قول هود -عليه السلام- لقومه: ﴿ **قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب** ﴾(٤)، فتقديم (عليكم) أفاد تخصيصهم بوقوع الرجس والغضب عليهم، وتبين شبه الجملة (من ربكم) مصدر هذا العذاب.

- تقديم المفعول به والظرف والجار والمجرور على الفاعل:

كما في قول أصحاب الجنة (البستان) : ﴿ **أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين** ﴾(٥) إن الفصل بين الفعل والفاعل يلائم الدلالة على منع المساكين من دخول الجنة، هذا بالإضافة إلى تقديم المفعول به(الهاء في يدخلنها) لأهمية الجنة وحرص أصحابها عليها، وتقديم ظرف الزمان

---

(١) الصافات/(٣٠-٣٠).

(٢) الحاقة/(٢٨-٢٩).

(٣) طه/٩١.

(٤) الأعراف/٧١.

(٥) القلم/٢٤.

(اليوم) لما سيجري فيه من تغيير في التعامل مع المساكين. وتقديم الجار والمجرور (عليكم) للتخصيص والتأكيد.

- تقديم الظرف على الفاعل:

كما في قول ملأ فرعون: ﴿ **قد أفلح اليوم من استعلى** ﴾[١] لأهمية الزمان (اليوم) ففيه ستحسم القضية بالقضاء على موسى وأتباعه.

- تقديم الجار والمجرور على نائب الفاعل:

للتخصيص والتأكيد، كما في قول إخوة يوسف لأبيهم: ﴿ **يا أبانا منع منا الكيل** ﴾[٢] فالمنع خاص بهم دون غيرهم. وقوله على لسان رسوله -صلى الله عليه وسلم- : ﴿ **وأوحي إلي هذا القرآن** ﴾[٣] للتأكيد والتخصيص.

- تقديم الجار والمجرور على مفعول اسم الفاعل:

للتحديد والتفصيل والتخصيص وجاء في هذا الأسلوب ثلاثة مشاهد حوارية، فصل الجار والمجرور في اثنين منها بين اسم الفاعل (جاعل) والمفعول به وذلك في قوله:
قوله تعالى للملائكة : ﴿ **إني جاعل في الأرض خليفة** ﴾[٤]. وقوله تعالى لإبراهيم، عليه السلام: ﴿ **إني جاعلك للناس إماما** ﴾[٥].
يجمع هذين المشهدين مجموعة من الملامح المشتركة هي،فالقائل هو الله عز وجل، وسبق اسم الفاعل (جاعل) بـ (إني) الدال على التوكيد، وانتهى المفقول في المقولتين إلى حقل دلالي واحد (خليفة، إمام)، وفصل بين اسم الفاعل والمفعول بالجار والمجرور للدلالة على التخصيص والتحديد.

---

[١]: طه/٦٤.
[٢]: يوسف/٦٣.
[٣]: الانعام/١٩.
[٤]: البقرة/٣٠.
[٥]: البقرة/١٢٤.

- تقديم الجار والمجرور على المفعول به:

ويلفت النظر في ظاهرة تقديم الجار والمجرور على المفعول به الكثرة العددية لتلك الظاهرة وشيوعها في لغة الحوار القرآني، فقد جاءت في سبعة وخمسين موضعاً[1]. وتنوع الاسم المجرور فجاء ضميراً وجاء اسماً ظاهراً. ودل هذا التقديم على التوكيد والاختصاص والتحديد والاهتمام وغيرها من الدلالات الخاصة المرتبطة بالسياق.

واللافت ارتباط جل المشاهد الحوارية التي جاء فيها الاسم المجرور ضمير متكلم بسياقات الطلب أو ما يدل عليه. فالمفعول به المتأخر هو المطلوب، وقد تقدم الجار والمجرور عليه لتخصيص هذا المطلوب بالضمير المتصل بحرف الجر. ومن ما جاء في قول إبراهيم عليه السلام داعياً الله: ﴿ **رب هب لي حكماً وألحقني بالصالحين. واجعل لي لسان صدق في الآخرين** ﴾[2] ودعاء يوسف ربه: ﴿ **وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن** ﴾[3]، وقول عيسى -عليه السلام- داعياً: ﴿ **اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء** ﴾[4] فالمتكلم في هذه المشاهد يقدم ذاته على المطلوب رجاء أن يخصه الله بهذا المطلوب. ولكن قد يكون المتكلم خصم من يخاطبه فيقدم الضمير الذي يعود عليه لخصّه المخاطب بهذا الطلب تحدياً وتعجيزاً، ومن ذلك قول قوم شعيب له متحدين ساخرين: ﴿ **فأسقط علينا كسفاً من السماء** ﴾[5] وقول مشركي قريش لمحمد -صلى الله عليه وسلم: ﴿ **لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً** ﴾[6].

---

(١) هي: الكهف/٦٧،٦٩،٧٠،٧٢،٧٣،٧٥،٧٦،٧٧،٧٨،٨٢،٨٣، مريم/٥،٢٥،٢٦،٤٧، النساء/١١٨، نوح/١٣،٢٦، ص/٤٤، الأعراف/٧٢،٨٩،١٨٨، يوسف/٤،٢٥،٣٣،٦٣، الشعراء/٨٢،٨٣،٨٤،١٤٩،١٨٧، البقرة/١٣٢،١٧٠،٢٤٦،٢٤٧،٢٦٠، آل عمران/٣٨،٦٤،٨١،١٦٨، المائدة/١٧،٢٣،٢٨،١١٤، الأنعام/١٢، يونس/٨٧، إبراهيم/٣٩، الإسراء/٩٠،٩٣، النمل/٤١، القصص/٣٥، العنكبوت/١٧،٢٥،٣٠، الأحزاب/١٧، الحجرات/١٧، ق/٢٤.

(٢) الشعراء /(٨٣-٨٤).

(٣) يوسف/٣٣.

(٤) المائدة/١١٤.

(٥) الشعراء/١٨٧.

(٦) الاسراء/٩٠.

وقد يدل هذا التقديم على أدب المتكلم في حواره، ومراعاته للطرف الآخر، مثاله قول الخضر، عليه السلام، لموسى وقد طلب منه ان يصاحبه: ﴿ **إنك لن تستطيع معي صبراً** ﴾[١] فتقديم (معي) على المفعول (صبرا) يخصص المفعول ويربطه بحالة وجود موسى مع الخضر، أي أن صبر موسى سينفذ إذا رافقه، فلو قال : إنك لن تستطيع صبراً معي، لتبادر إلى ذهن المخاطب انتفاء الصبر والقدرة عليه في كل الأحوال. وفي هذا ما قد يزعجه. ولكن الخضر كان حريصاً في كلامه، فربط عدم القدرة على الصبر بوجود المخاطب معه فقط. وجاء رد موسى عليه بتقديم مماثل يدل على الاختصاص وتأكيد امتثاله للأوامر مظهراً استسلامه وحسن اتباعه ليغري الخضر بالموافقة على طلبه: ﴿ **ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً** ﴾[٢].

وقد يكون الضمير المتصل بحرف الجر ضمير مخاطب قدم على المفعول به لتذكير المخاطب باختصاصه هو دون غيره بالمفعول، أي أن الاهتمام ينصب على النسبة، ومنه قول نوح لقومه مذكراً : ﴿ **ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً** ﴾[٣]. وقول يعقوب لبنيه موصياً: ﴿ **إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون** ﴾[٤]. وقول إبراهيم لأبيه مخصاً إياه بالاستغفار رحمة وشفقة: ﴿ **سأستغفر لك ربي** ﴾[٥]؛ فالجنات والأنهار جعلها الله لقوم نوح دون غيرهم، وكذلك جعل الدين واصطفاه لابناء يعقوب، وخص والده بالاستغفار حباً وحرصاً عليه واملاً في ايمانه.

وجاء الاسم المجرور اسماً ظاهراً في عدد من المشاهد الحوارية التي يحتاج الأمر فيها إلى تصريح وتوضيح. ومن ذلك قول صالح لقوم ثمود: ﴿ **وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين** ﴾[٦] فقد تقدم الجار والمجرور (من الجبال) على المفعول به (بيوتاً) لتخصيص المادة التي بنيت منها هذه البيوت تذكيراً بنعم ا لله عليهم، وتسخيرها في ا لارض لخدمتهم حتى الجبال وهي دليل على الشموخ والتدين وفي تقديمها تعظيم وبيان لجبروت قوم ثمود وقوتهم ومهارتهم.

---

[١] الكهف/٦٧.

[٢] الكهف/٦٩.

[٣] نوح/١٢.

[٤] البقرة/١٣٢.

[٥] مريم/٤٧.

[٦] الشعراء/١٤٩.

ومنه قول شعيب لقومه وقد طلبوا منه أن يعود في ملتهم: ﴿ **قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم**﴾[1] تقدم الجار والمجرور (على الله) على المفعول (كذباً) للاستهجان والاستعظام من أن يكون الكذب مرتبطاً بعلاقتهم مع الله. وجاء هذا التقديم في احضان تقديم آخر هو تقديم جواب الشرط (قد افترينا على الله كذباً) على جملة الشرط (إن عدنا في ملتكم) وفيه زيادة تأكيد للاستهجان والرفض والانكار.

وقول الصوت الذي نادى مريم بعد أن ولدت عيسى، عليه السلام: ﴿ **فأما ترينّ من البشر أحداً فقولي: إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً**﴾[2] أفاد تقديم الجار والمجرور (من البشر) و(للرحمن) على المفعولين (أحداً، صوماً) التخصيص والربط، فقد ربط المفعول (أحداً) بالجنس البشري فأفاد بيان النوع. ونسب الصوم وخصص بأنه للرحمن، وحصر تقديم ظرف الزمان (اليوم) الفعل (لن أكلم) بالمفعول (إنسياً) أي أن وقوع عدم التكليم على البشر محصور بزمان. فالأهمية في هذا الخطاب منصبة على ما قدم: النوع، والغاية التي من أجلها يتمثل لهذا الأمر، والمدة الزمنية، وفي ذلك تحديد واضح وتخصيص يلتزم به المتلقي، لكونه نذراً ينبغي على مريم الإلتزام به حرفياً.

وقد تضاف الضمائر إلى الاسم المجرور المتقدم على المفعول به، وتتعدد تبعاً لهذا المضاف غايات المتكلم وأهدافه. ففي قول امرأة العزيز لزوجها وقد رآها تلحق بيوسف بهيئة مريبة فأرادت أن تبريء ساحتها عند زوجها مثيرة غيرته على عرضه: ﴿**ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن**﴾، فتقديم الجار والمجرور المضاف إلى ضمير المخاطب العائد إلى العزيز (بأهلك)على المفعول به (سوءاً) دلالة على مكر امرأة العزيز، فقد قدمت ما يحرص الرجل على صيانته و حمايته هو العرض لاثارته على يوسف وتبرئته ذاتها من هذه الشبهة.

وفي قول ابليس لله عز وجل متحدياً: ﴿ **لأتخذنّ من عبادك نصيباً مفروضاً**﴾[3] أفاد تقديم (من عبادك) على المفعول (نصيباً) تخصيص هذا النصيب وانتخاب عناصره ودقة الإختيار فالذين سيتخذهم ابليس نصيباً مفروضاً هم من عباد الله الذي يؤرقون ابليس ويثيرون غيرته، فيوجه مكره لهم توجيهاً خاصاً.

---

(1) : الأعراف/٨٩.

(2) : مريم/٢٦.

(3) : النساء/١١٨.

وقد أفاد تقديم الجار والمجرور المضاف إلى ضمير المخاطب في قول لوط -عليه السلام- لقومه موبخاً: ﴿ **وتأتون في ناديكم المنكر**﴾[١] استهجان المتقدم أكثر من المنكر نفسه، فالمستقبح المجاهرة بالفاحشة اكثر من الفاحشة ذاتها.

- **تقدم الجار والمجرور ووقوعه بين المفعول به الاول والثاني:**

ومثاله قول قوم شعيب له ساخرين محتقرين: ﴿ **وإنا لنراك فينا ضعيفاً**﴾[٢] أي إنا لنراك ضعيفاً فينا. فقدم الجار والمجرور وفصل بين المفعول الاول (كاف الخطاب في نراك) و المفعول الثاني (ضعيفاً) لإفادة الحصر والتخصيص من باب الفخر بالذات عن طريق ذم الاخر، فأنت ضعيف في حالة وجودك فينا لظهور قوتنا وتميزنا.

وها هو صالح،عليه السلام، يقدم الجار والمجرور تخصيصاً وتأكيداً واقراراً بالفضل فيقول لقومه: ﴿ **أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله إن عصيته**﴾[٣] فقد فصل الجار والمجرور (منه) بين المفعول به الأول (ياء المتكلم) في (آتاني) والثاني (رحمة)، لأهمية المتقدم، فصالح، عليه السلام، يريد أن يبين لقومه أن مصدر هذه الرحمة من الله، آتاه اياها دون غيره.

وقول يوسف لابيه: ﴿ **يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين**﴾[٤] حيث قدم (لي) على المفعول الثاني (ساجدين) لافادة اختصاص هذا السجود ليوسف وحده، فالذي يثير هذا الصبي ليس السجود المجرد وانما كون هذا السجود له.

تعدد الجار والمجرور الذي يتقدم على المفعول به للتوضيح والتحديد والتفصيل وغيرها من الدلالات المرتبطة بظروف الحدث الحواري. من ذلك قول إبراهيم، عليه السلام، : ﴿ **الحمد**

---

[١]: العنكبوت/٢٩.
[٢]: هود/٩١.
[٣]: هود/٦٣.
[٤]: ايوسف/٤.

لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء ﴾[1]، فتعدد الجار والمجرور الذي يفصل بين الفعل (وهب) والمفعول به (اسماعيل) له دلالة تخصيص الحالة التي وقع بها فعل الفاعل على المفعول فالله وهب إسماعيل وإسحاق لإبراهيم وهذه الهبة قد يمنحها الله على كثيرين، ولكن هبته لإبراهيم،عليه السلام، كانت خاصة تكريما له وقد حمد ابراهيم الله على هذه الهبة الخاصة مقدما أسباب خصوصيتها، فهي هبة منه لها وخصه بها، وقد جاءت في كبره حين ينقطع الأمل بالإنجاب، فكان التقديم لإظهاره هذه الخصوصية.

وقد يوحي هذا التقديم بالتفصيل والتوضيح ومن ذلك قوله تعالى مخاطبا إبراهيم،عليه السلام، وقد سأله عن كيفية إحياء الموتى: ﴿ **فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا** ﴾[2] ليريه أنه قادر على جمعها من هذه الأماكن المتباعدة المتفرقة.

تقديم الظرف على المفعول به لاهمية الدلالة والتركيز على البعد الزماني أو المكاني اللازم لإيقاع فعل الفاعل على مفعوله، ومثاله قول الصوت الذي نادى مريم : ﴿ **قد جعل ربك تحتك سريا** ﴾[3] حيث تقدم ظرف المكان (تحتك) على المفعول (سريا) تكريما لسيدتنا مريم وتطمينا لها وتسرية، بالاضافة إلى التركيز على البعد المكاني. وقول الصوت نفسه لمريم بعد ذلك ان تقول: ﴿**إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا**﴾[4] حيث قدم ظرف الزمان (اليوم) على المفعول به (إنسيا) تركيزا عليه، فالوفاء بالنذر يرتبط بأوقات محددة. عدم التكليم يرتبط بزمن مخصص هو (اليوم)، لان الوفاء بالنذور يرتبط بأوقات محددة.

---

(١) ابراهيم/٣٩.

(٢) البقرة/٢٦.

(٣) مريم/٢٤.

(٤) مريم/٢٦.

(ب) التقديم والتأخير في الجملتين الإسمية والشرطية:

أولا: التقديم والتأخير في الجملة الإسمية:

١) تقديم خبر المبتدأ عليه:

الأصل أن يتقدم المبتدأ على الخبر، ولكن قد يتأخر المبتدأ عن خبره في سياقات يهتم فيها المتكلم بما يحمله الخبر من معان فيقدمه للتنبه، أو التعجيب أو التعظيم أو استعجال الأمر وغيرها من الدلالات.

تقدم الخبر على المبتدأ في الحوارات القرآنية في ثمانية مواضع[١]، منها قول والد سيدنا إبراهيم له موبخا: ﴿**أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم**﴾[٢] فقد قدم الخبر (راغب) على المبتدأ (أنت) لان الرغبة عن الالهه كانت مثار انكاره، لا كون ابراهيم هو الراغب، لان آلهته لا ينبغي إن يرغب عنها. ولو تقدم المبتدأ : (أأنت راغب، لكان الإنكار موجها إلى إبراهيم) [٣].

وقول ملائكة العذاب للكفار المنكرين: ﴿ **أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون** ﴾ [٤] بتقديم الخبر (سحر) على المبتدأ (هذا) لأنه محط الإنكار ومدار التوبيخ، فقد كان الكفار قد ادعوا بأن الوحي سحر، فقدمت مقولتهم وقولت في قالب السؤال تذكيرا بها، فزعمهم بأن الوحي سحر أورثهم هذا العذاب.

ومنه أيضا قول موسى لأتباعه وقد طلبوا منه أن يجعل لهم أصناما : ﴿ **إن هؤلاء متبر ماهم فيه وباطل ما كانوا يعملون** ﴾ [٥] حيث قدم خبر المبتدأ من الجملة الواقعة خبرا لـ(أن) وهو (متبر)، كما تقدم خبر ما (باطل) أن يخوف موسى اتباعه ويحذرهم عاقبة ما طلبوا ويبغض اليهم ما احبوا. فتقديم خبر المبتدأ (متبر) وسم لعبدة الأصنام بأنهم هم المعرضون للتبار، وهو لهم ضربة لازب. وتقديم خبر ما (باطل) ابراز لقبح عملهم وسوء عاقبته.

---

(١): هي: الأعراف/(١٣١-١٣٩)، يونس/٧٧، الجن/٢٥، غافر/٢٨، مريم/٤٦، البقرة/١٤٢.

(٢): مريم/٤٦.

(٣): ينظر في تفسير الاية وشرح ما فيها من دلالة التقديم الزمخشري، الكشاف، (٥١١/٢).

(٤): الطور/١٥.

(٥): الأعراف/١٣٩.

- تقدم الجار والمجرور علي خبر المبتدأ:

كقوله تعالى : ﴿هو علي هين﴾ [١] الذي تكرر في مشهدين حواريين على لسان الرسل من الملائكة ينقلون خطاب الله إلى اثنين من آل عمران؛ الأول: زكريا عليه السلام، والثاني: مريم عليها السلام. وكان مضمون الخطاب يدور حول انجاب الغلام كما كانت استجابة الطرفين المخاطبين واحدة؛ فقد قال زكريا: ﴿ رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا﴾ [٢] وقالت مريم: ﴿ أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا ﴾[٣].
وجاء الرد على تساؤلهما:

﴿كذلك قال ربك: هو علي هين﴾ [٤] (الخطاب موجه لزكريا)

﴿كذلك قال ربك: هو علي هين﴾ [٥] (الخطاب موجه لمريم)

وفيه تقدم الجار والمجرور (علي) على خبر المبتدأ (هين) للدلالة على اختصاص هذا الامر الخارق للعادة بالله وحده دون غيره، فهو وحده القادر على جعل العقيم والمسن ينجبان، وهو القادر على جعل الفتاة التي لم يمسسها بشر بزواج أو زنا تنجب أيضا.

وتقدمت شبه الجملة (له) على خبر المبتدأ في كلام أتباع الرسل للدلالة على الإختصاص ومن ذلك قول أبناء يعقوب لأبيهم وقد حضرته الوفاة: ﴿ نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون﴾ [٦] إن الموقف الذي يحيط بالحوار السابق يستدعي الاستعجال في تقديم ما يهم المخاطب ويحرص عليه، فيعقوب، عليه السلام، يحتضر، وهو قلق على إيمان أبنائه بعد وفاته، يريد منهم ان تأكيد ثباتهم على ما جاء به هو وآباؤه من قبل. ويدرك أبناء يعقوب هذه الرغبة فيؤكدون لابيهم ثباتهم والتزامهم مفصلين معددين، ويقدمون شبه الجملة (له) التي يعود فيها الضمير إلى الله عز وجل، لتعجيل تطمين والدهم باختصاص اسلامهم بالله وحده وتوكيد هذا الاختصاص.

---

(١): مريم/(٩-٢١).

(٢): مريم/٨.

(٣): مريم/٢٠.

(٤): مريم/٩.

(٥): مريم/٢١.

(٦): البقرة/١٣٣.

٢) الترتيب في جملة كان واخوتها:

تقدم خبر كان واخواتها على اسمها في عدد من المواطن الحوارية[١]، لكون الخبر مركز الاهمية ومحط الفائدة في تلك السياقات.

وجاء جلّ هذه التقديمات في مقامات التحدي والصراع، من ذلك قول بني إسرائيل لنبيهم حين أخبرهم أن الله قد بعث لهم طالوت ملكا: فأجابوه منكرين رافضين: ﴿ **أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه**﴾ [٢] تقدم الخبر (له) على اسم يكون (الملك) لأنه الخبر هو محط الإنكار والتعجب، فالتركيز على اختصاص الملك بطالوت لا على الملك نفسه. كما يدل هذا التقديم على احتقار المتقدم والتقليل من شانه، والغيرة منه.

وتتكثف هذه الدلالة في قول الملأ من قوم فرعون لموسى وهارون: ﴿**أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض وما نحن لكما بمؤمنين**﴾ [٣] فقد تقدم خبر تكون (لكما) على اسمها (الكبرياء)، لان اختصاص موسى وهارون بالرسالة أثار غيرتهم ورفضهم، والنفس تقدم ما يؤرقها ويقض مضجعها.

وتأكدت هذه المشاعر بتكرار التقديم (وما نحن لكما بمؤمنين) فقد تكررت شبه الجملة العائدة على موسى وهارون، وتقدمت على الخبر (بمؤمنين).

ويقابل الطرف الآخر هذا التقديم بتقديم مماثل تحديا وتوكيدا، فقد جاء في رد موسى على تكذيب آل فرعون له وسخريتهم منه قال: ﴿**ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون**﴾[٤] فقد تقدم خبر تكون (له) على اسمها (عاقبة الدار) لأنه محط الترقب والاهتمام، وفي هذا التقديم وعد ووعيد؛ وعد للصالحين من أتباع موسى بأن تكون عاقبة الدار لهم، ووعيد لفرعون وأتباعه بسوء العاقبة التي ستحل بهم.

---

[١] عدد هذه المواطن ستة هي: البقرة/٢٤٧، الأعراف/٣٩، يونس/٧٨، الزخرف، ٥١، الكهف/٨٢، الحاقة/٣٥.

[٢] البقرة/٢٤٧.

[٣] يونس/٧٨.

[٤] القصص/٣٧.

ويتأجج الصراع بين أهل النار يوم القيامة، ويجسم تقديم الخبر هذا الصراع وما يحملـــه من مواجهات عنيفة: ﴿**وقالت أولاهم لآخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون**﴾ (١). وأصل الجملة قبل التقديم: (فما كان من فضل لكم علينا) فقدم الخـــبر (لكم) لتاكيد نفي الفضل عنهم، والشماتة بهم فهم متساوون في استحقاق العذاب.

وقد يدل تأخر اسم كان واخواتها على ابتعاده فعليا او غيابه وعدم وجوده، يقول الله عـز وجل عن الكافر الذي استحق دخول جهنم: ﴿**فليس له اليوم هاهنا حميم**﴾ (٢) حيث فصلـــت العناصر التالية بين ليس واسمها (حميم) بـ: الخبر (له)، وظرف الزمان (اليوم)، وحرف التنبيه (ها)، واسم الاشارة للمكان (هنا). وذلك لكون الحميم مفقودا وغائبا، وتأخيره بتعدي العنـــاصر السابقة؛ عليه يلائم التعبير عن تنحيه وغيابه. هذا بالاضافـــة إلـــى التركـــيز علـــى العنـــاصر المتقدمة: فتقديم (له) يدل على تخصيص الكافر بهذا الحرمان من القريب المعين، وتقديم (اليـــوم) يدل على تخصيص هذا الحرمان والعذاب بزمان محدد هـــو يـــوم القيامـــة، وتقديـــم (هاهنـــا) لتخصيص المكان وهو جهنم.

ويعكس تقديم خبر ليس (لي) في سؤال فرعون قومه: ﴿ **يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون**﴾ (٣) ملمحين من ملامح شخصية فرعـون؛ الأول راسخ فيه يتجسم بالغرور والشعور الطاغي بعظمة الذات وعظم ما يملك (مصـــر وأنـــهارها)، والثاني طارئ تلبسه بعد جهر موسى بدعوته، وهو الخوف والقلق والشـــك مـــن ولاء اتباعـــه وثباتهم معه في مواجهة موسى وأتباعه، لكثرة الآيات المعجزات التي جاء بها موسى، إنه يجـس نبض ولاء أتباعه ويقينهم بملكيته وسيطرته على مصر وما فيها بسؤاله التقريري مقدما الخـــبر (لي)؛ لأن ثبات ملكية مصر له هو ما يؤرقه ويهمه؛ فالمالك لا يلجأ إلى السؤال عن نسبة مـــا يملك إليه إلا إذا اعتراه شك في نية من يخاطبه.

---

(١) الأعراف/٣٩.

(٢) الحاقة/٣٥.

(٣) الزخرف/٥١.

وتقدم اسم كان عليها في إجابة الخضر عليه السلام عن الاسئلة الانكارية التي وجهها لـه موسى والمتعلقة بالسفينة التي خرقها، والغلام الذي قتله، والجدار الذي أقامه، فأجابه:

﴿أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك....﴾(1)

﴿ و أما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا....﴾(2)

﴿ وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما﴾...(3)

كان من الممكن أن تكون اجابته على النحو الآتي : (لقد كانت السفينة لمساكين ..)، (وكان للغلام أبوان مؤمنان..)، (وكان الجدار لغلامين يتيمن ...) لكنه المعلم العليم الذي وصفه الله بقوله : **﴿ آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما﴾** (4) ان الخضر يعلم مقدار العنت والمشتقة التي سببتها أفعاله الغريبة المجهولة الحوافز في نفس سيدنا موسى -عليه السلام- فاراد ان يرفع ثقل هذا العناء، فقدم ما يشغل نفس موسى (السفينة، والغلام، والجدار)، لانعقاد قلبه بها، وتطلعه إلى سر ما حدث لها (خرق السفينة، قتل الغلام، بناء الجداد). فعجل لنفس موسى عليه السلام ما تريد معرفته شفقة عليه ورحمة فيه.

- وتقدم الجار والمجرور على خبر كان واخواتها في اثني عشر موضعا(5)، منها جاء في:

قول قوم مريم لها وقد أشارت إلى عيسى طالبة منهم تكليمه: **﴿كيف تكلم من كان في المهد صبيا﴾** (6) فقدموا الجار والمجرور (في المهد) على خبر كان (صبيا) تخصصيا وتأكيدا لاستحالة تكليمة، فارتباط الصبي بالمهد يؤكد صغره وعدم اداركه للكلام.

وقول إبراهيم، عليه السلام، لأبيه ناصحا محذرا : **﴿يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا. يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون**

---

(1): الكهف/٧٩.

(2): الكهف/٨٠. قرأ الجحدري (وكان أبواه مؤمنان) ينظر الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص٧٢.

(3): الكهف/٨٢.

(4): الكهف/٦٥.

(5): هي: مريم/(٤،٢٩،٤٤،٥٤،٤٧)، طه/(٩١-٩٧)، الفرقان/٢٩، يوسف/٨١، الشعراء/٧١، هود/٦٢، الجن/١٥.

(6): مريم/٢٩.

للشيطان وليا﴾ [(١)] تقدمت شبه الجملة (للرحمن) على خبر كان (عصيا) للدلالة على الاستهجان واستقباح عصيان الشيطان، فهو عصيان للرحمن وهذا أدعى للحذر منه والأبتعاد عن طاعته، احذره وابتعد عن طاعته. فقد عصى الرحمن فهل سيطيعك؟ وتقدم الجار والمجرور (للشيطان) على خبر كان (وليا) للدلالة على قبح هذه الولاية فهي ولاية الشيطان، وفي التقديمين دلالة على التحذير والنصح، فالمحذر يقدم ما يخشاه على المتلقي مركزا على ما يمكن أن يثيره.

وينهي إبراهيم حواره مع والده قائلا: **﴿سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا﴾** [(٢)] وفي تقديم شبه الجملة (بي) على خبر كان (حفيا) وسيلة أخرى من الوسائل التي لجأ اليها، لإقناع أبيه بترك ما يعبد والإيمان بالله وحده انه يبين مكانته عند ربه وثقته بدعوته قائلا: (إنه كان بي حفيا) ليخصص نفسه بهذه الحفاوة ويؤكدها.

٣- الترتيب في جملة ان واخواتها:

تقدم خبر إن على اسمها في قوله تعالى مخاطبا ابليس: **﴿ وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين﴾** [(٣)] لإفادة اختصاص إبليس بهذه اللعنة المطلقة.

وفي قول موسى لاصحابه محاولا التخفيف من روعهم حين لحق بهم فرعون وأتباعه: **﴿كلا إن معي ربي سهيدين﴾** [(٤)] تقدم الخبر (معي) على اسم إن (ربي) لإفادة تعجيل تطمين النفوس المضطربة الخائفة بتأكيد المعية الموحية بالسند والقوة. كما دل قوله (معي) لا (معنا) على ادراكه عدم استشعارهم لهذه المعية، والدليل على ذلك قولهم لما تراءى الجمعان: **﴿إنا لمدركون﴾** [(٥)] فأراد موسى عليه السلام بأن يطمئنهم بوجود شيء معه وحده سينقذهم، مثيرا بهذا التقديم شوقهم وتعلقهم بالمتأخر.

وقد يتقدم الجار والمجرور أو الظرف أو كلاهما على خبر إن وأخواتها لإفادة التخصيص والتفصيل والتأكيد، من ذلك قول كفار مكة عن الحق لما جاءهم: **﴿هذا سحر وإنا**

---

(١) مريم/(٤٤-٤٥).
(٢) مريم/٤٧.
(٣) الحجر/٣٥.
(٤) الشعراء/٦٢.
(٥) الشعراء/٦١.

به كافرون﴾[1]. وقول الله لأهل النار: ﴿**لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون**﴾[2]. وقول الملك ليوسف عليه السلام: ﴿**إنك اليوم لدينا مكين أمين**﴾[3].

❖ **ثانيا: التقديم والتأخير في الجملة الشرطية:**

تقديم جملة جواب الشرط على جملة الشرط ظاهرة قارة في لغة الحوار القرآني فقد جاءت في تسعة وأربعين موضعا[4]. وارتبط جلها بسياقات التحدي التي ظللت حوارات الانبياء وأقوامهم.

وتكاد تنحصر جملة الشرط في هذه السياقات بعبارة واحدة هي(إن كنتم صادقين)، لأن كل طرف من أطراف الحوار يطلب من الطرف الآخر دليلا واضحا أو معجزة خارقة تثبت صدق كلامه.

وتقدم جملة جواب الشرط لأنها محط الاهتمام و موطن التحدي، فالمتكلم يعنى بالنتيجة فيجعلها مدار التركيب.

تقديم جملة جواب الشرط في خطاب المعاندين من الكفار لأنبيائهم ودل تقدمها على الاستهتار بما تحويه من طلب العذاب الاستهتار بتهديد الأنبياء، ومن ذلك: قول قوم لوط له ساخرين منكرين: ﴿**ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين**﴾[5]. وقول أصحاب الأيكة لشعيب: ﴿**فأسقط علينا كسفا من السماء إن كنت من الصادقين**﴾[6] وقول قوم ثمود لصالح بعد ان عقروا الناقة: ﴿**يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين**﴾[7]. وقد يقدم طلب

---

(1): الزخرف/٣٠.

(2): الزخرف/٧٨.

(3): يوسف/٥٤.

(4): البقرة/(٣١،٩١،١١١،١٨٦)، آل عمران(٤٩،١٦٨)، المائدة(١٧،٢٣،١١٢)، الأعراف/(٧٠،٧٧،٨٩،١٠٦)، الأنفال/١، يوسف(١٠،٤٣،٧٤)، الحجر/٧١، الأنبياء/٣٨،٦٣،٦٨)، الشعراء/(٢٤،٢٨،٣١،٤١،١٥٤،١٨٧)،النمل/٧١، العنكبوت/٢٩، السجدة/٢٨، سبأ/٢٩، الدخان/٣٦، الجاثية/٢٥، الأحقاف/(٤،٢٢)، الحجرات/١٧، الملك/٢٥، القلم/٢٢، الأحزاب/(١٦،١٧)، الأنعام/١٥، فصلت/٥.

(5): العنكبوت/٢٩.

(6): الشعراء/١٨٧.

(7): الأعراف/٧٧.

آية او دليل خارق للعادة تحديا وتعجيزا للنبي، ومنه قول قوم ثمود لصالح: ﴿**ما أنت إلا بشر مثلنا فأت بآية إن كنت من الصادقين**﴾ [١].

وكثر تقديم جملة جواب الشرط التي تحوي سؤالهم عن يوم القيامة أو يوم عذابهم، وفي هذا التقديم دلالة على استعجالهم بتحقيق هذا العذاب تكذيبا واستخفافا بتحذير النبي: ﴿**ويقولون: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين**﴾ [٢].

وتقدمت جملة جواب الشرط في رد الأنبياء على تحدي أقوامهم وتهديدهم. ومن ذلك: جواب إبراهيم لقومه وقد سألوه: ﴿**أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم**﴾ [٣] فقال: ﴿**بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون**﴾ [٤]، إن في تقديم جواب الشرط (اسألوهم) دليل على المواجهة بشيء يعلمونه لكنهم يخفونه مكابرة وعنادا. وهذا يناسب مواقف إفحام الخصم ودحض حجته ففيهما يقدم المخاصم نقاط ضعف خصمه ويبرزها ويعريها.

وبرز هذا التقديم في الخطاب الذي يلقنه الله لرسوله، محمد صلى الله عليه وسلم، ليجابه به خصومه ويفحمهم، ومنه ما جاء في قوله تعالى لرسوله: ﴿**قل : فادرؤوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين**﴾ [٥] ردا على المنافقين الذين قالوا: ﴿**لو أطاعونا ما قتلوا**﴾ [٦].

وقوله: ﴿**قل: فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين**﴾ [٧] ردا على المعاندين المنكرين من بني إسرائيل الذين قيل لهم: ﴿**آمنوا بما أنزل الله**﴾ فقالوا: (نؤمن بما أنزل علينا [٨] حسدا وبغيا وحرصا على تميزهم. فقدم جواب الشرط لإستحضار هذا الأمر الفظيع وكشف سوء عملهم، ومواجهتهم به.

---

(١): الشعراء/١٨٧.

(٢): سبأ/٢٩.

(٣): الانبياء/٦٢.

(٤): الانبياء/٦٣.

(٥): آل عمران/١٦٨.

(٦): آل عمران/١٦٨.

(٧): البقرة/٩١.

(٨): البقرة/٩١.

ويقدم الأنبياء في الرد على طلبات المعاندين ما يدل على خوفهم من الله لتحذيرهم، ولتوضيح غايتهم وهي الحرص على إرضاء الله وتجنب معصيته، ومثاله: قول شعيب للملأ الذين استكبروا من قومه وقد خيروه بين الخروج من القرية أو العودة في ملتهم، فقال: ﴿**قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها**﴾ [١] فقد قدم جواب الشرط لاستعظامه واستهجانه، ونستشف من هذا التقديم جرأة شعيب وتصريحه بسوء العاقبة إن عاد في ملتهم، فهو لا يجامل ولا يهادن على حساب عقيدته. ومثله ما جاء في قول نوح، عليه السلام، لقومه وقد سألوه أن يطرد الضعفاء الذين آمنوا به أنفة من أن يكونوا معه على السواء: ﴿**ويا قوم من ينصرني من الله إن طردتهم أفلا تذكرون**﴾ [٢] إنه يقدم ما يهمه ويحذره.

وتقدمت جملة جواب الشرط المتضمنة رأيا يرجو أحد أطراف الحوار تحقيقه وتنفيذه، ومن ذلك: قول أصحاب الجنة لبعضهم البعض ﴿ **اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين**﴾ [٣]، ففي تقديم جملة جواب الشرط (اغدوا على حرثكم) دلالة على الحرص والعجلة في قطع الثمار قبل مجيء المساكين لأخذ نصيبهم من الثمار إنهم يقدمون ما انعقد في قلوبهم من حب خيرات الأرض والحرص على جمعها وحمايتها من أي زائر أو غريب.

وقول قوم إبراهيم: ﴿**حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين**﴾ [٤] تقديم جملة جواب الشرط (حرقوه وانصروا آلهتكم دلالة على رغبتهم تعجيل إيقاع العقوبة بإبراهيم تخلصا منه بعد أن أفحمهم وحطم أصنامهم.

وقول أحد أبناء يعقوب لاخوته: ﴿**لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابات الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين**﴾ [٥] دل تقديم جملة جواب الشرط على خوف اعترى نفس المتكلم، فأسرع إلى تقديم طريقة للتخلص من يوسف، وبدأ بنهيهم عن قتله خشية من الله ورحمة بوالدهم فالشر في نفوس الصالحين لا يتصاعد. ويبدو أن هذا القرار الذي توصل إليه خلصه من صراع داخلي اعتراه واعترى اخوته، بدليل سرعة تنفيذه.

---

(١): الأعراف/٨٩.
(٢): هود/٣٠.
(٣): القلم/٢٢.
(٤): الانبياء/٦٨.
(٥): يوسف/١٠.

ولإدراك أهمية التقديم السابق دعونا نعيد الجملة إلى ترتيبها الأصلي: (إن كنتم فـــاعلين ما أقوله لكم فلا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابات الجب..) ستضحي جملة عادية صـــادرة عــن متكلم حيادي الغايات، يطرح رأيه دون أن يعنيه أو يؤرقه تنفيذ الطرف الآخر. أما من يرغــب بتنفيذ رأيه فانه يبدأ بعرضه مؤخرا جملة الشرط (إن كنتم فاعلين).

وتقدمت جملة جواب الشرط لتأكد المتكلم من تحققها، ومن ذلك قول السحرة لفرعـــون: ﴿**إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين**﴾ [1] وفيه تقدمت جملة جواب الشرط: (إن لنا لأجرا) على جملة الشرط (إن كنا نحن الغالبين) لإفادة ثبوت الأجر وإجابه وعظمته على تقدير الغلبة التي هـم واثقون منها. فلو قالوا: (إن كنا نحن الغالبين فإن لنا لأجرا)، لدل هذا على عدم يقينهم أو ثقتــهم بالغلبة على موسى وهارون. ولكن تقديم جواب الشرط دل على ثقتهم بأن النصر حليفـــهم لــذا فإن النتيجة لا تؤرقهم، وإنما يؤرقهم الأجر على هذه النتيجة الحتمية ولهذا قدموه في خطابهم.

❖ **ثالثا : ما قدم في آية وأخر في أخرى:**

ويبدو أثر السياق واضحا في هذا النوع؛ إذ إن السياق وحده اقتضى التقديم في موضـــع، والتأخير في موضع آخر، وذلك في محاورة الشخصية لغيرها حين تتكرر هذه المحـــاورة فـــي أكثر من سورة. ومن الأمثلة على هذا الأسلوب:

قوله تعالى على لسان سحرة فرعون: ﴿**آمنا برب العالمين رب موسى وهارون**﴾ [2]، وقوله: ﴿**آمنا برب هارون وموسى**﴾ [3].

نلاحظ تقديم موسى على هارون في الآية الأولى، وتقديم هارون على موسى في الآيـــة الثانية، وربما يعود تقديم هارون على موسى في آية سورة طه إلى سؤال موسى ربه أن يجعـــل أخاه هارون شريكه في أداء الرسالة، يعنيه ويشد عضده، لأنه أكبر منه ســنا وأفصـــح لســانا: ﴿**واجعل لي وزيرا من أهلي، هارون أخي، اشدد به أزري، وأشركه في أمري، كي**

---

(١) الأعراف/١١٣.

(٢) الأعراف/١٢٢.

(٣) طه/٧٠.

نسبحك كثيرا، ونذكرك كثيرا، إنك كنت بنا بصيرا﴾ [1] فجاء تقديم هارون على موسى ملائما لهذا التركيز على شخص هارون وهذا لا نجده في سورتي الأعراف والشعراء[2].

كما وفي تقديم هارون في سورة طه أيضا إبراز لدوره، وتركيز على مشاركته في الأحداث، ثم جاء بعده موسى على سبيل الترقي، من البدء بالأفضل، فالأفضل، بخلاف ذكره بعد موسى في مثل سياقاته، فانه يوحي بتبعيته، ويبدو في دور المساند لا المشارك[3].

قوله تعالى على لسان زكريا، عليه السلام: ﴿**أنى يكون لي غلام وكانت إمرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا**﴾ [4]، وقوله ﴿**رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وأمرأتي عاقر**﴾[5]، بتقديم حالة زوجته على حالته في سورة مريم، وتقديم حالته على حالة زوجته في آية سورة عمران ويمكن استشفاف سبب تقديم حالة زوجته في آية سورة مريم(وكانت امرأتي عاقرا) من المضمون الرئيس الذي تحويه السورة. إنها تدور حول قصة مريم عليها السلام التي انجبت بقدرة الله عز وجل غلاما دون أن يمسها رجل، وهذا أمر خارق لكنه على الله هين. وزوجة زكريا عاقر لم تنجب في شبابها، فكيف ستنجب في كبرها؟ هذا سيكون أيضا بقدرة الله وحده. وبهذا اندرج انجاب العاقر تحت انجاب الفتاة دون ان يمسها رجل. ويدل تكرار زكريا عبارة (وكانت امرأتي عاقرا) في خطابه مع الله التركيز على حالة زوجته[6].

سبب آخر يمكن أن نرجع إليه سر هذا التقديم في آية سورة مريم يتمثل استهلال زكريا دعاءه بذكر حالته، وإنهاء هذا الدعاء بذكر حالة زوجته[7]. وحين فوجئ باستجابة دعوته وتبشيره بغلام منه ومن زوجته، تعجب من كيفية إنجابه وبدأ بذكر حالة زوجته التي أنهى بها دعاءه.

---

[1] طه/(٢٩-٣٥).

[2] تقدم (موسى) على (هارون) في آية سورة الشعراء أيضا: (قالوا آمنا برب العالمين. رب موسى وهارون) الشعراء/٤٧-٤٨.

[3] ينظر: د. محمد الأمين الخضري، من أسرار المغايرة في نسق الفاصلة القرآنية، ص١٩، وذكر عبد الكريم الخطيب أن من غير الطبيعي أن يكون السحرة على هوى واحد لكل من موسى وهارون، عليها السلام وانه إذا كانت الأغلبية تنظر إلى موسى نظرة القائدة لهذه المعركة، فان بعضا من القوم ينظر إلى هارون النظرة نفسها، إذ كان صاحب فصاحة وبيان اكثر من موسى، أو أن هذا التقديم لهارون إنما كان من الذين قدموه إقرار قويا بالتسليم لهارون فضلا عن موسى (القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص٢٧٠).

[4] مريم/٨.

[5] آل عمران/٤٠.

[6] مريم/(٤-٦).

[7] آل عمران/(٣٩-٤٠).

سبب ثالث نستشفه من المخاطب الذي يوجه زكريا اليه سواله؛ والكيفية التي وصلته البشرى. ففي سورة آل عمران، نادته الملائكة مبشرة إياه بالغلام[1]، فتوجه بالسؤال مقدما حالته لوجود واسطة في خطابه مع الله هي الملائكة ثم ذكر حالة زوجته مراعاة لها، وكأنه يبدأ بنسبة المشكلة إلى نفسه قبل أن يعزوها لزوجته تأدبا وتقديرا لها. ولكن يختفي هذا الوسيط في سورة مريم، فيبدو الخطاب مباشرا بين زكريا وربه[2]، وتتكشف الأمور، لأن لله يعلم ما في الصدور، فيقدم زكريا ذكر حالة الزوجه، لانها السبب الرئيس في عدم الإنجاب.

وبعبارة أخرى فإننا يمكن أن نعد الخطاب السابق ترجمة لحوار داخلي أو مناجلة دارت في نفس زكريا عليه السلام، لانه كان على يقين من استجابة الله لدعائه، ولكنه كان يقف عاجزا أمام الكيفية التي سيرزقه الله بها هذا الغلام، فدار في داخله حوار قدم فيه ما أخره في الحوار الصريح مراعاة لزوجته وتقديرا. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿**قل: إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون. قل: لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير**﴾ [3] وقوله تعالى: ﴿**ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين. قل: لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله**﴾ [4]. فقد تقدم النفع على الضر في آية سورة الأعراف، وتقدم (الضر على النفع في آية سورة يونس.

يقول الخطيب الإسكافي معللا سر هذا التقدم والتأخير: "والجواب أن يقال أن الأولى بعد قوله: ﴿**يسألونك عن الساعة أيان مرساها، قل إنما علمها عند ربي**﴾[الأعراف/١٨٧]. وبعده: ﴿قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾. فكان معنى قوله: ﴿**قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا**﴾ لا أملك تعجيل ثواب ولا عقاب لها الا ما ملكنيه الله ... ولو علمت الغيب لا ستكثرت من الخير وما مسني الفقر.

---

[1]: مريم/٧.
[2]: مريم/٧.
[3]: الأعراف/(١٨٧-١٨٨).
[4]: يونس/(٤٨-٤٩).

وأما الآية في سورة يونس فإنها فيما كان يستعجله الكفار من عذاب الله تعالى، وقبلها **﴿وأما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون﴾**[يونس/٤٦] ويقول الكفار: (متى هذا الوعد ان كنتم صادقين؟) قل. لا أملك لنفسي ما وعدكم الله من هذا العذاب ولا أن أدفع عنكم سوء العقاب، كما لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله أن يملكنيه منهما..."[1] فتقديم النفع جاء في السؤال عن الغيب، ومن يعرف الغيب سيستكثر من الخيرات ويتجنب الشرور بكل أنواعها. وتقديم الضر جاء في السؤال عن موعد العذاب. وهذا يعني أن تركيز الإجابة على طبيعة العنصر المذكور في السؤال.

قوله تعالى على لسان الكفار من أهل مكة: **﴿لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين﴾**[2]. وقوله: **﴿لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين﴾**[3]. ففي آية سورة (المؤمنون) جاء المفعول الثاني (هذا) في موضعه بعد المرفوع وما تبعه (نحن وآباؤنا). أما في آية سورة النمل فقد قدم المفعول الثاني (هذا) على (نحن وآباؤنا). ويمكن تعليل هذا بكون البعث مركز العناية ومحط الانكار في آية سورة النمل، بدليل الآية التي سبقتها: **﴿وقال الذين كفروا أإذا كنا ترابا وآباؤنا أإنا لمخرجون﴾**[4] فالجهة المنظور اليها هاهنا هي كون انفسهم وكون آبائهم ترابا، والتراب أبعد في باب الاعادة من العظام.

توجه الإنكار في آية سورة (المؤمنون) إلى المبعوث؛ أي إنكار كون أنفسهم وآبائهم ترابا، بدليل الآية التي سبقتها: **﴿أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون﴾**[5] وقد يتفق لفظ محاورة أحد الأنبياء لقومه مع ألفاظ محاورة نبي آخر لقومه باستثناء تغيير بسيط في ترتيب الكلمات؛ حيث تقدم كلمة في محاورة وتؤخر الكلمة ذاتها في محاورة مماثلة، مثاله قوله تعالى في محاورة نوح، عليه السلام، لقومه: **﴿يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده﴾**[6]، وقوله في محاورة صالح، عليه السلام، لقومه: **﴿يا قوم أرأيتم إن كنت**

---

[1] الخطيب الاسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، ص (١٨٠-١٨٢).

[2] النمل/٦٨.

[3] المؤمنون/٨٣.

[4] النمل/٦٧.

[5] المؤمنون/٨٢.

[6] هود/٢٨.

على بينة من ربي وآتاني منه رحمة ﴾[1] بتقديم رحمة على من عنده في الأولى، وتقديم منه على رحمة في الثانية.

علل الغرناطي هذا التقديم بقوله:" والجواب عن ذلك: إن قوم صالح، عليه السلام، بالغوا في إساءة الجواب حيث قالوا: (قد كنت فينا مرجوا قبل هذا) أي: قد كنت مرجوا أن تسود فينا حتى نقطع عن رأيك ونرجع اليك من أمورنا، فرموا مقامه النبوي بحط مرتبته عنهم، ولما بالغوا في قبح الجواب بالغ، عليه السلام، في رد مقامهم، فقدم المجرور لتأكيد أن الرحمة من عند الله تعالى. فقال: (وآتاني منه رحمة) لما يحرز تقديمه من التأكيدويعطيه بمفهومه من أن الرحمة منه سبحانه لا يشرك فيها غيره، وهو مخصوص لا يحصل مع تأخيره.

ولما لم يكن في مراجعة قوم نوح مثل هذا في شناعة الجواب، لان أقصى المفهوم من قولهم: (ما نراك الا بشرا مثلنا) الحاقه بهم ومماثلته اياهم، وكأنهم يقولون: لو كنت رسولا لكنت من الملائكة ولم تكن لتماثلنا. فلم يكن في قول هؤلاء ما في قوم صالح، فجرى جوابه،عليه السلام، على نسبة ذلك فقال: (وآتاني رحمة مت عنده) فأتى بالمجرور مؤخرا في محله على ما يجب، حيث لا يقصد من احراز المفهوم ما قصد في الاية الاخرى، فورد كل ما يلائم، والله أعلم"[2].

وقال الخطيب الإسكافي: "والجواب أن يقال: إن المعنيين واحد في الموضعين، وقولاهما سواء للأمتين، وإنما اختلفا باختيار الله في موضع خبرا قدم فيه المفعول الثاني على الجار والمجرور؛ لإجراء هذا الفعل ومفعوليه على ما جرى عليه الفعل الذي قبله وهو: (ما نراك إلا بشرا مثلنا) فـ(بشرا) مفعول ثان من نراك، وقوله: (ما نراك اتبعك) في موضع المفعول الثاني من نراك، ثم بعده: بل نظنكم كاذبين. فلما تقدمت أفعال ثلاثة كل واحد منها يتعدى إلى مفعولين والمفعول الثاني منها لا يحجزه عن الأول مفعول فيه، كان اجراء هذا الفعل الذي هو (وآتاني رحمة من عنده) مجرى تلك الافعال التي وقعت (اتاني) في جوابها، وجاءت من كلام نوح، عليه السلام، في مقابلتها أولى.

وأما في قصة صالح، عليه السلام، فانه بازاء قول قومه له: ﴿**يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا**﴾ فوقع خبر كان، الذي هو كالمفعول لكان، وقد تقدمه الجار والمجرور،

---

[1] هود/٦٣.

[2] الغرناطي، ملاك التأويل، (٢/٦٥٢-٦٥٤).

فجرى جواب صالح، عليه السلام، فيما صار عبارة عنه من العربية مجرى الإبتداء في قوله: (وآتاني منه رحمة) على المفعول الثاني، كما ترجح هناك تقديم المفعول الثاني على الجار والمجرور، وكل جائز، إلا أن كلامنا في الترجيح في الموضعين"(١).

والتأويلان السابقان فيهما من الأدلة المنطقية المقنعة الشيء الكثير. اعتمد التأويل الأول المقام وما يتصل به من غايات المتكلم وأهدافه، وكيف انعكس هذا في ترتيب الكلمات. أما الثاني فقد نظر إلى ترتيب الكلمات في البنى التركيبية السابقة ليعلل ترتيب الكلمات في الجمل اللاحقة (محور البحث) مبينا اتساق وتتابع هذا النمط من الترتيب. وبهذا يتضافر تفسيران؛ تفسير مضموني، وتفسير شكلي.

- **رابعا: ما قدم وأخر في آية واحدة:**

وسبب هذا النوع من التقديم الاعتناء بشأن المقدم والمؤخر على السواء. ويندرج هذا النوع من التقديم والتأخير ضمن النوع الأول (ما قدم والمعنى عليه)، إلا أنه يمتاز عن الأخير بأن التقديم والتأخير يحدثان في آية واحدة؛ فالكلمة تقدم في أول الآية وتاخر في نهايتها أو العكس.

ولم أجد في الحوارات القرآنية سوى مثالا واحدا هو قوله تعالى على لسان ابن آدم المؤمن التقي لأخيه وقد أراد أخوه قتله: ﴿**لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين**﴾(٢).

فحين نسب فعل القتل إلى اخيه قدم الجار والمجرور (إلي) على المفعول به (يدك)، وحين نسبة الفعل إلى نفسه قدم المفعول به تخصيص وقوع القتل بالمتكلم وما في ذلك من شناعة الحدث لطبيعة العلاقة التي تربط بين القاتل والمقتول، فألاخ المؤمن يريد بهذا التقديم تذكير اخيه الهائج بالاخوة التي تربط بينهما. وفي تقديم المفعول به (يدي) على الجار والمجرور (إليك) دلالة على النفي المطلق لصدور هذا الفعل من المتكلم، فهو بتقديم (اليد) يركز على أداة القتل التي لن يستخدمها لقتل أخيه.

---

(١) الخطيب الاسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، ص١٢٠.

(٢) المائدة/٢٨.

إن في تقديم الجار والمجرور (الي تقريبا من الفعل(بسطت)، أي تقريب الضمير الذي سيقع عليه فعل القتل، من الفعل الذي يدل على الشروع في القتل. وفي تأخير (اليك) ابتعاد الضمير الذي سيقع عليه الفعل عن اسم الفاعل الذي يوحي بالفعل (باسط).

ويمكن أن نستشف من هذا التقديم والتأخير قوة المتكلم الجمسية، ففي تقديم (الي) على يدك دليل على أن ما يؤرقه العلاقة التي تربطهما لا أداة القتل (القوة). بينما يقدم القوة (يدي) على (إليك) لينفي استخدامه قوته في قتل أخيه لسبب واحد هو الخوف من الله، أي أنه بهذا التقديم يبرز قوته لا لتهديد أخيه بها، وإنما لتأكيد وجودها ورفض استخدامها ضده. والله أعلم.

وبعد، فهذا غيض من فيض، فالتقديم والتأخير "باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويفضي بل إلى لطيفة"[1]. تتنوع دلالاته وأبعاده بما يتطلب الموقف أو السياق من أهدافه ترتبط بأطراف الحوار.

---

(١) الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص١٠٧.

التكرار

التكرار اللفظي في لغة الحوار القرآني ظاهرة أسلوبية قارة لا يمكن تجاوزها أو تحاشيها، فقد تحدت ببناها المتماثلة عقول الدارسين على اختلاف مشاربهم ونوازعهم. وانقسموا في تناولها إلى فريقين، فريق رأى في هذا التكرار إعجازا وبلاغة في التعبير، وتأكيدا في الكلام، وجمالا في الأداء، فأنبرى يتدبر أسراره وأهدافه ما استطاع إلى ذالك سبيلا، كابن قتيبة في كتابه (تأويل مشكل القرآن)، والخطابي في رسالته (بيان إعجاز القرآن)، والزركشي في كتابه (البرهان في علوم القرآن)، والكرماني في كتابه (البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان)، والخطيب الإسكافي في كتابه (درة التنزيل وغرة التأويل)، وكتاب (ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التنزيل)، للغرناطي، وغيرهم من المتقدمين ومن سار على دربهم من المتأخرين، الذين تحدثوا عن التكرار في القرآن عامة أو في قصصه خاصة [١].

وفريق من أعداء الدين لم يتجاوز نظرهم البنى السطحية للكلمات، فاستعصى عليهم السر المكنون في أعماق هذه الأبنية التكرارية، فرأوا في التكرار شبهة ينالون بها من بلاغة القرآن وإعجازه.

والتكرار لغة من الكر وهو: الرجوع على الشيء ، "فكرر الشيء وكركره: أعاده مرة بعد أخرى . والكرة: المرة، والجمع: الكرات، يقال: كررت عليه الحديث وكركرته إذا رددته عليه "[٢].

والتكرار اللفظي في اصطلاح علماء البلاغة: إعادة الكلمة بلفظها ومعناها في القول مرتين فصاعدا لنكتة[٣]. وبتعبير اللسانيات النصية: هو إعادة العنصر المعجمي نفسه. [٤]

---

(١): نذكر منهم: عبد القادر عطا، (أسرار التكرار في القرآن الكريم)، محمد حسين أبو الفتوح: (أسلوب التوكيد في القرآن الكريم)، محمد محمود قاسم: (التكرار في القرآن الكريم – دراسة بلاغية) ، فضل عباس: (القصص القرآني – ايحاؤه ونفحاته)، عبد الكريم الخطيب: (القصص القرآني في منطوقه ومفهومه) ، التهامي نقرة: (سيكولوجية القصة في القرآن)، عبد الحليم حفني : (أسلوب المحاورة في القرآن الكريم، خالد قاسم بني دومي: (التكرار اللفظي في لغة الحوار القرآني: دراسة لغوية أسلوبية).

(٢): ابن منظور، لسان العرب، مادة (كرر).

(٣): ابن الأثير، المثل السائر، (١٤٦/٢). وابن معصوم، أنوار الربيع في أنواع البديع، ص ٣٤٥. والسلجماني، المترع البديع في تجنيس أساليب البديع، ص (٤٧٦-٤٧٧).

(٤): جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص ٨٤.

وللتكرار اللفظي وظائف حرص البلاغيون على رصدها، حيث إذا لم تكن لـــه وظيفـــة فهو، عندهم، عيب، أو((الخذلان بعينه)) على حد تعبير ابن رشيق[١]، الذي رصد للتكرار اللفظـــي تسع وظائف هي: التوكيد، وزيادة التنبيه، والوعيد والتـــهديد، والتوجـــع، والـــهجاء، والتـــهكم، والتفخيم والتعظيم، والتشويق والتلذذ بذكر المكرر،والتوبيخ[٢].

ويجمع البلاغيون والأدباء والنقاد وعلماء التفسير وعلوم القرآن علـــى أهميـــة الـــدور الوظيفي لأسلوب التكرار.

وتنبه إلى هذه الأهمية علماء النفس فرأوا "أنه متى كثر تكرار أمر تولـــد تيـــار فكـــري وعاطفي تيلوه ذلك المؤثر العظيم في الأفراد والجماعات هو العدوى، إذ لا يكفي لتحول الأنفعـــال إلى عاطفة أن يحدث مرة واحدة، ولكن لا بد لحصول ذلك أن يتكرر حدوثـــه. فـــالتكرار هـــو السبيل الوحيدة لربط الانفعال به، وتركزه حوله، إلى جانب ما يثيره من انفعالات أخرى تدخـــل في تركيب العاطفة"[٣]. وهذا يعني أن تكرار القول لا يقل تأثيرا في إثـــارة الانفعـــال وتكويـــن العواطف من تكرار الفعل، بل إن تكرار القول حافز هام لحدوث الفعل.

كما تحدث علماء النفس عن التكرار اللاشعوري في القول الذي يعكس نفســـية المتكلـــم ومشاعره الكثيفة.

ويقدم محمد مفتاح فرضية تعتمد على أنه "كلما تشابهت البنية اللغوية فإنـــها تمثـــل نيـــة نفسية متشابهة منسجمة، تهدف إلى تبليغ الرسالة عن طريق التكرار والإعـــادة. ويكـــون هـــذا التكرار متجاورا وقد يكون متباعدا"[٤].

ويؤكد ما سبق أن التكرار آلية أسلوبية ينفذ بها المضمون، وهذا يعني ضرورة الكشـــف عن الموضوعات أو المضامين الحوارية التي تشكلت فيها الأبنية التكرارية، لبيان ملائمة أسـلوب التكرار للموضوعات التي عولجت من خلاله، وما أنتجه من دلالات وظيفية.

---

(١) ابن رشيق، العمده، ج٢، ص٧٣.

(٢) ابن رشيق، العمدة، ج٢، ص(٧٤-٧٦).

(٣) مصطفى فهمي، الدوافع النفسية ، ص ١٠١.

(٤) محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، ص ٣٩.

ولهذا الملمح الأسلوبي في لغة الحوار القرآني عمق دلالي لا يترك السياق على سطحيته الإيقاعية فحسب بل ينفذ إلى الإيقاع الداخلي العميق في الصياغة القرآنية تاركا أثره العميق في نفس المتلقي.

يقول أ. ف. تشيتشرن: إن الرؤية العميقة والغوص إلى ما تحت البناء التركيبي للغة هو الأساس في استخراج الدلالات المطلوب، ولعل للتكرار القوة التعبيرية الخاصة من بين الأساليب التي تعتمد على التوتر الإيقاعي والشكل الداخلي العميق لبناء الكلمة داخل سياقها، فيشدنا التحليل من شكل الكلمة إلى البناء الداخلي ثم إلى الإنتاج الشعري برمته[١].

ومن هنا كان التكرار في لغة الحوار القرآني موجها لتحقيق غايات وأغراض، وتأكيدها بتكرير ذكرها في صور متنوعة لترسيخها في الأذهان وتقريرها، وتتكشف هذه الغايات بالغوص في البنية العميقة، وتأمل اللطائف الدقيقة التي أضفاها التكرار على المعنى

وبعد رصد مواطن التكرار اللفظي في لغة الحوار القرآني رأينا إمكانية دراستها ضمن ثلاثة أنماط هي:

- النمط الأول: **تكرار الألفاظ المتفقة بأصواتها وتدلالتها في الجملة أو النص وفق توزيعات مكانية متنوعة الأبعاد بين الدال الأول والدال المكرر في السورة الواحدة.**

ونتناول هنا البناء التكراري المتشكل على المستويين الأفقي والعامودي، فإعادة الدال مرتين أو مرة بعد أخرى تؤدي دلالات وظيفية تتلاءم مع التنظيم النسقي للتركيب.

يتشكل التكرار على المستوى الأفقي بأنزياح الدال (العنصر المعجمي ذاته) من نقطة مكانية إلى نقطة أخرى أفقيا.

ويتم التشكيل على المستوى العامودي بتكرير الدال وفق تناسق مكاني يأخذ ترتيبه داخل النص أو الفقرة كأن تتكرر بداية الفقرة مثلا.

وجاء هذا النمط من التكرار على أسلوبين هما:

١-تكرار الدال ذاته في مقولة كل طرف من أطراف الحوار.

٢- تكرار الدال ذاته في مقولة أحد أطراف الحوار.

---

(١) أ.ف. تشيتشرن، الافكار والأسلوب، ص(٥٠-٥٦).

١- تكرار الدال ذاته في مقولة كل طرف من أطراف الحوار:

وهذا من طبيعة الحوار المباشر، فقد يطرح أحد أطراف الحوار جملة مـــا متســـائلا أو مخبرا أو آمرا أو ناهيا، فيثير اهتمام الطرف الآخر الذي يقوم بإعادة تلـــك الجملـــة ســـاخرا أو منكرا أو مؤكدا أو مجيبا أو غيرها من التعبيرات التي يوضحها السياق.

وهذا يعني تنوع التراكيب التي يرد فيها الدال المكرر بمـــا يناســـب غـــرض الطـــرف المحاور، وعكس الدال المكرر ردة فعله الكلامية على استشارة الطرف الآخر، ومنه:

تكرار جملة (لبثت) في الحوار الذي دار بين الله عز وجل والرجل الذي مر على قريـــة خاوية على عروشها فقال: ﴿ **أنى يحيي هذه الله بعد موتها** ﴾[١] فأماته الله مائة عام ثم بعثه ودار بينهما الحوار التالي.

﴿ **قال: كم لبثت؟**	تركيب استفهامي
قال: لبثت يوما أو بعض يوم	تركيب خبري
قال: بل لبثت مائة عام﴾[٢]	تركيب خبري ينقض الخبر الأول

جاءت جملة (لبثت) في سؤال السائل العليم الذي يستنطق مخاطبه ليجيب بمـــا أجابـــه: (لبثت يوما أو بعض يوم)، فينقض السائل الإجابة السابقة بأداة الإضراب (بل)، ويجيـــب بعدهـــا محددا مدة اللبث (مائة عام) وهي إجابة يقف المخاطب أمامها مستسلما مبهورا لا يملـــك ســـوى الإقرار بها: ﴿ **فلما تبين له قال: أعلم أن الله على كل شيء قدير** ﴾[٣]. فالتكرار في هذا المثال قد تشكل من خلال الترجيع في المحاورة بين السؤال والجواب.

---

[١] البقرة/٢٥٩.

[٢] البقرة/٢٥٩.

[٣] البقرة/٢٥٩.

تكرار كلمة (يوسف) الواردة في سؤال أبناء يعقوب في إجابة يوسف على سؤالهم:

﴿قالوا: أإنك لأنت <u>يوسف</u>. تركيب استفهامي

قال: أنا <u>يوسف</u> وهذا أخي﴾ (١) تركيب خبري

ويفيد تكرار التصريح بالعلم (يوسف) توكيدا من المخاطب المسؤول وتقوية وإثباتا، فقد كان من الممكن أن تكون إجابة يوسف، عليه السلام، عن سؤالهم: أنا هو، أو: نعم، لكنه أعاد التلفظ بعبارة من جنس لفظتهم واصلا بظنهم إلى درجة اليقين، ففي سؤالهم ظن وشك في نسبة (أنت) إلى خبره (يوسف)، فجاءت عبارته (أنا يوسف) مثبتة ومؤكدة نسبة الضمير إلى الخبر ذاته.

تكرار كلمة (الرحمن) الواردة على لسان الطرف المؤمن في سؤال الطرف الكافر:

﴿وإذا قيل لهم: اسجدوا <u>للرحمن</u>. تركيب أمر

قالوا: وما <u>الرحمن؟</u> أنسجد لما تأمرنا؟﴾ (٢) تركيب استفهام

أعاد الطرف الكافر التلفظ بالكلمة الأخيرة في جملة من خاطبهم امرا ساخرين منكرين الكلمة التي انصب علها تركيز الطرف الأول ونصحه. أي أن الكلمة ذاتها وردت على لسان الطرفين المتحاورين، و قولبها كل طرف في تركيب يعكس وجهته واعتقاده.

وقد يأتي الدال الأول والدال المكرر في تراكيب متماثلة، وبرز هذا الأسلوب في سياق الخصومة والجدل بين الأطراف المتحاورة حيث يرد المخاطب المستثار على رسالة مخاطبه بالمثل، ومنه:

- تكرار عبارة (لا مرحبا) على لسان فريق من أهل جهنم في ردهم على فريق آخر استثارهم بالعبارة ذاتها، فجاء التكرار كأنه معارضة وسجال:

﴿هذا فوج مقتحم معكم.

: <u>لا مرحبا</u> بهم، إنهم صالوا النار.

قالوا: بل أنتم <u>لا مرحبا</u> بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار﴾ (٣)

---

(١) : يوسف/٩٠.

(٢) : الفرقان/٦٠.

(٣) : ص/(٥٩-٦٠).

- ومقارعة ظن فرعون بظن موسى في الحوار الذي دار بينهما:

﴿ فقال له فرعون: إني لأظنك يا موسى مسحورا.

قال: لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر واني لأظنك يا فرعون مثبورا ﴾ (١).

كأنه قال: إن ظننتني مسحورا فأنا أظنك هالكا. إنها المماحكة ومحاولة طعن الخصم بأداته التعبيرية وفق مبدأ العين بالعين.

وأحيانا لا يقوم الخصم بمقابلة خصمه بالمثل مكتفيا بنفي تهمة ألصقها به، فيدل الدال الأول على التهمة، ويأتي الدال المكرر لنفي التهمة ذاتها.

ومثاله تكرار كلمة (سفاهة) في حوار قوم عاد مع نبيهم هود:

﴿ قال الملأ الذين كفروا من قومه: إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين.

قال: يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ﴾ (٢)

لقد أعاد هود اللفظة ذاتها في سياق النفي (ليس بي) تاركا المقابلة بالمثل فهو لم ينسب اللفظة السابقة إلى قومه، ولكنه اكتفى بنفيها عن نفسه، وفي هذا دليل على حلمه وحسن خلقه.

وقد يكرر أحد أطراف الحوار جملة الطرف الآخر مع تبديل عنصر لفظي باخر، ومنه:

تكرار الملائكة جملة (هذا يوم) الواردة في مقولة الكفرة، واستبدالهم كلمة (الدين) بكلمة (الفصل):

﴿وقالوا: يا ويلنا هذا يوم الدين.

: هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون ﴾ (٣)

إن الملائكة يكررون جملة من مقولة الكافرين لمفاجئتهم بسماعهم هذا الحوار الدائر بينهم ودب الرعب في قلوبهم، مستبدلين كلمة (الدين) بكلمة (الفصل) زيادة في تقريعهم وتخويفهم، لان في كلمة (الفصل) دلالة على الفرق بين فرق الهدى والضلالة. كما ان في تكرار جملة (هذا يوم) إبرازا لهذا الموعد الذي طالما أنكره المخاطب وتحقيقا لوقوعه.

---

(١): الاسراء/(١٠١-١٠٢).

(٢): الاعراف/(٦٦-٦٧).

(٣): الصافات/(٢٠-٢١).

تكرار جملة (كانوا يعبدون) الواردة في سؤال الله، عز وجل، على لسان الملائكة الذين وجه اليهم السؤال مع استبدال المفعول به:

﴿ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة: أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون.

قالوا: سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون﴾(١)

أفادت (بل) السابقة للجملة المكررة براءة الملائكة من الرضا بعبادتهم لهم، ونفي وقوع فعل العبادة عليهم باستبدال المفعول به الواردة في السؤال التقريري (اياكم) بالمفعول به الحقيقي (الجن). ودل تكرار (كانوا يعبدون) على ثبات عبادة هؤلاء لغير الله.

وقد يكرر أحد أطراف الحوار كلمة قالها الطرف الآخر مع تغيير شكلها مكسبا اياها دلالة إضافية، ومثاله:

﴿ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا: سلاما. قال: سلام﴾(٢).

لقد رد إبراهيم –عليه السلام– تحيتهم بأحسن منها، وإن كانت من جنس تحيتهم؛ ففي قول الرسل: (سلاما) مصدر سد مسد فعله، وأصله: نسلم عليك سلاما. وأما قوله: (سلام) فمعدول به إلى الرفع على الابتداء، وخبره محذوف، معناه: عليكم سلام، وفي هذا دلالة على ثبات السلام وتمكنه ورسوخه، كأنه قصد أن يحييهم بأحسن مما حيوه به أخذا بأدب الله تعالى، واكراما لهم. (٣)

ويعد هذا الأسلوب من التكرار ظاهرة أسلوبية قارة في الحوار التلقيني الذي يوجهه الله لرسوله محمد –صلى الله عليه وسلم– لقيامه على ثنائية السؤال والجواب، فمعظم الدوال الموجودة في السؤال تكرر في الجواب ترسيخا وتثبيتا لما تحويه من مضامين في ذهن المتلقي. ومن ذلك :

﴿قل: هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده.

قل: الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون.

---

(١): سبأ/(٤٠-٤١).

(٢): هود/٦٩.

(٣): الزمخشري، الكشاف، ج٤، ص/(٣٩١-٣٩٢).

قل: الله يهدي للحق. أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون﴾[1]

إن الله عز وجل يلقن رسوله السؤال الذي سيوجهه لمن يتحداه من المشركين، ويلقنه الجواب عن هذا السؤال نيابة عنهم مكررا الجمل المحور التي ينصب عليها تركيز المتكلم لكونها بؤرة التحدي والمواجهة التعجيزية، فيأتي الدال الأول في التركيب الاستفهامي لإثارة انتباه المخاطب لهوية الفاعل الذي تنسب اليه هذه الأفعال الخارقة: (من يبدأ الخلق ثم يعيده؟) فتكون الإجابة بالتصريح عن الفاعل وكشف نسبة الأفعال اليه: (الله يبدأ الخلق ثم يعيده).

وقد يكرر السؤال والرد في المحاورة ويسمى هذا ترجيعا، وقد أشار إلى هذا المستوى من التكرار العلوي في تعريفاته[2]، ومثاله الترجيع في المحاورة التي دارت بين بني إسرائيل وموسى -عليه السلام- حين أمرهم أن يذبحوا بقرة:

﴿قالوا: ادع لنا ربك يبين لنا ما هي.

قال: إنه يقول: إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون.

قالوا: ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها.

قال: إنه يقول: إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين.

قالوا: ادع لنا ربك يبين لنا ما هي، إن البقر تشابه علينا، وإنا إن شاء الله لمهتدون.

قال: إنه يقول: إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلمة لاشية فيها﴾[3]

فقد تكررت صيغة الرد المقابلة (إنه يقول إنها) فكأنما تكرر سؤالهم ترجيعا لما سبق وتعليقا عليه. فقد تعلق سؤالهم في كل مرة بتخصيص معين لماهية البقرة، إلا أن أسئلتهم تتحد في المستوى العميق، لان النية المشتملة على المساءلة واحدة، والفئة الموجهة للسؤال واحدة، وإن كان السؤال في كل مرة قد تعلق بغرض مختلف عن سابقه. فإصرارهم على تكرار السؤال يعكس طبيعتهم الجدلية التي تميل إلى تعقيد الأمور وتكبيرها، لا رغبة في الوصول إلى الحقيقية، وانما رغبة في النقاش والجدل. فالله أمرهم بذبح (بقرة) أي بقرة كانت، دل هذا التعميم صيغة التنكير، إلا أنهم أصروا على المساءلة العقيمة، فأخذ الله يضيق عليهم مقيدا اختيارهم.

---

(١): يونس/٣٤،٣٥.

(٢): العلوي، الطراز، ج٣، ص٩١.

(٣): البقرة/(٦٨-٧١).

ونجد هذه المراجعة في الحوار التلقيني التالي:

﴿قل: لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون؟

سيقولون: لله.

قل: أفلا تذكرون؟

قل: من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون؟

سيقولون: لله

قل: فأنى تسحرون؟!﴾[١]

إن الإصرار على تكرار مثل هذا الأسلوب في البنية السطحية يؤدي إلى متابعة المتلقي لهذا التلاحق بين السؤال والجواب، خالقا توقعا وترقبا للبنى الحوارية التي جاءت على الترتيب التالي: قل: سؤال تقريري سيقولون: لله قل: سؤال إنكاري.

ويؤدي هذا التكرار إلى تعمق في المستوى الدلالي أيضا، لان مواجهة الكفار بأسئلة متلاحقة وإجابتهم المتكررة عنها دون تردد أو تلون أو تنوع تأكيد على ثبات نسبة ملكية الاشياء المسؤول عنها إلى الله، واقرارهم بهذه الملكية وكأنها أمر مسلم به لا يقبل النقاش، وهنا تبرز المفارقة بين هذا الإقرار المتكرر وبين التصرف الفعلي المتمثل بكفرهم وجحودهم وتكذيبهم لأنبياء الله، ولهذا أعقب إجابتهم في كل مرة سؤال إنكاري عن سبب هذا التناقض: أفلا تذكرون. أفلا تتقون؟ فأنى تسحرون؟

٢) تكرار الدال ذاته في مقولة أحد أطراف الحوار:

ويتضمن التكرار المتشكل على المستوى الأفقي من خلال إعادة الدال مرة بعد أخرى، وانزياحه من نقطة مكانية إلى أخرى في كلام أحد أطراف الحوار، مشكلا ظاهرة لغوية ذات نتاج دلالي مميز. وذلك من خلال مستوين هما:

١. مستوى التكرار.

٢. مستوى الترداد الذي يندرج في اطار المستوى الأول؛ فهو نمط من أنماطه، والفرق بين المصطلحين هو: أن التكرار يعني اعادة الكلمة ذاتها بلفظها ومعناها في الجملة أو النص.

---

[١] المؤمنون/(٨٤-٨٩).

أما الترداد فهو: أن يأتي المتكلم بكلمة ثم يكررها بعينها ويعلقها بمعنى آخر.[١] أي ان الدال والدال المكرر يحافظان على توافقهما الشكلي ثم يحافظان على توافقهما العميق، لكن تأتي إضافة لها أهميتها في إنتاج المعنى، وهي اختلاف المنطقة التي يسلط كل دال فاعليته عليها، وهي إضافة لا تنتقص من التوافق بين الدالين، وانما تنمي فاعليتهما مشكلة اتساعا في مساحة المعنى الدلالي.[٢] وهذا يعني أن الألفاظ المكررة تتحد في المبنى والمعنى حالة التكرار، وتختلف الألفاظ في بعض الدلالة حالة الترديد، فكل ترديد تكرار وليس كل تكرار تريدا.

لاءم أسلوب التكرار الموضوعات التي عولجت من خلاله مشكلا عمقا دلاليا في السياقات التي يرد فيها. وتنوعت المسافة الفاصلة بين الدال والدال المكرر، ونسبة تكرار الدال الواحد في السياق.

ومن صورة هذا اللون من التكرار:

- <u>تكرار المنادى:</u>

تشكل تكرار المنادى في رؤوس الجمل ظاهرة لافتة في الوصايا والنصائح لاستدراج المخاطب والتلطف في استمالته، فيناديه المتكلم نداء المشفق المتودد مكررا نداءه باسمه أو بصفته، ومنه:

تصدير كل نصيحة من النصائح الأربع التي وجهها إبراهيم -عليه السلام- لأبيه بقوله: (يا أبت) توسلاً إليه واستعطافا: **﴿ واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا إذ قال لأبيه: يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا ، يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا ، يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا ، يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا﴾** [٣]

لقد أظهرت مقولة إبراهيم حريص على هداية أبيه ونجاته من العذاب الذي ينتظره ان بقي على كفره وعناده، فيأخذ يرجوه مكررا مناداته للإلحاح عليه.

---

(١): عرف ابن رشيق الترديد بقوله: (هو أن يأتي الشاعر بلفظه متعلقة بمعنى، ثم يردها بعينها متعلقة بمعنى آخر في البيت نفسه، أو في قسم منه). ينظر: ابن رشيق، العمدة، (٢/٢).

(٢): عز الدين علي، التكرير بين المثير والتأثير، ص٢٤٥. ومحمد عبد المطلب، البلاغة العربية-قراءة أخرى، ص٣٦٥.

(٣): مريم/(٤١-٤٥).

ويجسم هذا التكرار المشهد الحواري الذي دار بين إبراهيم وأبيه، فيصور الأب معرضا عن ابنه، ساخرا من كلامه، يشيح بوجهه عن إبراهيم الذي يلاحقه مناديا ليسمع كلامه ونصحه.

وهذا يعني وجود طرف معرض يرفض استقبال رسالة الطرف الآخر، فيلجأ الأخير إلى استخدام منبه تعبيري يتمثل في تكرار مناداة الطرف المعرض لإيصال رسالته إليه.

تكرار مناداة الملائكة لمريم مصرحين باسمها تنويها بها وإشادة وتخصيصا لها دون غيرها من النساء ﴿ **وإذ قالت الملائكة: يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ، يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين**﴾[١].

تعلق النداء في الجملة الأولى بذكر نعم الله على مريم واختصاصها بها، وتعلق الدال المكرر بالأعمال المترتبة على مريم نتيجة هذا الاختصاص والتميز.
ولا يخفى ما أفاده التكرار أيضا من تنبيه للمنادى وتذكير له. وترددت جملة (اصطفاك) تأكيدا وتدرجا في سلم الاصطفاء، فقد (اصطفاك) أولا حين تقبلك من أمك وابنتك نباتا طيبا، و(اصطفاك) ثانيا على نساء العالمين بأن خصك بهبات لم تكن ولن تكون لاحد من النساء. وربما كان في هذا التأكيد تمهيد لابلاغها بان الله سيهب لها غلاما من غير أب.

وهكذا فقد تكرر الدال ممهدا لانتقال في نمط العبارة الموجهة للمخاطب ورابطا أجزاء الخطاب بعضها ببعض.

وكرر يوسف ،عليه السلام، نداءه للفتيين اللذين صاحباه في السجن، معلقا كل طرف من أطراف التكرار بغرض مختلف، رابطا بهذا التكرار بين أجزاء الخطاب. ﴿ **ودخل معه السجن فتيان. قال أحدهما: إني أراني أعصر خمرا. وقال الآخر: إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين**﴾[٢] فالفتيان يطلبان من يوسف أن يؤول لهما الرؤى التي رآها كل واحد منهما في منامه. ينتقل الحوار بعد هذا الطلب إلى الطرف الآخر (يوسف) الذي يتوقع منه أن يبادر إلى تفسير الرؤى، لكنه اتخذ من وصفهما

---

[١]: آل عمران/(٤٢-٤٣).

[٢]: يوسف/٣٦.

إياه بالإحسان (إنا نراك من المحسنين) فرصة واصل بها وصف نفسه، وجعل ذلك تخلصاً إلى أن يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما الإيمان. [١]

ويعلق الزمخشري على هذه الطريقة في الدعوة بأنها: "طريقة على كل ذي علم أن يسلكها مع الجهال والفسقة، إذا استفتاه واحد منهم أن يقدم الهداية والإرشاد والموعظة والنصيحة أولاً، ويدعوه إلى ما هو أولى به وأوجب عليه مما استفتى فيه، ثم يفتيه بعد ذلك، وفيه ان العالم اذا جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده -وغرضه ان يقتبس منه وينتفع به في الدين – لم يكن ما باب التزكية"[٢].

وبعدها يناديهما منبهاً مشاعرهما ليكملا تلقي رسالته: ﴿ **يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار؟! ما تعبدون من دونه إلا أسماءً سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ [٣]

ويكرر نداءه مؤولاً ما طلب منه تأويله في بداية الحوار: ﴿ **يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمراً، وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه. قضي الأمر الذي فيه تستفتيان** ﴾ [٤] وفي هذا التكرار لنداء المخاطب (يا صاحبي السجن) تجسيدٌ لغوي لعنصر الاستمرارية في الخطاب، فقد تغير المضمون الذي علق به كل طرف من أطراف الحوار، وظلت الاستمرارية قائمة في جسد الخطاب. وتحقق السبك بين الفقرة التي ورد فيها الدال الأول والفقرة التي ورد فيها الدال المكرر، لان تأويله للرؤى، وتأكده من تحقق التأويل على أرض الواقع جاء نتيجة لإيمانه بالله الواحد الذي يدعوهم لعبادته، وهو (عز وجل) من علمه تأويل الأمور الغيبية.

---

(١): ينظر هذا الوصف وتلك الدعوة إلى الإيمان في الآيتين (٣٧،٣٨) من سورة يوسف.

(٢): الزمخشري، الكشاف، (٢/٤٥١-٤٥٢).

(٣): يوسف/(٣٩-٤٠).

(٤): يوسف/٤١.

وتكرر توجيه النداء إلى لفظة (قوم) المضافة إلى ياء المتكلم المختزلة إلى كسرة تخففا في النطق، وذلك في عدد من المشاهد الحوارية التي دارت بين الأنبياء وأقوامهم لتنبيههم واستمالتهم بتمكين الصلة التي تربطه بهم وتثبيتها. ومن ذلك:

قوله تعالى على لسان موسى،عليه السلام، في حواره مع بني إسرائيل: ﴿ **يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا واتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين ، يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين** ﴾[١]

تعلق النداء في الجملة الأولى بذكر نعمة الله على بني إسرائيل، وتعلق الدال المكرر في الجملة الثانية بالطلب العملي (ادخلوا الأرض المقدسة) الذي يلي الطلب الأول (اذكروا نعمة الله عليكم)، فما علق بالدال المكرر يحيل إلى ما علق بالدال الأول.

وفي حوار مؤمن آل فرعون مع فرعون وقومه تكرر توجيه النداء إلى لفظة (قوم) ست مرات[٢]، لتنبيههم وتحذيرهم، لأن فرعون كان يقاطعه متجاهلا كلامه ومسكتا صوته كي لا يؤثر على قومه، فكان الرجل المؤمن يكرر نداءه لقومه ليعيد انتباههم لكلامه كلما انقطع تواصله بهم بتدخل فرعون الكلامي:

﴿ **يا قوم، لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا. وقال فرعون: ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد ، وقال الذي آمن: يا قوم اني أخاف عليكم يوم التناد ، يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد** ﴾[٣] ويواصل الرجل المؤمن حواره مع قومه دون ان يناديهم لعدم وجود قاطع كلامي يحول اهتمام المتلقي[٤]. ويثير حواره فرعون من جديد، فيقاطع خطابه بقوله ساخرا:

﴿ **يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب، أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا** ﴾[٥]

---

(١): المائدة/(٢٠-٢١).

(٢): غافر/٢٩،٣٠،٣٢،٣٨،٣٩،٤١.

(٣): غافر/(٢٩-٣٣).

(٤): تنظر الايات المتضمنه حوار الرحل الرجل المؤمن وقد خلت من التركيب الندائي (يا قوم) في سورة سورة/(٣٤-٣٥).

(٥): غافر/(٣٦-٣٧).

ويدرك الرجل المؤمن اقتراب نهايته لجرأته وصراحته، فيدفعه ضيق الوقت المتاح له ان يكثف المنبه التعبيري(يا قوم) في خطابه لعله يجد اذانا صاغية:

﴿ يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد، يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار﴾ [١] إلى أن يقول: **﴿ ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار﴾** [٢]

وبعد استعراض المواطن التي استهلت بـ (يا قوم) في حوار الرجل المؤمن مع قومه، رأينا أن كل دال مكرر تعلق بجملة فيها درجة من التصريح بايمان المتكلم تفوق تلك الموجودة في الجملة التي سبقتها، فالتصريح يتنامى تصاعديا في كل جملة.

وشكل تكرار نداء الله عز وجل بغير أداة ظاهرة لافتة في دعاء الأنبياء والصالحين من عباده رجاء وتعلقا بالقدرة الإلهية، ومنه: تكرار الدال (ربنا) خمس مرات في دعاء أولي الألباب الذاكرين الله المتفكرين في خلقه: **﴿ ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار، ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار، ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا، وتوفنا مع الأبرار، ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك و لا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد﴾**[٣]

جسم تكرار الدال (ربنا) حالة ذكر الله الدائمة على لسان الذاكرين المتفكرين وترنمهم بتكرار ذكره، كما يوحي بتأدبهم في خطاب الله وخشيتهم التي تمنعهم من توجيه طلباتهم إليه توجيها مباشرا، ولذا نجدهم يمهدون لكل عبارة بنداء الله (ربنا) مجردين نداءهم من أداة النداء لشعورهم بالقرب من مخاطبهم، وفي هذا التمهيد تخفيف من حدة الطلب المتمثل في أفعال الأمر(فقنا، فاغفر، وكفر، وتوفنا، واتنا).

ولبيان أهمية الدور الدلالي الذي أوجده هذا التكرار دعونا نجرد الجمل الواردة في النص السابق من الدال المكرر (ربنا). سنلاحظ ان الخطاب اكتسى شيئا من الحدة لا تلائم المقام. كما أننا سنلاحظ فارقا في السبك أو الترابط بين مفردات النص وجمله، فتكرار الدال يشد أواصر العلاقة الترابطية بين أجزاء النص.

---

(١): غافر/(٣٨-٣٩).

(٢): غافر/٤١.

(٣): آل عمران/(١٩١-١٩٤).

- **تكرار الأدوات المخصوصة:**

يشكل تكرار الأدوات بأبعاد متقاربة عمقا دلاليا يكشفه السياق المقالي. ومنه تكرار مجموعة من الأدوات في عدد من سياقات التحدي والمكابرة والإنكار، ومثاله تكرار همزة السؤال في كلام منكري البعث: ﴿ **أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون** ﴾[1]، فقد دل تكرار همزة السؤال في هذا السياق على التعجب والانكار، ولا يخفى ما تدل عليه الاسئلة المتوالية من سخرية واستبعاد.

وتكرار (أو) خمس مرات في حوار كفار مكة مع رسول الله:

﴿ **وقالوا: لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا ، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا ، أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه. قل: سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا؟!** ﴾[2]

يجسد تكرار (أو) في هذا الحوار مقدار تعنت المتكلم ورغبته في تعجيز الخصم، فهو يتفنن في عرض طلباته التعجيزية، فقد تعلق بكل (أو) طلب من طلباتهم الخارقة، وكأن صوتهم الجمعي توزع أصواتا متفرقة مع كل (أو)؛ فهذا يطلب من الرسول أن يفجر ينبوعا، وذاك يطلب أن تكون له جنة تتفجر خلالها الأنهار، وآخر يطلب أن يسقط عليهم السماء كسفا وهكذا.

وتتكرر (بل) في حوار الكفار مع بعضهم دالة على اضرابهم وتحيرهم حول كلام الرسول ورسالته: ﴿ **بل قالوا: أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون** ﴾[3]؛ انهم يقولون القول ثم يضربون عنه، فقد أضربوا عن قولهم هو سحر إلى انه تخاليط احلام، ثم إلى كونه كلاما مفترى من عنده، ثم إلى وسمه بقول شاعر.

---

(١) المؤمنون/٨٢.

(٢) الاسراء/(٩٠-٩٣).

(٣) الانبياء/٥.

يقول الزمخشري: "وهكذا الباطل لجلج، والمبطل متحير رجاع غير ثابت على قول واحد. ويجوز أن يكون تنزيلا من الله تعالى لأقوالهم في درج الفساد: وأن قولهم الثاني أفسد من الأول، والثالث أفسد من الثاني، وكذلك الرابع من الثالث"[1]. وهذا ما عكسه تكرار (بل) معمقا دلالة الإضراب والحيرة والتردد.

وتكررت **(ما النافية)** في المواجهة الحوارية بين الكافرين ورسل الله دالة على إصرارهم على رفض قبول دعوتهم وذلك في عدد من المشاهد الحوارية التي دارت بين الرسل وأقوامهم، نذكر منها:

قوله تعالى على لسان قوم عاد في حوارهم مع هود: **﴿ يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ﴾**[2] فقد وردت (ما) في كلامهم ثلاث مرات، تعلقت في كل مرة بمبرر واه لعدم ايمانهم بدعوة هود، وفي تكرار النفي دلالة على انهم قوم جفاة، لا يلتفتون إلى النصح، ولا تلين شكيمتهم للرشد. كما دلت على رغبتهم في تيئيس هود من الإجابة.

ومثله ما حكاه الله على لسان قوم نوح في محاورتهم مع نوح: **﴿ ما نراك إلا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين ﴾**[3].

وتكررت ما النافية في سياق آخر يختلف عن السياقات السابقة، وذلك على لسان رجل من أهل الجنة، أثارت رؤيته لقرنيه في سواء الجحيم شعوره بجزالة النعمة التي نالها هو وإخوانه من عباد الله المخلصين. فأحب ان يؤكدها وستعرضها، ويطمئن إلى دوامها، فقال:
﴿ أفما نحن بميتين ، إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين ، إن هذا لهو الفوز العظيم ﴾[4]
إنه يكرر ما النافية وضمير المتكلمين (نحن) لتأكيد نفي ايقاع العذاب والموت بهم هم دون غيرهم.

---

[1]: الزمخشري، الكشاف، (٣/١٠).

[2]: هود/٥٣.

[3]: هود/٢٧.

[4]: الصافات/(٥٨،٥٩،٦٠).

كما تكررت ما النافية في عدد من المشاهد الحوارية التي حاول فيها أحد الأطراف تأكيد نفي تهمة الصقها به الطرف الاخر، ومنه:

قول أبناء يعقوب، عليه السلام، حين اتهموا بسرقة صواع الملك: ﴿ **تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد الأرض وما كنا سارقين** ﴾ (1).

وتكررت **(لا الناهية)** في عدد من السياقات التي يجمعها مبدأ التناصح والحث على نهي ارتكاب أفعال معينة، ومن ذلك:

قوله تعالى في حواره التلقيني لرسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿ **قل: تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم: ألا تشركوا به شيئا، وبالوالدين إحسانا، ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ، ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن.** ﴾(2)

وقوله تعالى على لسان شعيب في حواره مع قومه: ﴿ **ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين** ﴾ (3).

وقوله تعالى على لسان لقمان الحكيم في حواره مع ابنه: ﴿ **ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور** ﴾ (4).

إن تكرار لا الناهية في هذه النصوص أضفى عليها تنظيما سطحيا خاصا راجعا إلى تحقيق توافقات أو تشابهات خاصة مع الغرض الكلي؛ ففي الحوار الأول، تعلقت بكل (لا) قضية جزئية خاصة، ارتبطت مع القضايا الجزئية الأخرى مجسدة المعنى الكلي المتمثل في قوله: ﴿ **تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم** ﴾، وكذلك الأمر في المثالين الآخرين.

---

(1): يوسف/٧٣.

(2): الانعام/(١٥١-١٥٢).

(3): هود/٨٥.

(4): لقمان/١٨.

وتكررت **(لا النافية)** مؤكدة نفي نسبة صفات أو أفعال مخصوصة يجمعها حقل دلالي واحد إلى من يدور حوله محور الخطاب، ومن ذلك:

قوله تعالى على لسان إبراهيم ،عليه السلام، في حواره مع أبيه: ﴿ **يا أبت، لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا** ﴾ [1] فقد تعلق بكل (لا) فعل من الأفعال المنسوبة إلى الأحياء، ليؤكد تكرار النفي صفة واحدة هي جمود معبوداتهم وفقدانها عنصر الحياة. فالتكرار يجزئ الصفة العامة إلى صفات جزئية ويعيد ربطها وتوحيدها في الوقت ذاته.

واستخدم إبراهيم الأسلوب ذاته في حواره مع قومه: ﴿ **قال: أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم** ﴾ [2] لقد جمع تكرار لا النافية بين فعلين متقابلين (ينفعكم، يضركم) في بيان صفة واحدة، فتساوى الشيء وضده.

وتكررت **(لام التأكيد أو القسم)** في عدد من السياقات مجسمة درجة توتر الطرف المحاور، الذي دفعه حقده أو غضبه على الطرف الآخر أن يؤكد تهديداته التي سيوقعها بخصمه بتكرار لام التأكيد مع كل تهديد، فها هو إبليس يصرخ مجاهرا بعداوته لبني آدم أمام خالقه مصمما على أن يهلكهم بالوساوس التي ستزديهم في نار جهنم: ﴿ **لعنه الله وقال: لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ، ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله** ﴾ [3]

إن من يقرأ هذا النص يشعر بثقل وتشديد خانقين نتيجة توالي التوكيد بلام القسم ونون التوكيد الثقيلة، فالبنية اللغوية تجسيما حيا مقدار حقد المتكلم وغيرته وتأكيده ما سيقوم به من أفعال شريرة.

وشبيه بهذا قول فرعون للسحرة وقد أعلنوا إيمانهم أمام الملأ: ﴿ **فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى** ﴾[4]، إنه الغضب الذي يسيطر على مشاعر المتكلم، والإهانة التي يحسها اعترته من الطرف الآخر، فيلجأ إلى عرض قوته التي سيحطم بها خصمه محملا لغته أثقالا من هذه القوة.

---

(1): مريم/٤٢.

(2): الانبياء/٦٦.

(3): النساء/(١١٨-١١٩).

(4): طه/٧١.

- **<u>تكرار الدال وترديده مع متعلقات تختلف في كل مرة مشكلة اتساعا في مساحة المعنى الدلالي العميق، ومنه:</u>**

التكرار المتوازي الذي خدم دلالة المقابلة خدمة خاصة، كقوله تعالى لسان ذي القرنين: ﴿ **أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا ، وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى** ﴾[١]، فقد جاء التوازي بين العبارتين للمقابلة المتحصلة من الفعل (ظلم) الذي يقابله في العبارة الثانية الفعل (آمن)، وهذا يخلق تعاكسا في الدلالة العميقة لجملة الدال الأول وجملة الدال المكرر.

وقوله على لسان موسى عليه السلام: ﴿ **إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء** ﴾[٢] فقد تعلق الدال الأول (من تشاء) بالفعل (تضل)، وتعلق الدال المكرر بالفعل (تهدي) الذي يقابل الفعل الأول.

وقوله في حواره التلقيني لرسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿ **قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله أن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته** ﴾[٣] لقد سبك التكرار في هذه العبارة بين طرفين متناقضين، يحيل فيهما الطرف الثاني (او أرادني برحمة) إلى الطرف الأول (ان أرادني بضر) لتأكيد معنى التسليم المطلق في حالتي الرحمة والضر.

وقد يعلق بالفعل الواحد نفي الطلب واثباته، ومثاله قول يعقوب لبنيه: ﴿ **يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة** ﴾[٤] فالأمر بعدم الدخول يتعلق بكون الدخول من باب واحد، أما أمر الدخول فيرتبط بأبواب متفرقة.

---

[١]: الكهف/(٨٧-٨٨).

[٢]: الاعراف/١٥٥.

[٣]: الزمر/٣٨.

[٤]: يوسف/٦٧.

وقول الشيطان لأتباعه يوم القيام: ﴿ **فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي** ﴾ (١)

فقد نهى عن إيقاع لومهم عليه، وطلب وقوع اللوم على أنفسهم، وتغير الدال (ما أنا بمصرخكم) ليكون الخطاب من المتكلم إلى المخاطب لتتم عملية المحادثة بهذه التغيرات في الضمائر، وفصلت الواو بين الدالين لتجمع بينهما دالة على المساواة بين طرفين.

ومن صور تكرار الدوال القائمة على النفي قوله تعالى: ﴿ **وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها** ﴾(٢) فقد جاء الدال الاول منفيا (ليس البر) والدال المكرر مثبتا.

ويرتبط هذا الأسلوب بالسياقات التوضيحية التعليمية، فالله عز وجل يطلب من رسوله أن يوضح مفهوم البر للمسلمين، فينفيه أولا منزلا إياه منزلة المعدوم، وبعدها يكرر الدال مثبتا مفهومه السليم.

ويتردد الفعل في الجملة الواحدة، وتتغير علاقاته التركيبية مع غيره من العناصر، فتتكون للدال الواحد صور مطابقة لكنها مقولبة في أطر تركيبية منوعة مما يعطي عمقا دلاليا، كما في قوله تعالى على لسان رجل من شيعة موسى لموسى لما أرد أن يبطش بالذي هو عدو لهما: ﴿ **أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين** ﴾ (٣) فقد تكرر الفعل (تريد) في تركيبات ثلاثة؛ تركيب استفهامي (أتريد)، وتركيب خبري فيه معنى التأكيد (إن تريد)، وتركيب نفي (وما تريد). ويؤكد تكرار الفعل في التركيبين الآخرين معنى الدال في التركيب الأول، فأرادة قتله تعني إرادة أن يكون جبارا وعدم إرادته للإصلاح.

---

(١): ابراهيم/٢٢.

(٢): البقرة/١٨٩.

(٣): القصص/١٩.

وقد يكرر الدال ذاته بقالبه التركيبي وترديده مع متعلقات مختلفة في كل مـــرة، مشــكلا اتساعا في العمق الدلالي، كقوله تعالى للملائكة:

﴿ سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ﴾[1]

أفاد ترداد الفعل (اضربوا) تفصيل موقع الضرب فهو إما واقع على مقتل (فــوق الأعنــاق)، أو واقع على غير مقتلٌ (البنان: الأصابع ويريد الأطراف). فالله يأمر ملائكته بأن يجمعــوا علــى الكافرين النوعين معا.

وقوله تعالى للرجل الذي أماته مائة عام ثم بعثــه: **﴿ فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه، وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس، وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما ﴾**[2]، فقد تشكل التكرار بترديد الفعل (انظر):

انظر ← إلى طعامك وشرابك.

انظر ← إلى حمارك.

انظر ← إلى العظام.

وقد خلق الترداد تقسيما أدى إلى بروز القضية التي تحويها كــل جملــة، لتثــير تــأمل المخاطب وتجيب عن تساؤله: (أنى يحيي هذه الله بعد موتها)، لتشكل بمجملــها قضيــة البعــث والنشور.

وقوله تعالى على لسان رجل مؤمن في حواره مع قومه: **﴿ يا قوم، اتبعوا المرسلين، اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون ﴾**[3]

لقد تم هنا ارتباط طرفي الترديد من خلال علاقة التكرار. كما أن كل طرف من هذيــن الطرفين مرتبط بما تعلق به (المرسلين/من لا يسألكم أجرا) من خلال الاسناد، وهي علاقة تعنــي التلازم بين طرفيها؛ ومن ثم فدخول أحدهما (اتبعوا) في ارتباط بطرف آخــر (اتبعــوا)، يتبعــه دخول الثاني (المرسلين/من لا يسألكم أجرا) كما أن الاستبدال في هذا الإرتباط دل على التكــافؤ بينهما، فالمرسلون هم من لا يسأل أجرا، ومن لا يسأل الناس أجرا هم المرســلون. وقــد لجــأ المتكلم إلى إجراء هذا التكافؤ لابراز طرفية للمخاطبين.

---

[1] : الانفال/١٢.

[2] : البقرة/٢٥٩.

[3] : يس/(٢٠-٢١).

ومثله قوله تعالى على لسان هود عليه السلام في حـــواره مـــع قومـــه: ﴿ **فاتقوا الله وأطيعون، واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون، أمدكم بأنعام وبنين** ﴾[١] فقد تعلق طرف التكرار الأول (فاتقوا) بـــ(الله)، وتعلق طرفه الثاني بـــ(الذي أمدكم بما تعلمون)، والعلاقة الرابطة بيـــن متعلق الدال الأول ومتعلق الدال المكرر علاقة توضيح ووصف، أي ان الحديـــث عـــن متعلـــق الطرف الأول استمر واتسع معناه وتعمق مع الدال المكرر. كما تكررت الجملة (أمدكم) مشـــكلة الطرف الأول من أطراف عملية تكرارية متولدة مـــن التكـــرار الأول دون أن تنفصـــل عنـــه. وتعلقت بالطرف الأول جملة (بما تعلمون) التي فصلت وكشفت عن مضمونـــها بمتعلـــق الـــدال المكرر (بأنعام وبينين) أي أن مقولة (بما تعلمون) تعادل وتكافئ مقولة (بأنعام وبنين).

وهكذا فقد شكل التكرار في العبارة السابقة رابطا يدمج عناصرها لتكوينية مجسما علاقـــة الأصل بما تفرع عنه، فالدال الأول يعد الجملة الأم التي تمهد لميلاد جملة أخرى ترتبـــط معـــها بمشيمة التكرار، ويحيل متعلق الدال المكرر إلى متعلق الدال الأول، ومن ثـــم يحصـــل الســـبك بينهما.

ويقودنا هاذ المثال إلى الحديث عن التكرار التفصيلي، ومثاله: قوله تعالى علـــى لســـان مؤمن آل فرعون في حواره مـــع فرعـــون وقومـــه: ﴿ **ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار، تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ماليس لي به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار** ﴾[٢] إنه يبدأ بالسؤال الإنكاري الذي يلخص المعنى الإجمالي لطبيعة موقفه معـــهم وطبيعة موقفهم معه، ثم يفصل ما أجمله مكررا الدالين (أدعوكم/تدعونني) ومعلقا بـــهما جمـــلا تفصل المتعلقات السابقة وتحيل اليها مجسدة المعنى ومفسرة المقصود. فـــالدال الأول: أدعوكـــم إلى النجاة، يقابل ويكافئ الدال المكرر: أدعوكم إلى العزيز الغفار. والدال: تدعونني إلى النـــار، يقابل ويكافئ الدال المكرر: تدعونني لأكفر بالله واشرك به ماليس لي به علم.

وقد ذكرنا أن التكرار ضرب من ضروب الإحالة إلى السابق، فمتعلـــق الـــدال المكـــرر يحيل إلى متعلق الدال الأول، والعلاقة بين المتعلقين علاقة سبب بنتيجة؛ فمـــا تعلـــق بـــالدالين المكررين هو السبب، وما تعلق بالدالين الأولين كان النتيجة. فالدعوة للكفر والشرك تؤدي إلـــى دخول النار، والدعوة إلى الايمان بالعزيز الغفار تؤدي إلى النجاة من العذاب. وهكذا يتم السبك، وتتجسد الاستمرارية.

---

[١] الشعراء/١٣١،١٣٢،١٣٣.

[٢] غافر/(٤١-٤٢).

ويتجاور الدالان في عدد من السياقات ويفصل بينهما فاصل، ومن الأمثلة على هذه الصورة: قوله تعالى على لسان العزيز في حواره مع زوجته وقد ثبتت تهمة مراودتها ليوسف: **﴿إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم﴾** [١] فقد فصلت اداة التوكيد (إن) بين الدالين المتجاورين، مشكلة ركيزة ينتقل بواسطتها إلى التعليق على ما سبق بيان حكمه.

وقوله على لسان مريم في حوارها مع زكريا وقد سألها عن مصدر الرزق الذي عندها فأجابته: **﴿ هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾** [٢].

وقد تتجاور الدوال المكررة ويتلاحق العطف بينهما مؤديا دور الفاصل الجامع بين الأقسام المتساوية: **﴿ فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل: تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾** [٣] إن هذه الجزئيات دوال مكررة مع تغيير الضمائر بما يناسب عملية المحاورة بين المتكلم والمخاطب، يربطها إطار مكون من ثلاثة أفعال (تعالوا ندع/ثم نبتهل/فنجعل) وقسمت الدوال بين الأبناء والنساء والانفس ثم يطلب منهم الابتهال. وبدأ بالدعوة إلى ضم الأبناء فالنساء فالأنفس إلى ليتبين الكاذب.

يقول الزمخشري في تعليله لهذا الترتيب: "وذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على تعريض أعزته وأفلاذ كبده وأحب الناس إليه ولم يقتصر على تعريض نفسه له، وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع أحبته هلاك الاستئصال إن تمت المباهلة. وخص الأبناء والنساء لأنهم أعز الأهل وألصقهم بالقلوب، وربما فداهم الرجل نفسه وحارب دونهم حتى يقتل"[٤].

---

(١): يوسف/٢٨.

(٢): آل عمران/٣٧.

(٣): آل عمران/٦١.

(٤): الزمخشري، الكشاف، (٣٦٢/١-٣٦٣).

ومثاله ما جاء في قوله تعالى على لسان بني إسرائيل في حواره مع موسى عليه السلام: **﴿ يا موسى إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون﴾**[١] حيث فصلت إن الشرطية بين الدالين المتجاورين (يخرجوا منها)، وجاء الدال الأول شرطا إن تحقق دخولهم، فالدخول متعلق بخروج القوم الجبارين.

وتأكد هذا الشرط في العبارة التي ورد فيها الدال المكرر مع عكس وتبديل الموقع الذي حل فيه، أو لنقل انها عملية توقف مؤقتة عدلت فيها الصياغة خط سيرها لتجعله خطا مزدوجا يعتمد على التقديم والتأخير الذي تتبادله الدوال المتماثلة. وقد تسلطت بنية العكس على المنطقة المحور في الخطاب لتأكيد مضمونها بهذه الحركة التقدمية على المستوى الأفقي التي جاورت بين الدالين فتركز المعنى المراد.

وقد تتسع المساحة المكانية الفاصلة بين الدال الأول والدال المكرر فينتج هذا التباعد ترابطا يشد عناصر الجملة أو العبارة من أولها إلى آخرها، ومثاله:

قوله تعلى على لسان الملأ الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة: **﴿ أيعدكم أنكم إذا متم وكنت ترابا وعظاما أنكم مخرجون﴾**[٢] حيث أحال الدال المكرر (أنكم) إلى (أنكم) الأولى، خشية تناسب لطول العهد به في القول على حد تعبير السجلماسي؛[٣] وحيث جاءت (أنكم) وبعدها جملة ليس فيها خبر (أن)، ثم جملة ثالثة ليس فيها خبر (أن)، وحين أريد إدراج هذا الخبر في الجملة الثالثة، كان قد طال العهد بين (أن) واسمها من جهة، وخبرها من جهة أخرى، مما يخشى معه تناسي وجود أن أن واسمها، فأعيدت (أنكم) مرة ثانية، لتربط أجزاء الكلام بعضها، فيغدو التكرار آلية من آليات التذكر.

(١): المائدة/٢٢.

(٢): المؤمنون/٣٥.

(٣): أشار السجلماسي إلى هذا الضرب من التكرار بعد أن اصطلح على تسميته بـ (البناء)، فقال في تعريفه: (البناء: هو اعادة اللفظ بالعدد وعلى الاطلاق، المتحد المعنى كذلك مرتين فصاعدا؛ خشية تناسي الأول لطول العهد به) ينظر: السجلماسي، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، ص(٤٧٧-٤٧٨).

ومثاله قوله تعالى لسان يوسف، عليه السلام، في حوراه مع أبيه: ﴿**يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين**﴾[1] فقد تكررت الجملة الفعلية (رأيت) لوصل أول الكلام بآخره، مع تبديل في هيئة المفعول به، فما صرح به مع الدال الأول (أحد عشر كوكبا والشمس والقمر) اضمر مع الدال المكرر (هم) في (رأيتهم).

كما يعكس هذا التكرار أسلوب الأداء اللغوي عند الطفل يوسف وهو يقص رؤياه على أبيه متعجبا مسرورا بما رآه، انه يريد أن تأكيد رؤيته هذه الأشياء فيعيد (رأيت) ويعلق بها الضمير (هم) الذي يعود على الأشياء المذكورة مع الدال الأول لتأكيد.

وتتكرر الدال الواحد مع نهاية كل جملة تامة في كلام المرسل محافظا على توزيعه المكاني، ليوقف المخاطب عند هذا الدال وقوفا إجباريا قبل أن يواصل نقل رسالته، وذلك تأكيدا لمضون الدال المكرر. ومنه قوله تعالى في حواره مع عيسى عليه السلام مذكرا بنعمة عليه:
﴿**وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير، بأذني، فتنفخ فيها فتكون طيرا، بإذني، وتبرئ الأكمه والأبرص، بإذني، وإذ تخرج الموتى، بإذني...**﴾[2].

فقد تكرر الدال (بإذني) عقب كل معجزة خارقة لا يقدر عليها؛ للتأكيد على إنها تحققت على يد عيسى بتسهيل من الله وإذن منه، وليرسخ بهذا التكرار بشرية عيسى، عليه السلام، لمواجهة من ادعى ألوهيته، ودحض هذه الافتراءات.

وتكرر هذا الدال على لسان عيسى –عليه السلام– إقرارا واعترافا منه بكون المعجزات التي جرت على يديه أمورا سيرها الله على يديه، فقال في حواره مع بني إسرائيل:
﴿**قد جئتكم بآية من ربكم: أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير، فأنفخ فيه، فيكون طيرا، بإذن الله، وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى، بإذن الله، وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين**﴾[3].

---

[1] يوسف/٤.
[2] المائدة/١١٠.
[3] آل عمران/٤٩.

جاء الدالان في نهاية العبارة التي تحوي مضمونا خاصا يتعلق بالخلق والنفخ والإحياء، وهي أفعال خاصة بالقدرة الإلهية، لذا نجد المتكلم يحترس في نسبه هذه الأفعال إلى نفسه خوفا من أن يؤلهه أتباعه، وإقرارا واعترافا بفضل الله عليه. وواضح ما يؤديه التكرار من تجديد الدلالة ومواجهة المتلقيّ بهذا التكرار لمنع تشكل فكرة أو اعتقاد خاطئ في ذهنه.

وهكذا نكون قد تناولنا صورا من هذا اللون من التكرار، محاولين الربط بين الأبنية التكرارية والمضامين الحوارية المتشكلة فيها، وذلك في إطارين:

- <u>الإطار الأول</u>: ما تكرر من الدوال الواردة في مقولة أحد أطراف الحوار في عبارة الطرف الآخر.

- <u>الإطار الثاني</u>: ما تكرر من الدوال في مقولة طرف واحد.

- النمط الثاني: **تكرار جمل من حوار الشخصية ذاتها في غير سورة تكرارا لفظيا تاما أو تكرارا لفظيا منقوصا تعتوره تغيرات يتطلبها المقام:**

تكررت المحاورات في مواضع متعددة من سور القران الكريم، فالمحاورة الواحدة للشخصية المحاورة ذاتها تعاد أحيانا بلفظها التام، وتنصب عناصرها أحيانا في قوالب منوعة فيتقدم عنصر في محاورة، ويتأخر في المحاورة ذاتها في موضع غير الموضع الأول، أو يزداد عنصر في المحاورة المعادة أو ينقص، أو يبدل عنصر بآخر، لتقرير معنى واحد. وهذا التغيير في البنية اللغوية للمحاورة الواحدة لا يخرجها من اطار التكرار اللفظي، فالمعنى الواحد الذي تدور حوله المحاورة يتحقق ويترسخ بطرق أداء متنوعة اقتضاها المقام، مع مراعاة الفروق الدلالية الدقيقة المترتبة على أي تغيير في النظام التركيبي للجملة. فالتكرار لا يأتي الا ويقدم زيادة في المحاورة لم تكن قد وردت من قبل[١].

يقول ابن الاثير: "فاعلم أنه ليس في القران مكرر لا فائدة في تكريره، فان رأيت شيئا منه تكرر، من حيث الظاهر، فأنعم نظرك فيه، وانظر إلى سوابقه ولواحقه لتنكشف لك الفائدة منه"[٢]. ففي تكرار الحوار الواحد إبراز الجوانب لا يمكن أدؤها على وجه من واحد وجوه التعبير، فالعبارة تعاد اكثر من مرة مبرزة في كل مرة وجها من وجوه الزاوية المحيطة بالحدث الحواري فيخرج المتلقي بتصور كامل للمشهد الحواري الواحد، هذا بالإضافة إلى تأكيد مضمون الحوار وتثبيته في نفس السامع لتكرار وروده في سياقات متنوعة تبرزه ويبرزها، فالكلام كلما تكرر تقرر.[٣]

ويأتي هذا النمط في عدة أساليب منها:

(أ) التكرار اللفظي التام:

ويتضمن جملا من حوار الشخصية لغيرها تكررت بلفظها ومعناها في غير سورة. ومن الأمثلة على هذا الأسلوب:

١- التكرار اللفظي التام في حوار الأنبياء مع أقوامهم. ومثاله ما جاء في:

---

[١]: أشار إلى هذا المعنى الزركشي في برهانه حين قال: (إن التكرار لا يأتي إلا ويقدم زيادة في القصة لم تكن قد وردت من قبل). ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (ج٤، ص٣٧).

[٢]: ابن الاثير، المثل السائر، (ج٣،ص٨).

[٣]: السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، (ج٣، ص١٩٩).

قوله تعالى على لسان صالح عليه السلام في حواره مع قومه: ﴿ **هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب**﴾، فقد تكررت هذه الجملة بلفظها التام في سورتي الأعراف وهود. (١) ففي السورتين الكريمتين عرضت حوارات عدد من الانبياء وأقوامهم، وقد دارت حول تذكير الأنبياء لأقوامهم بنعم الله عليهم وآياته، وتحذيرهم من عاقبة كفرهم وجحودهم بها، ولذا تكررت الجملة المحور في كلام صالح مندرجة تحت حوارات غيره من الانبياء لانها تحوي تذكيرا بآية خارقة من آيات الله، وتحذيرا من عقرها، وهكذا أفاد تكرار هذه الجملة تكرار التذكير والتحذير.

ونجد هذا النمط من التكرار في السورتين السابقتين وسورة الشعراء للغاية ذاتها في قوله تعالى على لسان شعيب ،عليه السلام، في حواره مع قومه: ﴿ **ولا تبخسوا الناس أشياءهم**﴾(٢)، وقوله: ﴿ **ولا تعثوا في الأرض مفسدين**﴾ في سورتي هود والشعراء(٣).

قوله تعالى على لسان عيسى ،عليه السلام، في حواره مع بني إسرائيل: ﴿**فاتقوا الله وأطيعون**﴾ في سورتي آل عمران والزخرف(٤). وقوله: ﴿**فاعبدوه هذا صراط مستقيم**﴾ في ثلاث سور هي: آل عمران، مريم، الزخرف(٥).

إن في تكرار الجملتين السابقتين دليل على التزام عيسى، عليه السلام، بدعوة بني إسرائيل إلى تقوى الله وطاعته وتركيز على أمر عيسى قومه بعبادة الله وحده فهو ربه وربهم، ففي هذا التكرار تنزيه لعيسى من أن يكون قد دعا بني إسرائيل لعبادته، ورد على من قال إن عيسى ابن الله.

قوله تعالى على لسان هود، عليه السلام، في حواره مع قومه: ﴿ **اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم**﴾. فقد تكررت هذه الجملة بلفظها التام في سورتي الشعراء والأحقاف(٦)، دالة على حرص هود على قومه، وتكرار تحذيرهم مرات عديدة.

كما تكررت هذه العبارة في حوار نوح، عليه السلام، مع قومه : ﴿ **اني أخاف عليكم عذاب يوم** ﴾ في سورتي الأعراف وهود(٧) للغاية ذاتها.

---

(١) الاعراف/٧٣،هود/٦٤.

(٢) الاعراف/٧٣،هود/٦١، الشعراء/١٨٣.

(٣) هود/٨٥، الشعراء/١٨٣.

(٤) آل عمران/٥٠، الزخرف/٦٣.

(٥) آل عمران/٥١، مريم/٣٦، الزخرف/٦٤.

(٦) الشعراء/١٣٥، الأحقاف/٢١.

(٧) الأعراف/٥٩، هود٢٦.

قوله تعالى على لسان نوح، عليه السلام، في حواره لقومه : ﴿ **يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره** ﴾ في سورتي الأعراف والمؤمنين[١] .

وقوله علي لسان هود: ﴿**يا قوم أعبدوا الله ما لكم من اله غيره** ﴾ في سورتي الأعراف وهود[٢]، وتكرار جمله ﴿**اعبدوا الله ما لكم من اله غيره أفلا تتقون**﴾ في سورتي الأعراف والمؤمنين[٣] على لسانه أيضا .

وقوله علي لسان صالح، عليه السلام، :﴿ **يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره** ﴾. في سورتي الأعراف وهود[٤]. وتتكرر الجملة السابقة بلفظهما مرتين علي لسان شعيب عليه السلام : ﴿ **يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره** ﴾ في السورتين السابقتين أيضا[٥].

نلاحظ أن الجمل السابقة تكررت علي لسان كل رسول مرتين ، فالتكرار مزدوج ، تكرار على لسان المتكلم الواحد مرتين، وتكرار الجملة ذاتها علي لسان أكثر من متكلم . وفي هذا دليل علي وحده الرسالة التي جاء بها رسل الله ، وتأكيد دعوتهم لأقوامهم بتكرارها مرات عديدة ملتزمين بما فيها (أعبدوا الله ما لكم من إله غيره) وجاءت هذه موزعة في سور ثلاث هي الأعراف ، هود ، المؤمنون .

٢ – التكرار اللفظي التام في ردود المعاندين لرسل الله وأتباعهم :

مثاله ما جاء في قوله تعالى على لسان فرعون في حواره مع موسى :﴿ **فأت بها إن كنت من الصادقين**﴾ فقد تكررت الجملة بلفظها التام في سورتي الأعراف والشعراء[٦]، مع ابدال الضمير المتصل بحرف الجر ليلائم جنس الكلمة التي ذكرها موسى، فقد قال في آية سوره الأعراف : (قد جئتكم ببينه) فجاء رد فرعون : (فأت بها) . وفي آية سوره الشعراء : (أولو جئتك بشئ مبين)، فقال فرعون: (فأت به) . وقد تكررت الجملة السابقة بلفظها لأهميتها في تغيير مجري الأحداث وتسارعها نحو النهاية؛ ففيها يطلب فرعون من موسي متحديا ساخرا أن يأتي بالآيه المعجزه، فيأتي موسى بها ويؤمن السحرة بدعوة موسى، وتتوالى

[١] الأعراف/٥٩، المؤمنون/٢٣.

[٢] الأعراف/٦٥، هود/٥٠.

[٣] الأعراف/٦٥، المؤمنون/٣٢.

[٤] الأعراف/٧٣، هود/٦١.

[٥] الأعراف/٨٥، هود/٨٤.

[٦] الأعراف/١٠٦، الشعراء/٣١.

الصراع بين الجانبين منتهيا بغرق فرعون . فالجملة السابقة هي المفتاح الذي فتح باب الصراع بين فرعون وموسى على مصراعيه، ولذا تكررت بلفظها في موضعين.

وتكررت جمل بألفاظها في قوله تعالى على لسان فرعون في حواره مع السحرة بعد إيمانهم : (آمنتم له قبل أن آذن لكم) في سورتي طه والشعراء[١] ، وجاء الجزء الأخير من العبارة بلفظه التام (قبل أن آذن لكم) في سورة الأعراف[٢].

ومثلها تكرار مقولة: ﴿ **انه لكبيركم الذي علمكم السحر**﴾، [٣] ومقولته : ﴿ **لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف**﴾، [٤] و ﴿ **لأصلبنكم**﴾ [٥]. لقد تكررت في المواضع هذه المذكورة بأعيانها، وطرأت عليها تحويرات دقيقة في مواضع أخرى سنذكرها عند الحديث عن التكرار غير التام وفي هذا تنوع في طريقة الأداء يقرر المعنى ويبرزه من جوانب متعددة، وفيه توضيح للعقوبة بتكرير ذكرها ليكون، في ذلك توجيها للمتلقي بالصبر على العقوبة مهما عظمت اقتداء بصبر السحرة على عقوبة فرعون طمعا بالأجر العظيم يوم القيامة .

٣ – التكرار اللفظي التام في حوار أحد الأطراف مع الله عز وجل أو العكس ومنه :

قوله على لسان إبليس : ﴿ **أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين**﴾، جاءت هذه الجملة بلفظها التام في سورتي الأعراف و ص،[٦] للدلالة على استكبار إبليس واحتقاره لآدم وعصيانه لأمر الله، ففي تكرير هذه الجملة إبراز لها لتحذير بني آدم من إبليس. وهي جملة محور أنهت وجود إبليس في الجنة فبدأ انتقامه من عدوه آدم. وجاءت الجملة في السورتين في سياق الحديث عن مصير اتباع إبليس ومصير أعدائه.

ولتأكيد اللعنة التي لحقت بابليس نتيجة استكباره وعصيانه لأمر الله جاء قوله تعالى: ﴿**فاخرج منها فانك رجيم**﴾ مكررا بلفظه التام في سورتي الحجر وص[٧].

---

(١) طه/٧١، الشعراء/٤٩.

(٢) الأعراف/١٢٣.

(٣) طه/٧١، الشعراء/٤٩.

(٤) الأعراف/١٢٤، الشعراء/٤٩.

(٥) طه/٧١، الشعراء٤٩.

(٦) الأعراف/١٢،ص/٧٦.

(٧) الحجر/٣٤، ص/٧٧.

(ب) التكرار اللفظي مع التقديم والتأخير:

وذلك بأن تعاد الجمل في محاورة الشخصية لغيرها في غير سورة ويطرأ على ترتيب ألفاظها تغيير، فيتقدم في جملة لفظ تأخر في الجملة ذاتها في سورة أخرى، او يتأخر لفظ في جملة كان متقدما في سياق آخر.

يحدث التقديم والتأخير تغيرا في الدلالة ذاتها بينما لا يختلف المعنى العام، وهذا يعني قيام الصياغة في سياقات التقديم والتأخير على عنصرين هما: الثابت والمتغير[1]، فالمعنى هو العنصر الثابت الذي لا يختلف بتقديم او تأخير، والدلالة هي العنصر المتغير الخالق للإبداع.

ومن الأمثلة على هذا الأسلوب ما جاء في:

قوله تعالى على لسان سحرة فرعون: ﴿**آمنا برب العالمين رب موسى وهارون**﴾[2]، وقوله: ﴿ **آمنا برب هارون وموسى**﴾ [3]. نلاحظ تقديم "موسى" على "هارون" في الآية الاولى، وتأخره عنه في الآية الثانية.

وقوله تعالى على لسان زكريا: ﴿ **ربي أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر**﴾ [4]. وقوله: ﴿ **ربي أنا يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا**﴾ [5] بتقديم حالة زوجته على حالته في آية سورة مريم، وتقديم حالته على حالة زوجته في آية سورة آل عمران.

وقوله تعالى ملقنا سيدنا محمد: ﴿ **قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله**﴾[6]، وقوله: ﴿ **قل لا أملك لنفسي ضرا ولا تنفعا الا ما شاء الله** ﴾ [7] بتقديم النفع على الضر في آية سورة الأعراف ، وتقديم الضر على النفع في آية سورة يونس.

---

(١) محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ص٢٥٢.

(٢) الأعراف/١٢٢، طه/٧٠.

(٣) آل عمران/٤٠.

(٤) مريم/٨.

(٥) الأعراف/١٨٧.

(٦) الأعراف/١٨٧.

(٧) يونس/٤٩.

قوله تعالى على لسان كفار مكـة: ﴿ **لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل هذا إلا أساطير الأولين** ﴾ [١]. وقوله: ﴿ **لقد وعدنا نحن واباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين** ﴾ [٢] بتقديم المفعول به الثاني "هذا" على "نحن وآباؤنا" في آية سورة النمل.

(ج) التكرار اللفظي مع الإبدال:

وذلك بأن تعاد الجملة في موقعين او اكثر، ويطرأ عليها في موقع إبدال خرف بحـرف آخر، او إبدال الكلمة بكلمة أخرى، أو إبدال الكلمة بضمير، او إبدال الضمير بضمير آخـر، او إبدال المتكلم بمتكلم آخر او غير ذلك.

- **<u>أنماط التكرار اللفظي مع الإبدال:</u>**

أولا: إبدال الحرف بحرف آخر ومنه:

قوله تعالى على لسان فرعون في حواره للسحرة بعـد ايمانـهم: ﴿**ثم لأصلبنكم**﴾[٣]، وقوله في موضع آخر: ﴿ **و لأصلبنكم** ﴾ [٤]، فقد جاء التعبير بـ " ثم" فى الاولى، وبـ "الـواو" في الثانية، مع ان الجملة صدرت في موقع واحد، ومن متكلم واحد، وفي ظرف انفعالي واحد.

علل الخطيب الاسكافي هذا بقوله: "والجواب ان يقال ان السوريتين اللتين جاءت الـواو فيهما بهذا اللفظ منهما هما المبنيتان على الاقتصاص الأكثر والبسط الأوسع، والواو أشبه بـهذا المعنى لأنه يجوز أن يكون مابعدها ملاصقا لما قبلها كالتعقيب الذي يفـاد بالفـاء، ويجـوز ان يكون متراخيا عنه كالمهلة التي تفاد بثم، لا بل يجوز ان يكون بعدها مقدمـا علـى مـا قبلـها ومجامعا لها إذ هي موضوعة للجمع ولا ترتيب فيها، فكانت الواو اشبه بهذين المكـانين، وثـم تختص بأحد المواضع التي يصلح الواو لجمعها، فلما كانت مقتصرا بها على بعض ما وضعـت له الواو استعملت حيث اختصرت الحال فاقترن بكل من المكانين ما كان اليق بـالمقصود فيـه، فلذلك خصت (ثم) في سورة الأعراف. (الواو) في السورتين الأخريين. والله اعلم"[٥].

---

(١) النمل/٦٨.

(٢) المؤمنون/٨٣.

(٣) الأعراف/١٢٤.

(٤) طه/٧١، الشعراء/٤٩.

(٥) الخطيب الاسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، ص١٧٩.

وقال الكرماني: "قوله: (ثم لاصلبنكم)، وفي السورتين: (ولاصلبنكم) لأن (ثم) تدل على أن الصلب يقع بعد التقطيع، وإذا دل في الأولى، علم في غيرها، لأن موضع (الواو) تصلح له (ثم)" [١].

و أقول: تميزت آية سورة الاعراف عن آيتي سورة طه وسورة الشعراء بالتصريح بالقائل "قال فرعونُ"، وبعبارة ﴿إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها﴾ التي قابلتها عبارة ﴿إنه لكبيركم الذي علمكم السحر﴾ في آية سورة طه وآية سورة الشعراء. وباستخدام (ثم) قبل الفعل (لأصلبنكم). ففي آية سورة الأعراف بسط وتوضيح لا نجده في الآيتين الأخريين، ونعلل هذا بالنظر إلى ترتيب السور الثلاثة وفق نزولها،فسورة الأعراف نزلت قبل طه والشعراء، فصرح بالقائل فيها ولم يصرح بالقائل في الآتيتن الأخريين اعتمادا على ذكره في آية الأعراف، وجيء بـ "ثم" للدلالة على ان الصلب يقع بعد التقطيع من غير قصد مهلة زمنية، بل ليعرف ترتيب وموقع ما يعطف بها. ولما عرف هذا استبدلت (ثم) بالواو في آيتي طه والشعراء موجبة بالجمع بين القتل والصلب مع الترتيب أيضا.

قوله تعالى على لسان فرعون: ﴿آمنتم به قبل ان آذن لكم﴾ [٢] في آية سورة الأعراف، وقوله: ﴿آمنتم له قبل ان آذن لكم﴾ [٣] في آيتي سورة طه والشعراء.

وللسائل ان يسأل عن سبب قوله: (آمنتم به) في الموضع الأول، وقوله: (آمنتم له) في الموضعين الآخرين.

أجاب الإسكافي عن هذا التساؤل بقوله: "الجواب هو أن الهاء في (آمنتم به) غير الهاء في (آمنتم له)، وكل واحدة تعود إلى غير ما تعود إليه الأخرى. فالتي في (آمنتم به) تعود لرب العالمين، لانه تعالى حكى عنهم (قالوا: آمنا برب العالمين)، وهو الذي دعا إليه موسى عليه السلام.

واما الهاء في (آمنتم له) فلموسى عليه السلام، والدليل على ذلك أنها جاءت في السورتين، وبعدها في كل واحدة منها: (انه لكبيركم الذي علمكم السحر)، فالهاء في (انه) هي التي في (آمنتم له)، ولا خلاف ان هذه لموسى عليه السلام. والذي جاء بعد قوله: (إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة) أي إظهار كم ما أظهرتم من الإيمان برب العالمين وقع على تواطؤ منكم أخفيتموه لتستولوا على العباد والبلاد.

---

(١) الكرماني، البرهان، ص٩١.

(٢) الاعراف/١٢٣.

(٣) طه/٧١، اشعراء/٤٩.

ويجوز ان يكون الهاء في (آمنتم به) ضمير موسى عليه السلام، لانه يجوز أن يقال: (امن بالرسول)، أي اظهرتم تصديقه واقدمتم على خلافي قبل أن آذن لكم فيه، وهذا مكر مكرتموه وسر أسررتموه لتقلبوا الناس عليه، فاقتضى هذا الموضع الذي ذكر فيه المكر إنكار الإيمان به. فاما الايمان له في الموضعين الآخرين، فاللام تفيد معنى الإيمان من اجله ومن اجل ما اتى به من الايات، فكأنه قال: آمنتم برب العالمين لاجل ما ظهر لكم على يدي موسى عليه السلام، من آياته. والموضع الذي ذكر فيه من اجله وعبر عنه بالام هو الموضع الذي قصد فيه إلى الإخبار بأنه كبيركم الذي علكم السحر، فلذلك خص بالام والاول خص بالباء. وقد تدل الام على الاتباع فيكون المعنى[1] اتبعتموه لانه كبيركم في عمل السحر. وقد يؤمن بالخبر من لايعمل عليه ولا يتبع الداعي اليه".

وذا تفسير كاف شاف يعلل الابدال بارجاع العبارة للسياق الذي جاءت فيه وعلاقتها بما قبلها من العبارات وما بعدها.

ثانيا: إبدال الكلمة بكلمة أخرى. ومنه:

قوله تعالى على لسان شعيب عليه السلام في حواره مع قومه: ﴿ **فتوفوا الكيل والميزان** ﴾[2] وقوله في موطن آخر: ﴿**أوفوا المكيال والميزان**﴾[3]، فاختلف في الآيتين قوله: {الكيل} وقوله: {المكيال}. وقد وقف على هذا الاختلاف صاحب الكشاف فقال: "فان قلت: كيف قيل (الكيل والميزان) وهلا قيل: المكيال والميزان، كما في سورة هود عليه السلام؟ قلت: اريد بالكيل: آلة الكيل وهو المكيال. أو سمي ما يكال به بالكيل، كما قيل: العيش لما يعاش بـه. او أريد: فأوفوا الكيل ووزن الميزان. ويحوز ان يكون الميزان كالميعاد والميلاد بمعنى المصدر"[4].

و أعلل هذا التبديل بتكرار حوار شعيب مع قومه ناهيا اياهم عن النقصان وآمرا بالإيفاء، فالمعنى المقصود من حواره واحد، والألفاظ تتبادل على المستوى العمودي من الجملة، فتحل كلمة مكان أخرى في العبارة ذاتها مضيفة زيادة في المعنى أو تخصيصا، فالكيل أداة يكال بها، وقد يطلق على عملية الكيل ذاتها، وهذا يعني أن شعيبا أمر قومه بالإيفاء مشيرا إلى الأداة مرة والى العملية أخرى.

---

(١) الخطيب الاسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، ص(١٧٦-١٧٧).

(٢) الأعراف/٨٥.

(٣) هود/٨٥.

(٤) الزمخشري، الكاشف، (ج٢، ص١٢٣).

وقد يكون الكيل هو المكيال، وجاء الكيل على الاصل، وقيس في آية سورة هود على وزن "مفعال" ليلائم كلمة "ميزان" على المستوى الافقي، فالكلمة الواحدة قد تتقولب في بنى صرفية متنوعة. وقد تكررت كلمة "الكيل" في سورة يوسف[١] دون كلمة (مكيال) وفي هذا دليل على ان "مكيال" شكل طارىء للكلمة.

قوله تعالى لابليس: ﴿**فاهبط منها**﴾[٢] وقوله في موضعين: ﴿**فاخرج منها**﴾[٣] يرى الإسكافي أن الألفاظ إذا اختلفت وأفادت المعنى المقصود كان اختلافها واتفاقها سواء "لانه اذا أمره بالخروج من الجنة او من السماء فقد أمره بالهبوط إلى الأرض".[٤]

وارى ان في كلمة "اهبط" إشارة إلى قيمة معنوية تستشف من الفعل "اخرج"، فالخروج من الجنة فيه هبوط وتدنٍ في المكانة والمنزلة حتى وان لم يكن هذا الهبوط إلى الأرض. ففي استبدال كلمة "اهبط" بـ "اخرج" ابراز تدريجي لأيحاءات الفعل، ففي الأمر بالهبوط دلالة على الخروج من منزلة الى منزلة، وفي الأمر بالخروج من الجنة دلالة على هبوط منزلة المخاطب.

ومثله قوله تعالى لإبليس: ﴿**وان عليك <u>اللعنة</u> إلى يوم الدين**﴾ في اية سورة الحجر[٥].

وقوله في اية سورة "ص": ﴿ **وان عليك <u>لعنتي</u> الى يوم الدين** ﴾[٦]، ففي قوله: (وان عليك اللعنة) دلالة على لعنة عامة تحوي لعنة خاصة (لعنتي)، وفي قوله (وان عليك لعنتي) تخصيص للعنة يؤول الى تعميمها، فمن يلعنه الله تلعنه الملائكة والناس.

وقوله تعالى على لسان مريم: ﴿**ربي أنى يكون لي <u>ولد</u> ولم يمسسني بشر**﴾ في آية سورة آل عمران[٧]. وقوله: ﴿**أنى يكون لي <u>غلام</u> ولم يمسسني بشر ولم اك بغياً**﴾[٨].

اختلف اللفظ في الآيتين، فكان في الأولى: "ولد" وفي الثانية "غلام"، فما هو سبب التعبير بهما كل في موقعه؟

يمكننا معرفة السبب بالنظر إلى المخاطب الذي توجه إليه مريم سؤالها، فعدول العبارة في سؤالها عن الغلام إلى الولد مقصود. لقد وجهت مريم سؤالها في سورة آل عمران إلى الله:

---

(١): الآيات التي جاءت فيها كلمة (بحبل) في يوسف هي: ٥٩، ٦٠، ٦٣، ٦٥.

(٢): الأعراف/١٣.

(٣): ص/٣٤، الحجر/٧٧..

(٤): الخطيب الاسكافي، درة التتريل وغرة التأويل، ص١٤٢.

(٥): الحجر/٣٥.

(٦): ص/٧٨.

(٧): آل عمران/٤٧.

(٨): مريم/٢٠.

(رب انى يكون لي ولد)، لقد سألت عن كيفية ان تلد ولدا ولادة طبيعية كباقي الاولاد دون ان يكون له اب، فلقد تقدم في وعد الله لها بالولد ما يدل على انه من غير أب، وذلك لما نسبه اليها: ﴿إذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم﴾[١].

ونستشف من هذه الكلمة ردا على من ألهوا عيسى، فهو ولد، فكيف يكون الها وقد ولد ولادة؟! وهذا ما دارت حوله الآيات في سورة آل عمران، فقد تحدثت عن الآيات التي جاء بها عيسى إلى بني إسرائيل، وعن رسالته وعن رفعه إلى السماء، وختمت حديثها عن عيسى عليه السلام بالتركيز على بشريته: ﴿ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب قال له كن فيكون﴾[٢].

أما في آية سورة مريم فقد توجه السؤال الى الملك الذي تمثل لمريم رجلا سويا، واقتحم خلوتها واخبرها بأنه رسول من الله سيهبها غلاما: ﴿ قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا﴾[٣]، فأجابته منكرة كلامه غاضبة: ﴿ أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا﴾[٤] لقد جاء في كلام الرسول لفظ "غلام"، فجاء رد مريم متضمنا اللفظة ذاتها، فهو حوار ساخن يعيد الطرف المتلقي كلام الطرف المرسل منكرا: ﴿أنى يكون لي غلام﴾ إنها تنكر إنجاب الغلام فهي فتاة عذراء لم تتزوج (ولم يمسسني بشر)، وهي الشريفة الطاهرة المنزهة عن الزنا: (ولم اك بغيا)، فهي هنا مستنكرة إنجاب الطفل وحالها كذلك، أما في سورة آل عمران فإنها تدرك بأنها ستلد ولدا ينسب إليها ولكنها تتساءل عن كيفية وجوده دون أب فالغلام دلالة عامة وللولد دلالة خاصة نستشفها من السياق.

ثالثا: إبدال الكلمة بضمير، ومنه:

قوله تعالى على لسان قوم لوط: ﴿اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم أناس يتطهرون﴾[٥] وقوله: ﴿أخرجوهم من قريتكم انهم أناس يتطهرون﴾[٦] فقد صرح بالمفعول به "آل لوط" في آية سورة الأعراف، واضمر في آية سورة النمل "أخرجوهم"، وفي هذا تنوع في الأداء يحويه الصوت الجمعي في كلمة "قالوا"، فمنهم من صرح ومنهم من اضمر معتمدا

---

(١): مريم/٤٥.

(٢): آل عمران/٥٩.

(٣): مريم/١٩.

(٤): مريم/٢٠.

(٥): الاعراف/٨٢.

(٦): النمل/٥٦.

على فهم المخاطب لنسبة المضمر الى قوم لوط، ففي الحوار المباشر يكثر ان تحل الضمائر محل الأسماء الصريحة اختصارا وتقليلا للجهد الكلامي واعتمادا على السياق الذي يدور فيه الحدث الحواري مفككا لغز أي رمز يرد في جمل الحوار.

رابعا: إبدال الجملة بجملة أخرى ومنهم:

قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام، في حواره مع قومه وأبيه:

- ﴿**إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون**﴾ [١]
- ﴿**إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون**﴾ [٢]
- ﴿ **إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون**﴾ [٣]

يفسر الخطيب الإسكافي زيادة (إذا) في قوله في سورة الصافات (ماذا تعبدون) واخلاء (ما) في الشعراء منها فيقول: "والجواب ان يقال: إن قوله (ما تعبدون) معناه أي شيء تعبدون، وقوله: (ماذا) في كلام العرب على وجهين: أحدهما ان تكون (ما) وحدها اسما و(إذا) بمعنى الذي، والمعنى ما الذي تعبدون، وتعبدون صلة لها. والآخر ان تكون (ما) مع (إذا) اسما واحدا بمعنى أي شيء، وهو في الحالين ابلغ من ما وحدها إذا قيل ما المستفهم فأجابوه وقالوا: (نعبد اصناما فنظل لها عاكفين)، فنبه ثانيا بقوله: (هل يسمعونكم اذ تدعون). واما (ماذا تعبدون) في سورة الصافات فإنها تقريع، وهو حال بعد التنبيه، ولعلمهم بأنه يقصد توبيخهم وتبكيتهم لم يجيبوا كاجابتهم في الاول. ثم اضاف تبكيتا الى تبكيت ولم يتدعي منه جوابا فقال: ﴿**أإفكا الهة دون الله تريدون. فما ظنكم برب العالمين**﴾ فلما قصد في الاول التنبيه كانت (ما) كافية، ولما بالغ وقرع استعمل اللفظ الابلغ وهو "ماذا" التي جعل "ذا" منها بمعنى الذي، فهو ابلغ من (ما) وحدها"[٤].

واستبدلت جملة (تعبدون) بـ ﴿ **ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون**﴾ في آية سورة الأنبياء، لكونهم أجابوه عن سؤاله في آية الشعراء: ﴿**قالوا: نعبد أصناما فنظل لها عاكفين** ﴾ فأعاد إبراهيم عبارتهم الخبرية في قالب استفهامي ساخرا متجاهلا محقرا آلهتهم مصغرا شأنها مع علمه بإجلالهم لها.

---

(١): الشعراء/٧٠.

(٢): الصافات/٨٥.

(٣): الانبياء/٥٢.

(٤): الخطيب الاسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، ص٣٣١.

سبب آخر نرجع إليه هذا التبديل نعزوه إلى ترتيب السورة وفق نزولها، فسورة الأنبياء التي جاء فيها التبديل تأخر نزولها عن سورتي الصافات والشعراء اللتين حوتا حوارا تمهيديا مهد للحوار في سورة الأنبياء وعلل مجيء جملة ﴿ **ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون**﴾[1] على لسان ابراهيم عليه السلام، في موقع جملة (تعبدون).

خامسا: إبدال الصيغة الصرفية للكلمة بصيغة صرفية أخرى ومنه:

قوله تعالى على لسان الملأ من قوم فرعون في حوارهم مع فرعون: ﴿ **ارجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين، يأتوك بكل سحار عليم**﴾ [2] وقوله على لسان العامة من قوم فرعون في حوارهم مع الملأ (الخاصة من قوم فرعون أو حاشيته): ﴿**ارجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم**﴾ [3] فلم قيل (سحار) في الأولى و (ساحر) في الثانية؟

قد تتساءلون عن سبب إدراج المثال السابق ضمن أمثلة التكرار اللفظي في الجمل الصادرة عن متكلم واحد، لاختلاف المتكلم في العبارتين، فالقائل في آية سورة الشعراء هم الملأ من قوم فرعون، والقائل في آية سورة الأعراف هم العامة من قومه.

أقول: إن العبارة في المشهدين صادرة عن متكلم واحد هو العامة من قوم فرعون، اما الملأ من قوم فرعون فهم المتكلم الوسيط الذي نقل عبارة المتكلم الى فرعون مع تحوير بسيط في العبارة يناسب المقام الذي قيلت فيه، ويتمثل هذا التحوير في نقطتين:

الأولى: تبديل كلمة (أرسل) بـ (ابعث).

الثانية: تبديل كلمة (ساحر) بـ (سحار).

وقد سبق ان حور هذا المتكلم الوسيط عبارة فرعون حين نقلها الى الطرف الآخر، وتمثل هذا التحوير بحذف كلمة (بسحرة) التي جاءت في كلام فرعون:

---

(١): الشعراء/٧١.

(٢): الشعراء/(٣٦-٣٧).

(٣): الأعراف/(١١١-١١٢).

﴿ إن هذا لساحر عليم، يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون﴾ (١) فالعبارة التي نقلها الملأ من قومه إلى العامة تخلو من هذه الكلمة:

﴿ إن هذا لساحر عليم، يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون﴾ (٢) وخلو عبارة المتكلم الوسيط من لفظه (بسحرة) يعزز ويكشف أهمية وجود هذه اللفظة في عبارة فرعون، فقد بلغ الخوف والقلق مبلغهما في نفس فرعون من قدرة موسى وقومه التي وسمها بأنها سحر، في حين لم يشكل موسى تهديدا مماثلا، فخوف فرعون من موسى كان أشد من خوف الملأ.

والآن لنناقش التحوير في العبارة المنقولة بواسطة الملأ من العامة الى فرعون. ولنبدأ بمناقشة السبب الذي جعل الملأ يستبدلون كلمة (ارسل) بـ (ابعث). يقول الخطيب الاسكافي: "اللفظتان نظريتان تستعمل إحداهما مكان الأخرى، وقد جاء بعث الرسول وارسله معا، إلا أن (أرسل) يختص بما لا يختص به (بعث)، لان البعث لا يتضمن ترتيبا، والإرسال اصله تنفيذ من فوق إلى اسفل. و(أرسل) في سورة الأعراف حكاية قول العامة للملأ المؤدين كلام فرعون اليهم، فلما تعالى عليهم ولم يخاطبهم بنفسه كان قولهم في جواب ما استأمرهم فيه، واستشارهم في فعله على الترتيب الذي رتب لهم في الخطاب، فكانت الحكاية باللفظ الذي يفخم عما فخم ملأه ان يؤدوا كلامة إلى من دونهم. ولما تناولت الحكاية في سورة الشعراء ما تولاه فرعون بنفسه من مخاطبته قومه بإسقاط الحجاب بينهم وبينه، وتسوية قدرهم بقدره، لقوله: (قال للملأ حوله)، وكان هذا الموضع مخالفا للموضع الأول في مقتضى الحال من التفخيم، فخص باللفظ الذي ليس فيه ما في الاول من التعظيم وهو قوله: (ابعث)" (٣).

وهذا يعني ان الملأ اختاروا لفظة توحي بتأدبهم وتحرزهم في خطابهم مع فرعون، فهم ينتقون مفرداتهم حرصا على رضاه وتجنبا لسخطه، فلبلاط الملك معجمه الخاص.

اما العامة فحوارهم مع فرعون حوار غير مباشر أي حوار من وراء حجاب، ولذا لا نجد هذا التحرز في اختيار المفردة والتفنن في انتقائها، فالحرص على رضاه لا يجدي نفعا ماديا ولا معنويا كذلك الذي تجنيه حاشيته المقربة.

---

(١): الشعراء/٣٤-٣٥.

(٢): الأعراف/١٠٩-١١٠.

(٣): الخطيب الاسكافي، درة التتريل وغرة التأويل، ص(١٧٠-١٧١).

وتأكد هذا الحرص وذاك التحرز في تحويرهم كلمة (ساحر) الواردة في كلام العامة إلى (سحار) ولا يخفى ما في صيغة (فعال) من مبالغة وتعظيم حرص الملأ على إيصاله لفرعون ليسكنوا بعض قلقه الذي لاحظوة لحوارهم معه وجها لوجه، ومشاهدة ما يعتريه من اضطراب وقلق وتوتر، فأرادوا أن يخفوا من هذه المشاعر بتأكيد مهارة السحرة وبراعتهم في السحر وهذا ما تعكسه كلمة (سّحار) وتفقده كلمة (ساحر).

سادسا: إبدال ضمير بضمير آخر ومنه:

ما جاء في قوله تعالى في موضعين: ﴿ اهبطوا بعضكم لبعض عدو﴾ [1] وقوله في سورة طه: ﴿اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو﴾ [2] فلم خاطب الله آدم وحواء والشيطان بضمير الجمع مرة وبضمير الاثنين مرة؟

يجوز ان يقال ان الله خاطبهم مخاطبة الجمع جاعلا اياهم في بوتقة واحدة دون تصنيف، اما حين خاطبهم مخاطبة الاثنين فقد جعلهما في طائفتين، طائفة آدم وحواء وذريتهما، وطائفة ليست من جنس طائفة الاولى هي طائفة ابليس وذريته.

والتركيز في الفعل "اهبطوا" كان منصبا على عملية الهبوط ذاتها التي تتوحد فيها الطائفتان، اما في قوله "اهبطا" فهناك تصنيف وتوضيح للجماعة التي ستهبط بانها تتكون من فريقين سيشكلان طرفي الصراع في منطقة الهبوط.

(د) التكرار اللفظي مع الزيادة والنقصان، ومنه:

قوله تعالى على لسان مريم: ﴿ولم يمسسني بشر﴾،[3] وقوله على لسانها في موقع آخر ﴿ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا﴾ [4] فزاد جملة (لم اك بغيا) في الآية الثانية، فما الواجب للزيادة؟

تعلل هذه الزيادة بالنظر إلى المخاطب الذي وجه اليه الكلام، فهو في سورة آل عمران الله عز وجل: (قالت ربي انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر)، وهو في سورة مريم الملك الذي تمثل لها رجلا سويا، وبشرها بانه سيهب لها غلاما، فسألته منكرة مستهجنة عن كيفية انجاب الغلام وهي الفتاة العذراء التي لم تتزوج، وبما انه رجل غريب يجهل اخلاقها اضافت "ولم اك

(1) البقرة/٣٦، الاعراف/٢٤.
(2) طه/١٢٣
(3) آل عمران/٤٧.
(4) مريم/٢٠.

بغيا" منزهة ذاتها عن الزنا والبغي. فطبيعة المخاطب تقتضي من المتكلم التوضيح والتفصيل والبسط.

أما وقد توجهت مريم بالسؤال إلى المخاطب العليم بحالها وصفاتها واخلاقها فإنها لا تلجأ إلى تنزيه الذات من الزنا، وانما اكتفت بالسؤال عن كيفية الإنجاب دون ان يمسسها رجل.

وقوله تعالى على لسان الخضر عليه السلام في حواره مع موسى: ﴿ **ألم اقل انك لن تستطيع معي صبرا** ﴾ [١]، وقوله في موضع آخر من السورة: ﴿**الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا** ﴾ [٢].

وللسائل أن يسأل عن زيادة "لك" في الثانية واخلاء الأولى منها.

يقول الخطيب الإسكافي: "والجواب أن يقال انه في الأولى لما قرر موسى وذكره ما كان قد قدم القول فيه من ان الصبر على ما يشاهده منه يثقل عليه فقال: (ألم اقل انك لن تستطيع معي صبرا). وهذا معناه في غالب ظني انك تعجز عن احتمال ما ترى حتى تبادر إلى الإنكار. فلما راى قتل الغلام وعاد إلى الإنكار أكد التقرير الثاني بقوله: "لك"، كما يقول القائل: لك أقول، واياك اعني، فيقدم لك واياك. ولو قال: أقوم لك واعنيك بكلامي لاستويا في المعنى إلا في تأكيد الخطاب بالتقديم. فكأنه قال: الم يكن خطابي لك دون سواك، وهذا وجب في الثاني لا في الأول الذي لم تتأكد حجة الخضر فيه عليه السلام كتأكدها في الثانية"[٣].

ويقول الزمخشري: "فان قلت: ما معنى زيادة "لك"؟ قلت: زيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية، والوسم بقلة الصبر عند الكرة الثانية"[٤].

وبعد، فقد تناولنا التكرار اللفظي في الجمل الحوارية للمتكلم ذاته، محاولين الوقوف على الفروق الدقيقة بين الجمل المتشابهات المتفرقة في مواطن متعددة، فهذه البنى السطحية المتماثلة تحوي فروقا واختلافات يتوصل اليها بالملاحظة الدقيقة، وتعلل بالنظر الى السياق الذي جاءت فيه.

ونختم حديثنا عن هذا النمط من التكرار بتعليل كاف شاف للغرناطي يبين فيه سر هذه الفروق اللغوية التي نلحظها في المحكي المتكرر في غير سورة يقول: "وقد تقدم البيان، أن

---

(١) الكهف/٧٢.

(٢) الكهف/٧٥.

(٣) الخطيب الاسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، (٢٨٤-٢٨٥).

(٤) الزمخشري، الكشاف، (٧٠٧/٢).

اختلاف مقالات الأنبياء لأممهم إنما هو لاختلاف مقاماتهم، إذ ليس دعاؤهم إياهم في موقف واحد، ولا لقوم مخصوصين، بل يدعو النبي طوائف من قومه في أوقات مختلفة ومواطن شتى، وقد يكون للطائفة منهم خصوص مرتكب فيراعي نبيهم ذلك في دعائهم، فقد يخاطب ملأهم الأعظم في موطن، والفئة القليلة منهم في موطن آخر. وربما أطال في موطن، وأوجز في موطن، وذلك بحسب ما يرونه، عليهم السلام، أجدى وأرجى، فلا يشكل على هذا اختلاف اقوالهم، ولاختلاف مجاوبة أممهم لهم. فهذا مما لا يحتاج الى سؤال عنه"[١].

تكامل المحاورة الواحدة بعد جمع أجزائها المتفرقة في السور المختلفة (تفرق أجزاء المحاورة و تكامل التفاصيل):

يلاحظ المتأمل للحوارات المتكررة في القرآن الكريم تجزء كل محاورة في أكثر من سورة، بحيث لا تعرض المحاورة كاملة في موطن واحد ثم تعاد بعينها في موطن آخر، وإنما يعرض في كل سورة تواجدت فيها جزء، فتتوزع المحاورة أجزاءً متفرقة، فإذا جمعت هذه الأجزاء بدت أمامنا محاورة كاملة المواقف.

انه أسلوب نقل المحاورة على دفعات ولقطات، بحيث يمكن أن تستقل كل لقطة فيها بذاتها مؤدية دورها في السورة التي وردت فيها متناغمة مع مضامينها. وينطوي هذا الأسلوب ضمن نسيج القرآن الذي نزل منجماً ومجزءاً لعلل متعددة أهمها إعانة النفوس على استيعابه وتثبيته جزءاً جزءاً.

والمحاورات التي كررها القرآن هي ذات الحقيقة الكلية الهامة، كالمحاورات في العقيدة وكل ما يرتبط بها، وذلك لان ترسيخ العقيدة في النفوس يحتاج إلى تكرار وعرض لجوهر الموضوع أو الفكرة في أكثر من موطن وفي قوالب متعددة[٢]. ولهذا تكررت محاورة ابراهيم لقومه وأبيه، ولم تكرر محاورته لابنه اسماعيل. وتكررت محاورة موسى مع فرعون، ولم تتكرر محاورته مع الخضر عليه السلام أو مع ابنتي شعيب لكون الأولى في صلب العقيدة، أمّا الأخريان ففي محيط السلوك والأخلاق، ومثلهما محاورة داود مع الخصمين، ومحاورة لقمان لابنه. وتركّزت محاورات يوسف في سورة واحدة لكونها تعالج جوانب اجتماعية وخلقية واقتصادية، ويرد ذكر عقيدة التوحيد فيها عرضاً، لمّا فسر يوسف أحلام صاحبيه في السجن.

---

(١) الغرناطي، ملاك التأويل، (١/٥٤٥).

(٢) عبد الحليم حفني، أسلوب المحاورة في القران الكريم، ص٥٦.

ويعلل الدكتور عبد الحليم حفني عدم ورود محاورات كل نبي في سورة واحدة بحيث تكون مجتمعة الأجزاء، متكاملة التفاصيل، فلا تحتاج إلى تكرار بأمرين:

الأول: مراعاة الحوارات القرآنية للجانب التاريخي، بمعنى أنها منقولة عن أشخاص وأقوام سابقين، جاء أكثرها جاء على لسان الأنبياء، ولا يتصور أن يحاور النبي قومه مرة واحدة، ولا في مناسبة واحدة، فمحاورته معهم لا تأخذ صورة واحدة، ولا ألفاظا محددة يعيدها عليهم كما هي في كل مرة، فالجوهر ثابت إلا أن طريقة عرضها غير ثابتة، وتفاصيلها غير ثابتة، وهي تشتمل على تجديد وتغيرات وإضافات. كما أن القران نقل محاورات الرسل بصورة تشير إلى ما كانت عليه فعلا في الشكل من حيث التجزئة والتفرق الزمني.

الثاني: مراعاة القرآن لنفوس متلقيه، واستخدامه أنسب الوسائل في تبليغ الدعوة، لما في التكرار من تثبيت للفكرة وترسيخ لها[١].

ولهذا الأسلوب نظام مقرر يتضح حين تستعرض الأجزاء بحسب ترتيب نزول السورة التي جاءت فيها[٢].

وسأضرب مثلا على تكامل المحاورة في القصة القرآنية بمحاورة هود عليه السلام بعد تجميع أجزائها المتفرقة في السور المختلفة مراعية في ترتيب هذه الأجزاء نزول السورة.

ورد الحوار في قصة هود في خمس سور هي: الأعراف، والشعراء، وهود، والأحقاف، والمؤمنون. سنقف على مضامين الحوار فيها، وما اختصت به كل سورة وصولا إلى محاورة متكاملة بعد جمع أجزائها المتفرقة في هذه السور.

أولا: محاورة هود في سورة الأعراف:

وفيها أول حوار لهود، عليه السلام، مع قومه: ﴿**وإلى عاد أخاهم هودا قال: يا قوم، اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون؟! قال الملأ الذين كفروا من قومه: إنا لنراك في سفاهة، وإنا لنظنك من الكاذبين. قال: يا قوم، ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين، أبلغكم رسالات ربي، وأنا لكم ناصح أمين. أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم، واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة، فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون. قالوا: أجئتنا لنعبد الله وحده، ونذر ما كان يعبد**

---

[١] عبد الحليم حفني، أسلوب المحاورة في القرآن الكريم، ص(٦١-٦٣).

[٢] سيد قطب، التصوير الفني في القران، ص (١٢٩). وفضل عباس، القصص القرآني، ص(٢٦).

آباؤنا؟! فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين. قال: قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب، أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان، فانتظروا إني معكم من المنتظرين. فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين﴾ [(١)].

بدأ هود، عليه السلام، حوار بالدعوة التي اجتمع عليها رسل الله جميعا (اعبدوا الله ما لكم من اله غيره) فاتهمه الملأ الكافر بالسفاهة والكذب. وجاء رده عليهم عاكسا رزانة عقله وحلمه فقد خاطبهم بهدوء وتلطف (يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين) انه يتجاهل شتائم محاوريه مبينا لهم أنه صاحب دعوة فأوامره تهديهم إلى النجاة والخير، لكونها لم تصدر من متسلط أو متحكم، وإنما من ناصح مشفق (وأنا لكم ناصح أمين). ثم يكشف لهم سر رفضهم لدعوته مقولبا مقولته بسؤال يوحي تتغيمه بالاستهجان والإنكار والتعجب دون مواجهة مباشرة قد تؤدي إلى نفورهم من كلامه، فالسؤال يصل إلى المتلقي بدلالة ناقصة يتولى هو إكمالها (أوعجبتم أن جاءكم من ربكم على رجل منكم لينذركم؟!) انه سبب غير مقبول.

ثم يذكرهم بنعمة من نعم الله عليهم وهي الخلافة (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) وفي ذكره لقوم نوح تحدير خفي من عاقبة تصيبهم مثل عاقبة قوم نوح.

وأتبعها بنعمة أخرى هي بسطة الجسم وقوة البدن (وزادكم في الخلق بسطة) ويعرض قومه منكرين عبادة الله وحده وترك ما كان يعبد آباؤهم (أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا)، ويأمرونه مستخفين به وبتحذيره بأن ينزل عليهم عذاب الله (فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين).

ويدرك هود بأن لا أمل في إيمانهم؛ فالكبر والعناد بلغا مبلغا عظيما فيقول: (قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا إني معكم من المنتظرين). وتكون نتيجة المحاورة نجاة هود ومن معه، وقطع دابر الكافرين.

---

(١) الأعراف/(٦٥-٧٢).

ثانيا: محاورة هود في سورة الشعراء:

﴿كذبت عاد المرسلين إذ قال لهم أخوهم هود: ألا تتقون، إني لكم رسول أمين؛ فاتقوا الله وأطيعون، وما أسألكم عليه من أجر؛ إن أجري إلا على رب العالمين. أتبنون بكل ريع آية تعبثون؟! وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون؟! وإذا بطشتم بطشتم جبارين؟ فاتقوا الله وأطيعون، واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون؛ أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون، إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾[1]. استهلت هذه المحاورة بما استهلت به محاورات الأنبياء القارة معها في سورة الشعراء (ألا تتقون، إني لكم رسول أمين، فاتقوا الله وأطيعون، وما أسألكم عليه من أجر، إن أجري إلا على رب العالمين) لبيان وحدة كلمة أنبياء الله في كل زمان ومكان.

وتحوي هذه المقولة أجزاء إضافية لم ترد في المحاورة الأولى هي (وما أسألكم عليه من أجر، إن أجري إلا على رب العالمين) وفيها يركز على تقوى الله وطاعته لانه رسول الله (ألا تتقون، فاتقوا الله وأطيعون) بينما دعا في محاورته الأولى إلى عبادة الله. وتكرر حثه على التقوى في المحاورتين، لأنها من أسس العقيدة التي عليه أن يرسخها في النفوس. وأظهرت هذه المحاورة فتنة قوم هود وأبرزتها، كما هو الحال في المحاورات القارة معها في نفس السورة؛ حيث بينت محاورة كل نبي مع قومه المعصية أو الفتنة الشائعة التي اختصوا بها ومارسوها ممارسة جماعية. فقد رأى هود قومه غارقين في دنياهم ومتاعها، معرضين عن الآخرة، مشركين بالله، انصرفت هممهم إلى التعاظم والتفاخر واللهو، فاستهجن هذا منهم واستنكره موبخا إياهم بأسئلة متوالية: أتبنون بكل ريع آية تعبثون؟! وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون؟! وإذا بطشتم بطشتم جبارين؟!) وهذه اضافات جديدة لم تظهر في سورة الشعراء، وقد عكس التشكل الأدائي لمقولته، عليه السلام، والمفردات التي استخدمها (تعبثون، بطشتم، جبارين) نهجا جديدا في مخاطبة هود لقومه، فقد بدا عصبي المزاج، حاد الطبع، غاضبا منكرا أفعال قومه، ويمكن أن يعلل هذا التحول الطارئ على الشخصية بتكرار دعوة هود لقومه وثبات موقفهم على الباطل. فأين هذه العبارات الغاضبة المتلاحقة من قوله: (يا قوم، ليس بي سفاهة، ولكني رسول من رب العالمين) وقوله: (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة) لقد كان في بداية دعوته التي مثلتها محاورته الأولى متأملا أن يؤمن قومه بدعوته، فاستخدم معهم الترغيب والترهيب، لكنه، وقد أصروا على كفرهم، بدا غاضبا يائسا يوبخ وينكر أكثر مما يحبب ويرغب.

---

[1] الشعراء/(١٢٣-١٣٥).

وعدد في هذه المحاورة نعما أخرى أغدقها الله عليهم تختلف عن النعم التي ذكرهم بها في سورة الشعراء (أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون). وتظهر هذه المحاورة مشاعر هود تجاه قومه، فهو يخاف عليهم من عذاب الله (إني أخاف عذاب يوم عظيم) وترد عليه فئة من قومه مستبعدة وقوع العذاب كما كان ردهم في المحاورة السابقة ولكن بقولبة وصياغة مختلفة (سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين، إن هذا إلا خلق الأولين، وما نحن بمعذبين) فهذه مقولة ثانية من المقولات التي كانت توجه اليه فمنهم من كان يتحداه (فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين)، ومنهم من استبعد فكرة العذاب نافيا وقوعه عليهم (وما نحن بمعذبين). وتأتي النتيجة التي عقب بها الله على المحاورة مقتصرة على ذكر هلاك قوم هود، بينما وضحت في سورة الأعراف عاقبة المؤمنين وعاقبة الكافرين، ويعلل هذا بالنظر إلى النتيجة التي أنهى بها الله محاورات الأنبياء مع أقوامهم في سورة الشعراء، فقد اقتصر جلها على ذكر عاقبة المكذبين تخويفا وترهيبا.

ثالثا: محاورة هود في سورة هود.

﴿والى عاد أخاهم هودا قال: يا قوم، اعبدوا الله مالكم من إله غيره، إن أنتم إلا مفترون يا قوم لا أسألكم عليه أجرا إن أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون؟! ويا قوم، استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين. قالوا: يا هود ما جئتنا ببينة، وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك، وما نحن لك بمؤمنين. إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء. قال: إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه، فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون، إني توكلت على الله ربي وربكم، ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها، إن ربي على صراط مستقيم، فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم، ويستخلف ربي قوما غيركم، ولا تضرونه شيئا إن ربي على كل شيء حفيظ﴾ [1].

إنها محاورة تختلف عن المحاورتين السابقتين، ففيهما إبراز لمقولات جديدة جاءت على لسان قوم عاد ونبيهم هود، واقتصر التشابه على الدعوة إلى التوحيد (اعبدوا الله مالكم من إله غيره) لأنها المحور والأساس الذي أرسل هود من أجله، وعلى نفي الأجر، فهو لا يسألهم أجرا، لأن أجره على الذي فطره. ولعل تكراره لهذا الأمر يرجع إلى معرفته بطبيعة قومه المادية،

[1] هود/(٥٠-٥٧).

فأكد لهم تجرده من أي هدف مادي أو مطمع دنيوي. وقد برز هذا الاختلاف حتى في المفردات التي بكتهم بها (مفترون، أفلا تعقلون).

ثم يأمرهم بالاستغفار مبينا عواقبه المادية عليهم مخاطبا اياهم بما يستهويهم ترغيبا وإغراء. ويأتي ردهم مختلفا عما جاء في سورة الأعراف وسورة الشعراء، وبدا أقسى وأشد، ربما لانهم ضاقوا بدعوته فأرادوا تيئيه فقالوا أولا: (ما جئتنا ببينة) وقالوا ثانيا: (وما نحن بتاركي آلهتنا) وقالوا ثالثا: (وما نحن لكم بمؤمنين) ان توالي النفي يؤكد اصرارهم على الرفض. وزادوا على ذلك أن اتهموه بأن آلهتهم قد مسته بسوء (ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) وأمام هذا الاصرار يعلن هود براءته من شركهم، مبينا أنه قد بلغ الرسالة، وأن الله سيستخلف قوما غيرهم.

ويأتي التعقيب على هذه المحاورة مبرزا عاقبة هود والذين آمنوا معه: ﴿**ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ**﴾[(١)]؛ لكون آخر مقولة في المحاورة كانت لهود فجاء التعقيب كأنه نتيجة وتصديقا لكلامه. بينما أبرز التعقيب في سورة الشعراء عاقبة عاد لكون آخر مقولة في المحاورة كانت لهم، فجاء التعقيب ردا بين سوء عاقبة كلامهم.

<u>رابعا: محاورة هود في سورة (الأحقاف)</u>

﴿**واذكروا أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم. قالوا: أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا، فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين. قال: انما العلم عند الله وأبلغكم ما أرسلت به، ولكني أراكم قوما تجهلون. فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا: هذا عارض ممطرنا. بل هو ما استعجلتم به؛ ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربها. فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين**﴾[(٢)].

ونجد فيها امورا اختصت بها هذه المحاورة منها ما يتعلق بالمضمون وهي فرحتهم بالسحاب المستقبل أوديتهم ظنا أنه يحمل المطر الذي يعمهم بالخير (هذا عارض ممطرنا)، فيأتي صوت يوضح لهم نوح هذا السحاب، إنها ريح ليس فيها مطر خير، وإنما فيها عذاب أليم. قد يكون هذا صوت هود، وقد يكون تعليقا من الله على مقولتهم. كما اختصت هذه المحاورة

---

(١): هود/٥٨.

(٢): الأحقاف/(٢١-٢٥).

بمفردة جديدة هي الإفك في قولهم (لتأفكنا) وتعني تحويل شخص عن رأيه بالإكراه والكذب والخداع.

خامسا: محاورة هود في سورة (المؤمنون)

ولم تحدد هذه المحاورة طرفيها، فلم يذكر فيها هود - عليه السلام-، كما لم يذكر فيها اسم عاد، وانما ذكرت عقب قصة نوح، عليه السلام، وقد اطرد في القران ذكر قصة هود عقب قصة نوح، ولهذا نرجح تنازع هذه المحاورة بين هود وقومه: ﴿**ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين فأرسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله مالكم من إله غيره، أفلا تتقون؟! وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا: ما هذا الإ بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه، ويشرب مما تشربون ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم إذا لخاسرون، أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون؟! هيهات هيهات لما توعدون؛ إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين، إن هو إلا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له مؤمنين. قال: رب، انصرني بما كذبون.**
قال: عما قليل ليصبحن نادمين. فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين﴾.[1] يبرز في هذه المحاورة متلائمة مع الموضوع الرئيس لسورة (المؤمنون) فهي تدور في فلك قضية البعث، وهو ما يعتقده المؤمنون دون غيرهم.

وبهذا نكون قد وقفنا على الحوارات التي دارت بين هود -عليه السلام- وقومه في السورة التي جاءت فيها مرتبين اياها حسب نزولها، فوجدنا في كل محاورة زيادة جديدة، بحيث لو جمعنا هذه الأجزاء المتفرقة لوجدنا محاورة كاملة المواقف والوجوه والتجليات على نحو بالغ الوضوح والاكتمال. وهذا أمر منطقي فالانبياء حاوروا أقوامهم مرات ومرات، وقد دارت كل هذه المحاورات في فلك الدعوة إلى عباد الله، ولكن هذا لا يعني المطابقة والتماثل بينهما، فمحاوراتهم ليست صورة واحدة، ولا ألفاظا محددة تعاد عليهم كما هي في كل مرة، انها تعرض كل مرة بقالب جديد، ويطرأ عليها تحوير وتبديل يتناسب مع نمو الموقف، فطريقة عرض المحاورة غير ثابتة، وتفاصيلها متجددة، وتوزيع عناصرها متفاوت من سورة إلى أخرى يتناسب مع المضامين التي تحملها هذه العناصر، كما أن محاورة الطرف المقابل غير ثابتة أيضا.

وتكون النتيجة أن ما نقلته السور المختلفة من الجزئيات والتفاصيل يمثل مجموع ما حكاه هود، عليه السلام، لقومه، ومجموع ما أجابوه به خلال المدة التي قضاها معهم.

---

[1] المؤمنون/(٣١-٤١).

- النمط الثالث: **تكرار المحاورة وتعدد المرسل (تكرار ما اتفق لفظه ومعناه واختلف قائله) وذلك في سورة واحدة أو في غير سورة:**

ويتضمن الجمل التي وردت في حوار إحدى الشخصيات مع غيرها، واتفق لفظهما مع ألفاظ محاورة شخصية أخرى. وهذه ظاهرة قارة في حوار الأنبياء مع أقوامهم، فالجملة التي يقولها أحد الأنبياء لقومه قد تتفق بلفظها التام أو بأكثر عناصرها مع جملة لنبي آخر في حواره مع قومه، وهذا دليل على وحدة الرسالة التي جاء بها الأنبياء.

ويأتي هذا النمط من التكرار في السورة الواحدة بشكل تتكرر فيه الكلمات لتناسق مكاني يأخذ ترتيبه داخل النص، كما يأتي في غير سورة.

بعد تتبع مواطن هذا النمط من التكرار وجدناه يجيء على أربعة أساليب رئيسة هي:

أ. **التكرار اللفظي التام:**

إن تكرار الجملة ذاتها على لسان متكلم واحد في اكثر من موضع قد تكون ظاهرة مألوفة، ولكن تكرار الجملة بلفظها التام على لسان اكثر من متكلم تفصلهم حدود زمنية ومكانية أمر يستدعي الانتباه ويفضي الى التساؤل عن المضمون الذي يحويه هذا البناء اللغوي المتكرر.

وعند تتبع هذا النمط من التكرار وجدنا أمثلته تدور حول موضوع العقدية وما فيه من دعوة إلى الإيمان بالله وحده، وهذا يدل على وحدة الأديان في اصل العقيدة، ووحدة الدعوة إليها من الرسل، قال تعالى: ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه انه لا اله إلا أنا فاعبدون** ﴾[(١)].

ويقتضي تقرير هذا الحقيقة أن نعرض طائفة من الأمثلة التي التزم فيها بصيغة واحدة قصد فيها هذا التكرار في اللفظ والمعنى لبيان وحدة المصدر ووحدة الغاية. منها:

تكرار عبارة ﴿ **يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره** ﴾[(٢)] على لسان نوح وهود وصالح وشعيب، عليهم السلام، في سورة الأعراف.

وفي هذا التكرار إبراز للعقيدة التي جاء بها جميع الأنبياء وهي الأيمان بالله وحده لا شريك له. وقد تكررت العبارة ذاتها في مواطن أخرى مؤكدة مضمون العقيدة[(٣)].

---

(١): الانبياء/٢٥.

(٢): الاعراف/٥٩،٦٥،٧٣،٨٥.

(٣): المؤمنون/٢٣، هود/٥٠،٦١،٨٤.

ومنه ايضا التكرار المكثف لعبــارة: ﴿**ألا تتقون، انـي لـك رسـول أمين، فـاتقوا الله واطيعون، وما اسألكم عليه من اجر إن اجري إلا على رب العالمين**﴾[1] في سورة الشــعراء على لسان نوح، هود، صالح، لوط، شعيب، عليهم السلام في حوارهم مع أقوامهم.

ولهذا التكرار مقاصد منها: مجيء رسل الله بكلمة واحدة لا تتغير في جوهرها بتغــير الأقــوام الزمان والمكان والأحوال. استهلال حوارات الأنبياء مع أقوامهم بالأمر بـــالتقوى "ألا تتقــون"، والتأكيد على انه رسول لهم خاصة وذلك بتقديم الجار والمجرور "لكم" على خبر (إن). واعـــادة الأمر بالتقوى مع التصريح بالمتقي "اتقوا الله"، وقدم الأمر بتقوى الله تعالى على الأمر بالطاعــة، ولأن تقوى الله سبب لطاعة الرسل. ونفي سؤال الأجر المادي الدنيوي، لبيان تنزيه دعوتهم عــن المطامع الدنيوية، وتعليل ذلك بكون أجرهم على الله.

وفي هذا الاستهلال تنبيها لأقوامهم وتنزيها لغاية المتكلم واهدافه. وقد اجتمع على هـــذا المسلك انبياء الله جميعهم.

تقدمت النتيجة في المواطن الخمس على مجريات الحوار الدائر بين الأنبياء وأقوامهم:

﴿**كذبت قوم نوح المرسلين، إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون...**﴾

﴿**كذبت عاد المرسلين، إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون...**﴾

﴿**كذبت ثمود المرسلين، إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون...**﴾

﴿**كذبت قوم لوط المرسلين، إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون...**﴾

﴿**كذبت أصحاب الأيكة المرسلين، إذ قال لهم شعيب ألا تتقون ...**﴾

وفي تكرير فعل التكذيب تأكيد على أن كل الأقوام قد كذبت رسلها، ولـــم تتفـــاعل مـــع محاولاتهم المستمرة لتوصيل دعوة التوحيد اليهم.

وتأكدت وحدة الدعوة التي جاء بها الأنبياء بتكرير لفظة "المرسلين"، فمع ان كل جماعـــة كذبت رسولها فقط، إلا أن تكذيب رسول واحد يعني تكذيب رسل الله جميعهم.

و يقيم تكرير العبارة بلفظها التام ومعناها الحجة على بني البشر، ويبرز تكذيبهم رســـل الله المتأصل فيهم على اختلاف زمانهم ومكانهم وأحوالهم. فلو لم تتكرر العبارة الســـابقة بكـــل عناصرها لفتح باب توقع ايمان قوم دون قوم بسبب تحوير بسيط في العبارة جعلها مؤثرة طيبـــة

---

[1] الشعراء/(١٠٥-١٠٩)، (١٢٣-١٢٧)، (١٤١-١٤٥)، (١٦٠-١٦٤)، (١٧٦-١٨٠).

النتائج، ولهذا وحدت العبارة لتحقيق العدالة و المساواة بين الجميع، فالأمر بـــاالتقوى والطاعـــة ونفي سؤال الأجر قاعدة مشتركة استهل بها الأنبياء حواراتهم مـــع أقوامـــهم تنبيـــها ونصيحـــة وتطمينا لهم بالنص ذاته كي لا يقول قائل:لو ذكر هود ما ذكره صالح لآمن قومه مثلاً.

وكما تكررت عبارات الأنبياء في دعوتهم لأقوامهم مجتمعة في موطن أو متفرقـــة فـــي مواطن، تكررت بعض ردود أقوامهم تكرارا تاما، بحيث يرد قوم صالح عليه ردا مطابقا بلفظـــه ومعناه لرد قوم شعيب عليه مثلا. وقد يأتي هذا التكرار مجتمعا في سورة واحدة أو مفرقـــا فـــي سورة. ومنه :

تكرار جملة ﴿ **إنما أنت من المسحرين**﴾ في رد قوم صالح عليه،[١] و في رد قـــوم شعيب عليه[٢] في سورة الشعراء.

وقوله : ﴿ **ما هذا إلا بشر مثلكم**﴾ على لسان قوم نوح، وعلى لسان قوم هود أيضا في سورة المؤمنين[٣].

وقوله : ﴿ **فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين** ﴾ على لسان قوم نوح فـــي ســـورة هود،[٤] وفي رد قوم هود على نبيهم في سورة الأعراف[٥].

ب. التكرار الفظي مع التقديم والتأخير :

ويتضمن الجمل الواردة في حوار شخصي مع غيرها وقد تكررت بلفظها التام ومعناهـــا في حوار شخصية أخرى مع تغيير في الترتيب بتقديم عنصر أخر في جمله، أو تأخير عنصـــر قدم في جمله. ومنه ما جاء في:

قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام، في حواره مع قومه ﴿**يا قوم أرأيتم إن كنت على بينه من ربي وآتاني رحمه من عنده**﴾ [٦].

وقوله على لسان صالح عليه السلام، في حواره مع قومه: ﴿ **يا قوم أرأيتم إن كنت على بينه من ربي وآتاني منه رحمه**﴾ [٧].

بتقديم (رحمة) على (من عنده) في جمله نوح،و تقديم (منه) على (رحمة) في جمل صالح.

---

[١]: الشعراء/١٥٣.

[٢]: الشعراء/١٨٥.

[٣]: المؤمنون/(٢٤،٣٣).

[٤]: هود/٣٢.

[٥]: الاعراف/٧٠.

[٦]: هود/ ٢٨.

[٧]: هود/ ٦٣.

وقد حاولنا الوقوف على سر التقديم والتأخير في الآيتين الكريمتين عند حديثنا عن النوع الثالث من أنواع التقديم والتأخير وهو ما قدم في آيه وآخر في أخرى[١].

ج. التكرار اللفظي معَ الإبدال :

ويتضمن الجمل التي وردت في حوار شخصية واتفقت لفظا ومعنى مع جمل وردت في محاورة شخصية أخرى مع تغيير بسيط يتمثل في إبدال كلمة بكلمه أو جمله بجمله أو حرف بحرف وفق ما يتطلب السياق. ومنه ما جاء في:

قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام، في ردة على قومه: ﴿**يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين**﴾ [٢].

وقوله على لسان هود عليه السلام، في رده على قومه: ﴿**يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العلمين**﴾ [٣].

لقد تكررت الجملة تكرارا لفظيا تاما باستثناء موقع جرى فيه تبديل كلمه (ضلاله) الواردة على لسان نوح، بكلمة (سفاهه) على لسان هود وذلك لملائمة الرد على الاتهام، فقد قال قوم نوح له: ﴿**إنا لنراك في ضلال مبين**﴾ [٤] فجاء رده: (ليس بي ضلاله)فهو ينفي صفة الضلالة التي أثبتها عليه قومه، (والضلالة أدنى من الضلال وأقل، لأنها لا تطلق إلا على الفعلة الواحدة منه. وأما الضلال فيطلق على القليل والكثير من جنسه، ونفي الأدنى أبلغ من نفي الأعلى، كأنه قال: ليس بي شيء من الضلال[٥].

أما هود عليه السلام، فقد قيل له: ﴿**إن لنراك في سفاهة**﴾ [٦] فرد عليهم: (ليس بي سفاهة) فكان في رد الرسولين عليهما السلام، نفي للصفة التي ألصقت به.

ويبين الخطيب الإسكافي افرق بين (الضلال) و (السفاهه) في اجابته عن الفرق بين قول نوح: ﴿**وأنصح لكم**﴾ [٧] وقول هود: ﴿**أنا لكم ناصح أمين**﴾ [٨]. يقول: "وللسائل أن يسأل عن الفرق بين قوله: (وأنصح لكم) وبين قوله (أنا ناصح أمين)، وما الذي اقتضى الاسم في

---

[١]: ينظر ص( ) من هذه الدراسة حيث تعرضنا لأمثلة التقديم والتأخير، ولذا نكتفي هنا بذكرها.

[٢]: الاعراف/٦١.

[٣]: الاعراف/٦٧.

[٤]: الاعراف/٦٠.

[٥]: الزمخشري، الكشاف، (ج٢، ص١٠٩).

[٦]: الاعراف/٦٦.

[٧]: الاعراف/٦٢.

[٨]: الاعراف/٦٨.

الفرق بين قوله: (وأنصح لكم) وبين قوله (أنا ناصح أمين)، وما الذي اقتضى الاسم في الآخر والفعل في الأول، وهل كان يحص أحدهما مكان الآخر؟

الجواب عن ذلك من وجهين: أحدهما أن يقال: ان معنى كلام نوح، عليه السلام، ما نطق به القرآن، ومعنىَ كلا م هود، عليه السلام، ما ذكره الله تعالى حاكيا عنه. وليس لقائل أن يقول، إذا كان القولان صحيحين في موضعهما، فهلا قال أحدهما قول الآخر.

والوجه الثاني أن يقال: إن قول نوح عليه السلام، جواب من ضلل بأن قيل له: **﴿إن لنراك في ضلال مبين﴾**. وهود عليه السلام، قيل له: **﴿إنا لنراك في سفاهة﴾**. والضلال من صفات الفعل، تقول: ضل فهو ضال. والسفاهة من صفات النفس، وهي ضد الحلم، وهو معنى ثابت يولد الخفة والعجلة المذمومتين، والحلم معنى ثابت يولد الأناة المحمودة. فكان جواب من عيب بفعل مذموم نفيه بفعل محمود، لا بل بأفعال تنفي ما ادعوه عليه، وهي أن قال: لست ضالا ولكني رسول من رب العالمين، أؤدي إليكم ما تحملت من أوامره، وأدعوكم بإخلاص إلى صلاح أمركم، وأعلم من سوء عاقبة ما أنتم عليه ما لا تعلمون، فنفي الضلال بهذه الأفعال.

وهود عليه السلام، لما رمي بالسفاهة، وهي من الخصال المذمومة البطيئة، وليس من الأفعال التي ينتقل الإنسان عنها إلى أضدادها في الزمن القصير مرارا كثير، فكان نفيها بصفات ثابتة تبطلها أولى، كما كان في الفعل المذموم بالفعل المحمود أولى. فقوله: ناصح، أي ثابت لكم على النصح صفة في النفس لا تنتقل لكم عن النصح إلى الغش ولا تتبدل خيانة بالأمانة. وكان جواب كل من الكلامين ما لاق به واقتضاه"[١].

وأرى أن تكرار العبارة على لسان الرسولين مقصود بذاته، لإبراز حسن الاجابه على الاتهام، فطريقة الأنبياء في حوار أقوامهم مسلك يحتذى به، وفي تكريرها ترسيخ لها في نفوس المتلقين.يقول الزمخشري: "وفي إجابة الأنبياء عليهم السلام، من نسبهم الى الضلال والسفاهة، بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والإغضاء وترك المقابلة، بما قالوا لهم مع علمهم بأن خصومهم أضل الناس وأسفههم، أدب حسن وخلق عظيم، وحكاية الله عز وجل ذلك تعليم لعبادة كيف يخاطبون السفهاء، وكيف يغضون عنهم"[٢].

---

[١] الخطيب الاسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، ص(١٥٢-١٥٣).

[٢] الزمخشري، الكشاف، (١٢/٢).

ومنه ما جاء في قوله تعالى على لسان صالح عليه السلام، في حواره مع قومه: ﴿**يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم**﴾ (١) وقوله على لسان شعيب عليه السلام، في حواره مع قومه: ﴿**يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم**﴾ (٢) بإفراد الرسالة في حوار صالح وجمعها في حوار شعيب.

وللسائل أن يسأل عن سبب إفراد الكلمة في موطن وجمعها في موطن آخر، وعن الفائدة المخصصة لكل واحد من اللفظتين بمكانها.

أجاب عن ذلك الخطيب الإسكافي قال: "إن الذي نطق به القرآن من تحذير صالح عليه السلام قومه بعد أن أمرهم باتقاء الله تعالى وطاعته، هو أمر الناقة والمنع من التعرض لها، فجعل الرسالة جملة لما لم يفصل ما أتى به شعيب حين نهاهم عن عبادة الأوثان بدلالة قوله: ﴿**قالوا: يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء؟ انك لأنت الحليم الرشيد**﴾ [هود/٨٧] ثم قال: ﴿**اني لكم رسول أمين، فاتقوا الله وأطيعون**﴾[الشعراء/١٧٨-١٧٩] ثم قال: ﴿**أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين، وزنوا بالقسطاس المستقيم، ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين**﴾ [الشعراء/١٨١-١٨٣] وقال: ﴿**ولا تقعدوا بكل صراط توعدون**﴾ [الأعراف/٨٦] فهذه التي أمر شعيب بها قومه أشياء كثيرة، ليس ما أمر به صالح قومه مثلها كثرة، فلهذا جمع الرسالة في قصة شعيب فقال: " رسالات ربي " وأفردها في قصة صالح فقال: " رسالة ربي" . وجواب ثان وهو ما يروى أن أصحاب الأيكه غير مدين وان شعيبا بعث إلى امتين، فجمع لاختلاف قومه وتخصيص كل منهم برسالة من الله"(٣).

د. التكرار اللفظي مع الزيادة والنقصان:

وفيه تتفق الجمل الواردة في محاورة شخصية مع ألفاظ جمل جاءت في محاورة شخصه أخرى مع ذكر عناصر في أحد الموضعين لم تذك في الموضع الآخر، أو حذف عنصر من أحد الموضعين وبقائه في موضع. ومنه ما جاء في:

---

(١) الاعراف/٧٩.

(٢) الاعراف/٩٣.

(٣) الخطيب الاسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، (١٥٩-١٦٠).

قوله تعالى على لسان قوم صالح في حوارهم معـه: ﴿ **إنما أنت من المسحرين، ما أنت إلا بشر مثلنا** ﴾ (١) وقوله على لسان شعيب: ﴿**إنما أنت من المسحرين، وما أنت إلا بشر مثلنا**﴾ (٢). فما سبب زيادة الواو في جملة قوم شعيب (وما أنت)، وعدم ذكرها في جملة قـوم صالح ؟

قال الزمخشري في معرض تفسيره للآية التي قيلت على لسان قوم شعيب: "فان قلـت: هل اختلف المعنى بإدخال الواو ههنا وتركها في قصة ثمود ؟ قلت: إذا أدخلت الواو فقـد قصـد معنيان كلاهما مناف للرساله عندهم: التسحير والبشـرية، وان الرسـول لا يجـوز أن يكـون مسحرا، ولا يجوز أن يكون بشرا. وإذا تركت الواو فلم يقصد الا معنى واحد وهو كونه مسـحرا ثم قرر بكونه بشرا مثلهم".(٣)

وقال ابن عاشور: "والإتيان بواو العطف في قوله: ﴿ **وما أنت إلا بشر مثلنا** ﴾ يجعـل كونه بشرا ابطالا ثانيا لرسالته. وترك العطف في قصة هود يجعل كونه بشرا حجة على ان مـا يصدر منه ليس وحيا من الله،بل هو من تأثير كونه مسحورا، فمآل معنيي الآيتين متحد، ولكـن طريق افادته مختلف وذلك على حسب أسلوب الحكايتين" (٤).

---

(١) الشعراء/١٥٣،١٥٤.

(٢) الشعراء/١٨٥،١٨٦.

(٣) الزمخشري، الكشاف، (ج٣، ص٣٢٢).

(٤) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، (ج١٨، ص١٦٨).

الحـــــذف

الحذف لغة هو القطع والبتر، يقال: حذف الشيء يحذفه حذفا قطعه من طرفه[١]. والحذف في الاصطلاح: إسقاط جزء من الكلام أو كله لدليل[٢]؛ فقد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة، وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته"[٣].

ويتمثل الدليل في القرائن المصاحبة للنص، وهي نوعان؛ قرائن حالية أو ما يسمى بمناسبات النص، وتشمل: الكلام المنطوق، وشخصية طرفي الاتصال وتكوينهما بأبعاده النفسية والجسدية، وشخصيات من يشهد الحدث الكلامي ،إن وجدت، وهل تشارك في الحدث أم يقتصر دورها على التلقي، بالإضافة إلى اثر الكلام وأبعاده الانفعالية، والعوامل والظواهر ذات العلاقة بالسلوك اللغوي إلى أشباه ذلك من أمور تلابس النص دافعة بالمتكلم إلى حذف عنصر أو اكثر من عناصر البنية اللغوية لرسالته الكلامية دون أن يجد السامع غضاضة في تقبل هذا الكلام المبتور[٤].

والنوع الثاني من القرائن يتمثل في اشتمال سياق الكلام على سابق او لاحق يدل على العناصر المحذوفة، وتسمى هذه القرائن بالقرائن اللفظية أو المقالية ففي قوله تعالى: **﴿وقيل للذين اتقوا: ماذا أنزل ربكم؟ قالوا: خيرا﴾**[٥] حيث يقدر المتلقي المحذوف في الجواب تلقائيا معتمدا في تقديره على العناصر المذكورة في السؤال، فـ (قالوا: خيرا) تعني (قالوا: أنزل ربنا خيرا).

---

[١] ابن منظور، اللسان، مادة (حذف).

[٢] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج٣، ص١٠٢.

[٣] ابن جني، الخصائص، ج٢، ص٣٦٠.

[٤] محمود السعران، علم اللغة، ص (٣٣٧-٣٤١)؛ وكمال بشر، دراسات في علم اللغة، ق٢، ص(١٧٢-١٧٨).

[٥] النحل/٣٠.

وقد يدل اللاحق المذكور على السابق المحذوف، ومثاله ما جاء في قوله تعالى: ﴿**ولئن سألتهم ليقولن: انما كنا نخوض ونلعب. قل: أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون**﴾[١] فمضمون السؤال محذوف، ولكن عناصره مذكورة في الجواب المفصل، فقوله:(أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون) إجابة عن سؤال تقديره: (لم كنتم تستهزئون بالله وآياته ورسوله؟!).

ويدرج التلوين الصوتي أو التنغيم تحت لواء القرائن اللفظية، وهو دليل خاص باللغة المنطوقة، حيث يستشف السامع من طريقة نطق المتكلم أو أدائه الصوتي للعبارة العنصر الغائب، والى ذلك أشار ابن جني في حديثه عن حذف الصفة مع إرادتها وذكر الموصوف حيث قال: "وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملته، وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه فتقول: كان والله رجلا، فتزيد في قوة اللفظ بـ (الله) هذه الكلمة، وتتمكن في تمطيط اللام واطالة الصوت بها وعليها؛ أي رجلا فاضلا أو شجاعا أو كريما..."[٢].

ويستشف التنغيم في اللغة المكتوبة باستحضار القرائن المحيطة بالنص وتمثلها وهذا يدب الروح في جسد النص المكتوب، فيخرج صورة حية ناطقة بتنغيمات متنوعة الدرجات، تفتح الباب أمام قراءات متعددة تحاول أن تملأ شواغر النص.

وقضية الحذف من القضايا الهامة التي تناولتها أقلام النحاة والبلاغيين، مع اختلاف المنظور بين الفريقين؛ فالنحاة يبحثون الحذف من منطق يجوز أولا يجوز، وهذا دفعهم إلى تقدير أنواع من المحذوفات في بعض العبارات لا يحتاج ادارك المعنى إلى تقديرها، حيث تكون العناصر المذكورة كافية لفهمه. فلا شك في سلامة تقدير (لا) محذوفة في قوله تعالى: ﴿**قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف**﴾[٣] مثلا، ولكن كثرة استعمال الفعل (تفتأ) منفيا، فضلا عن السياق، أكثر دلالة على النفي المحذوف لدى عامة أهل اللغة من الأدلة المتصلة بالصناعة والتي لا يدركها إلا المتخصصون الذين يرون أن تقدير (لا) قبل الفعل (تفتأ) يرجع إلى وجوب دخول اللام على الفعل وتأكيده بالنون وجوبا في حال كون الجواب مثبتا[٤].

---

(١) التوبة/٦٥.

(٢) ابن جني، الخصائص، ج٢، ص٣٧١.

(٣) يوسف/٨٥.

(٤) طاهر حمودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، ص١٢٦.

أمّا البلاغيون فقد كانوا على وعي بتأثير الحذف وقيمته في التركيب، فحددوا ماهيته وكيفيته وعلة اللجوء اليه، فهو " باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبن"(١). انه خرق وانحراف عن مستوى التعبير العادي ومن هنا كانت قيمته الفاعلة.

وللحذف أهداف مقصودة وعلل خفية تتجاوز مبدأ توفير الطاقة المتمثل في الإيجاز والاقتصاد إلى قيم ودلالات تستشف من مطالب السياق الكلامي الاستعمالي، منها: التفخيم والتعظيم لما فيه من الإبهام، تحقير المحذوف، الجهل بالمحذوف أو التجاهل عنه، صيانة المحذوف عن الذكر تشريفاً له، العلم الواضح بالمحذوف الذي يغني عن ذكره، الخوف من المحذوف أو الخوف عليه، الإشعار باللهفة أو أن الزمن يتقاصر عن ذكر المحذوف... الخ من الأغراض التي تكشفها دلائل الحال.

➢ الحذف في الحوارات القرآنية:

كثر الحذف في الحوارات القرآنية مشكلا سمة أسلوبية واضحة المعالم متنوعة الأبعاد، وذلك لإعتماد الحوار على المباشرة والمشافهة التي تفرض على طرفي الاتصال التخلي عن كثير من أجزاء الكلام، مجسما الفارق بين مقررات النظام اللغوي ومطالب السياق الكلامي في واقعه الفعلي.

فما أهمية هذا العارض في الحوار القرآني؟ وما قيمته في التركيب؟ وكيف خدم مطالب السياق؟ وما هي القرائن الحالية واللفظية التي تعيننا على فهم المحذوفات؟ وما هي التراكيب التي لازمها الحذف أو كثر فيها؟ وما أنواع هذا الحذف؟

هذه الأسئلة وغيرها ستتضافر في تحليل نماذج ممثلة لهذه الظاهرة في الحوار القرآني التي تفتح للقارئ فضاءات من التأويل والتخيل لأحد لها متأرجحة بين حدي الغياب والحضور.

---

(١) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص١٤٦.

➢ أسلوبية الحذف في الحوارات القرآنية (نماذج ودلالات)

١- الحذف في بنية السؤال:

تجلى الحذف بصوره في بنى السؤال خاصة التي اجترأ عليها المتحاورون وتفننوا في تناولها بفنون الحذف المختلفة، فمقام السؤال من أكثر المقامات مناسبة للإيجاز والاختصار، سواء أكان التساؤل حقيقياً تطلب به المعرفة أو أريد به الإنكار أو التعجب أو التوبيخ أو غيرها من الدلالات والأبعاد الانفعالية القارة فيه؛ لانه في الحالة الأولى يعج بلهفة السائل التائق إلى كشف المجهول ومعرفة الحقائق، وهو في الحالة الثانية صادر عن انفعال ثائر سريع، يطوي من جوانب الكلام مالا يحتاج إليه السائل أو المنفعل، أو ما يبطئ عن بلوغ غايته في المعرفة والإبانة والتأثير. ومن صور الحذف في بنية السؤال:

أ) حذف أداة السؤال:

تختص الهمزة من بين سائر أدوات السؤال بجواز حذفها اعتماداً على القرائن المرافقة للحدث الكلامي، ويكون حذفها في اللغة المنطوقة مستوعباً من قبل المتلقي؛ لاعتماد الناطق على التنغيم الذي تُغني الأداة عن ذكره.

أما في اللغة المكتوبة فإن غياب التنغيم قد يجعل من التركيب لغزاً متأرجحاً بين حافتي الخبر والسؤال، فمن القراء من يحاول استشفاف التنغيم المخبوء في النص المكتوب اعتماداً على ما يتوافر من قرائن حالية مرافقة، فيرجح كون التركيب سؤالاً حذفت أداته، ومنهم من ينظر إلى النص من زاوية أخرى فيقرأ التركيب قراءة مغايرة ترجح كونه خبراً، ويدعم رأيه بأدلة يستقيها من النص ذاته أو مما يحيط به من قرائن.

والحوار القرآني نص مكتوب ينبض حياة وحركة وحيوية تجسم الكلمات صوراً مسموعة ومرئية، جعلتنا في عدد من المواطن نرجح كون التراكيب فيها أسئلة حذفت أداتها اعتماداً على ما توحي به القرائن من تنغيم. ومن هذه المواطن:

ما جاء في قول موسى -عليه السلام- لفرعون : ﴿**وتلك نعمة تمنها عليّ أن عبّدت بني إسرائيل**﴾[١] حيث يرى الأخفش والفراء ان همزة السؤال محذوفة والتقدير: أو تلك نعمة[٢]. وأرجح هذا الرأي اعتماداً على استنطاق طريقة موسى في أداء العبارة، فقد قالها مستنكراً متعجباً مستعظماً؛ لأنها جاءت رداً على قول فرعون: ﴿**ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين**﴾[٣].

ولعل حذف أداة السؤال اكتفاءً بتنغيم العبارة بنغمة السؤال أفاد ابراز مقولة موسى بما فيها من دلالات قارة أهمها التناقض الصارخ بين التسمية والمسمى؛ فكيف يكون القتل والسبي نعمة يمن بها الظالم على المظلوم؟!

وتنوعت القيم التعبيرية التي تمخضت عن أسلوبي قراءة كلمة (السحر) بالإخبار والسؤال[٤] في قوله تعالى: ﴿**فلما ألقوا قال موسى: ما جئتم به السحر إنّ الله سيبطله، إن الله لا يصلح عمل المفسدين**﴾[٥] تبعاً لاختلاف النظرة إلى السياق وتمثّل طريقة الأداء، فلكل قراءة بعد دلالي؛ فقراءة الإخبار تتضمن معنى التقرير والمواجهة. أما قراءة الكلمة بتنغيم السؤال فإنها توحي بدلالات متعددة تدور حول الإنكار والتوبيخ والتحقير، وفيها مقابلة بالمثل، فقد سبق أن قالوا لموسى بعد أن جاءهم بالبينات الواضحة: (إن هذا لسحر مبين) [٦]، فقابلهم موسى بمثل مقالتهم متسائلاً فقال: (ما جئتم به؟ آلسحر؟) وقد أحدثت هذه القراءة تغييراً في نسق الجملة وطريقة الاداء، اذ تولد تساؤل آخر أدى إلى تجاور بنى السؤال، وهذا أشد وقعاً في نفس المتلقي، واكثر إثارة، فالأسئلة المتتابعة تلاحق المتلقي بالدلالات والأبعاد الانفعالية التي يريد السائل أن يستثيرها فيه، لما فيها من استفزاز للاستجابة الشعورية والقولية.

---

(١) الشعراء/٢٢.

(٢) التوحيدي، البحر المحيط، ج٧، ص١١.

(٣) الشعراء/١٨.

(٤) قرأها جمهور القراء بهمزة وصل على الإخبار، وقرأها أبو عمرو وأبو جعفر بهمزة قطع ممدودة على السؤال (السحر)، ينظر الدمياطي، اتحاف فضلاء البشر، ج٢، ص١١٨.

(٥) يونس/٨١.

(٦) يونس/٧٦.

ومن المواطن التي قد تحمل على الإخبار والسؤال ما جاء في قول السحرة لفرعون: **﴿إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين﴾**[1] الذي قد يفيد معنى الخبر المؤدي مقصدا بلاغيا يتمثل في إثبات الأجر الكبير وإيجابه على تقدير الغلبة التي هم واثقون منها، كأنهم قالوا: لا بد لنا من اجر إن كنا الغالبين.

وقد تحمل الجملة على معنى السؤال الذي أغنى التنغيم عن أداته المحذوفة، ودلت عليه قرينة المقال الظاهرة في قول فرعون : **﴿نعم، وإنكم لمن المقربين﴾**[2] فحرف الجواب (نعم) يشي بالسؤال المكنون في مقولة السحرة. كما يقوي ظهور همزة الاستفهام وقراءتها بالإجماع في سورة الشعراء[3] احتمالية صدور المقولة بتنغيم السؤال.

ولعل ظهور أداة السؤال في موقع واختفاءها في موقع آخر حاكى الصوت الجمعي الذي حمل المقولة بتنغيمات متعددة الدرجات ومتنوعة الإيحاءات؛ فمن السحرة من أداها بقوة الخبر وثباته، ومنهم من أداها بتنغيم السؤال الذي يتسع تلوينات الانفعال وأبعاده.

وحملت الجملة الخبرية(أذهبتم طيباتكم) في قوله تعالى: **﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار: أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون﴾**[4] على معنى الخبر والسؤال؛ فقد يوجه الخطاب إلى أهل النار بأسلوب الخبر الذي يفيد المواجهة بحقيقة لا مفر من الإقرار بها. وقد يوجه الخطاب بأسلوب السؤال الذي أغنى التنغيم عن أداته المحذوفة بدليل قراءة مجاهد وقتادة وابن كثير بهمزة مد طويلة (آذهبتم طيباتكم)، وقراءة ابن عامر بهمزتين محققتين (أأذهبتم) [5]. ولعل حمل المقولة بتنغيم السؤال يتماشى مع أسلوب مخاطبة أهل جهنم الذي شكل السؤال بنية مهيمنة فيه؛ لقدرته على استيعاب الأبعاد الانفعالية التي يريد السائل إيصالها للمتلقي بتلوينها المتفاوتة.

---

(1) الأعراف/١١٣.

(2) الأعراف/١١٤.

(3) : (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون: أإن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين) (الشعراء/٤١).

(4) الأحقاف/٢٠.

(5) الدمياطي، اتحاف فضلاء البشر، ص٣٩٢.

هذا بالإضافة إلى ما يفيده حذف الهمزة من تسليط الضغط الصوتي على التركيب (أذهبتم) وإبراز ما فيه من دلالات التوبيخ واللوم والتحسير والإنكار وملاحقة المخاطب بها.

ومثله ما جاء في قوله تعالى: ﴿**قال فرعون: آمنتم به قبل أن آذن لكم، إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون**﴾[١] حيث يحمل التركيب (آمنتم) على معنى الخبر الممزوج بالتقريع والانكار؛ أي فعلتم هذا الفعل الشنيع الذي لا يليق بكم وما كان ينتظر منكم.

كما يحمل على معنى السؤال وهذا أرجح، فسياق الآي يشي بانهيار فرعون وتأجج غضبه أمام إعلان السحرة إيمانهم بموسى ودعوته، ولنا أن نتخيل نبرة صوته التي حملت عبارته، لا شك في أن صوته كان يرتجف غضبا وحيرة وخوفا وتعجبا، فكيف ينقلب أعوانه فجأة عليه مؤيدين خصمه؟!

يؤيد هذا الربط غير المنطقي في قوله: (آمنتم به قبل أن آذن لكم) إنه لا يعرف كيف تفلت زمام الأمور من بين يديه، فهل إيمانهم بموسى ينتظر موافقته؟! وهل سيعطيهم الموافقة أن طلبوها منه؟!

وتركيب السؤال أقدر من الخبر على استيعاب هذه الأبعاد الانفعالية المتأججة في مقولة فرعون، لانه يصل إلى المتلقي بدلالة ناقصة يأتي اكتمالها على لسان المتلقي أو في ذهنه كاشفا عجز المرسل عن تكوين تراكيب جاهزة، فقد وصل التوتر في نفس فرعون أقصى درجاته فعقد لسانه سالبا إياه القدرة على إعداد تركيب جاهز يوحي بالاستقرار. يؤكد هذا قراءة الجمهور التركيب (آمنتم) بهمزتين على السؤال، وقراءة حفص عن عاصم بمد الألف بهمزة واحدة على الخبر[٢].

وقد تذهب القراءة بأداة السؤال، ومع هذا يبقى تنغيم السؤال حيا في التركيب يستمد نبضه من القرائن الحالية واللفظية المحيطة. فقد قرأ حفص وابن كثير ﴿**إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين**﴾[٣] بإسقاط همزة السؤال[٤]، لوجودها في (إنكم) المحاورة لها في بنية النص : ﴿**أإنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم**

(١) الأعراف/١٢٣.

(٢) ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص(٢٩٠-٢٩١).

(٣) العنكبوت/٢٨.

(٤) الدمياطي، اتحاف فضلاء البشر، ص٢٢٧.

لــها فــي بنيــة النــص : ﴿**أإنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر**﴾[١].

ولعل هذه القراءة تكشف عن طريقة ادائية جديدة من طرائق توجيه المقولة التي كررها لوط على مسامع قومه في اكثر من مقام لتكرار ممارستهم للفاحشة واصرارهم عليها، فقد كان غاضباً منهم مستنكراً فعلهم ومستقبحاً، فقولب انفعالاته المتأججة في قالب السؤال ملاحقاً اياهم بهذه الانفعالات، ليتنبهوا إلى قبح انحرافهم فيخجلوا ويرتدعوا. وقد يواجه قومه، في مقام آخر بأسلوب الخبر.

كما ذهبت قراءة الأعرج (بشرتموني) بهمزة السؤال[٢] في قوله تعالى: ﴿**قال أبشرتموني على أن مسني الكبر؟ فبم تبشرون؟!**﴾[٣] ولكنها لم تسلب التركيب تنغيم السؤال، فقد أتبع التركيب بتركيب سؤال آخر يرجح دلالاته ويقوي تنغيمه (فبم تبشرون).

ويحمل الصوت الجمعي تنغيمات متنوعة الأداء قد يكون السؤال واحداً منها، وان لم تظهر أداته، ومثاله ما جاء في قوله تعالى: ﴿**وقال نسوة في المدينة: إمرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حباً، إنا لنراها في ضلال مبين**﴾[٤] فقد احتضنت بنية المقولة الخبرية (امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه) في ثناياها العميقة تنغيمات متنوعة الدرجات بتنوع انفعالات كل متلق للخبر، فواحدة ألقت الخبر مؤكدة مُشوّقة، وواحدة أعادت الخبر ذاته ولكنها حمّلته دهشتها، وأخرى أعادته بنبرة المستعظم المستنكر، وأخرى بتنغيم المتقزز المتعفف، إنها انفعالات تشي بالبنية الوحيدة القادرة على استيعابها، وهل ستكون غير بنية السؤال؟!

وقد تذهب القراءة بأداة السؤال في مقولة صادرة عن صوت جمعي فتكشف الغطاء عن التنغيمات الممتزجة فيه المتأرجحة بين حافتي السؤال والخبر، ومثالها قراءة ابن كثير وأبي جعفر (إنك) على الإيجاب[٥] في قوله تعالى: (أإنك لانت يوسف) [٦] التي تجسم أقصى درجات

---

[١] العنكبوت/٢٩.

[٢] التوحيدي، البحر المحيط، ج٥،ص٤٥٨.

[٣] الحجر/٥٤.

[٤] يوسف/٣٠.

[٥] الدمياطي، اتحاف فضلاء البشر، ص٢٦٧.

[٦] يوسف/٩٠.

اليقين بأن المخاطب هو يوسف، وهذه الدرجة قد يصل إليها شخص قبل الآخر، فمن إخوة يوسف من شك في أن العزيز هو يوسف، ومنهم من اختلط عنده الشك باليقين، ومنهم من تغلب يقينه على شكه ولكنه ما زال مندهشاً لا يصدق ما يراه، وهؤلاء جميعهم قولبوا مقولتهم في قالب السؤال الذي استوعب حيرتهم وترددهم في الحكم ودهشتهم وتصاعد اليقين في نفوسهم. أما من كان متيقناً فقد قولبَ مقولته في بنية الخبر.

وقد يحوي خطاب أحد أطراف الحوار بنى سطحية متطابقة لكنها تحوي تنغيمات متنوعة يكشفها تأمل الظروف المحيطة بالحدث الكلامي، ومنه ورود جملة (هذا ربي) ثلاث مرات أديت في كل مرة بتنغيم مختلف باختلاف درجة تقبل المتلقي للفكرة وذلك في قوله تعالى: **﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين. فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال: هذا ربي. فما أفل قال: لا أحب الأفلين. فما رأى القمر بازغاً قال: هذا ربي. فلما أفل، قال: لئن لم يهدني ربي لأكوننَّ من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة، قال: هذا ربي، هذا أكبر. فلمّا أفلت، قال: يا قوم إني بريء مما تشركون﴾**[1].

حيث قدر الأخفش همزة استفهام قبل جملة (هذا ربي)، وخالفه في ذلك معظم النحاة الذين ذهبوا إلى أن هذه الجملة في المواطن الثلاث خبرية[2].

وأرى أن وضع هذه الجملة في السياقات التي وردت فيها يبين نوعها، فالجمل الثلاثة لم ترد في وقت واحد، كما أنها لم توجه بتنغيم واحد، فقد حملت كل منها بالطريقة التي تناسب المتلقي ودرجة تقبله للفكرة، فهي في الأولى جملة خبرية، بينما يمتزج الخبر مع السؤال في الجملة الثانية، وهي في الثالثة سؤال حذفت أداته. ولتوضيح هذا دعونها نتأمل السياق الذي وردت فيه:

استخدم إبراهيم أسلوباً في استدراج الخصم يطلق عليه (تجاهل العليم)، فقد كان يحكي كلام قومه، مع علمه بأنه باطل معظّماً ما يعظمونه، ثم يكر عليهم مبطلاً كلامهم الحجة الواضحة.

إنه يريد اقناع قومه أن لا شيء يستحق العبادة إلا الله، فبدأ معهم بحيادية العرض المتجسمة في بنية الخبر (هذا ربي) مشيراً إلى كوكب في السماء، فلما أفل هذه الكوكب، استقى إبراهيم من أفوله جرعة من قوة، وتسربت قوة من يقين الخصم باستحقاق هذا المعبود للعبادة.

---

(١) الأنعام/(٧٥-٧٨).

(٢) ابن هشام، مغني اللبيب، ص/(٢٠-٢١).

وبعد هذا التمهيد الموضعي صرح إبراهيم بمشاعره إزاء معبودهم الآفل (قال: لا أحب الأفلين) ثم يشير إبراهيم إلى معبود آخر وهو القمر قائلاً: (هذا ربي)، وأخال السؤال بما فيه من تنغيم التشكيك والحيرة يطل باستحياء من حيادية الخبر، ولكنه لا يلبث أن يختفي، فالمواجهة ووضوح الموقف القاران في السؤال قد يثيران زوبعة غضب ورفض تحول دون قبول المتلقي لدعوة الرسول. ويأفل القمر، ويكتسب إبراهيم قوة اضافية، ويخسر الخصم مزيداً من يقينه بمعبوداته.

وتبزغ الشمس فيشير إليها إبراهيم قائلاً : (هذا ربي، هذا أكبر) بنغمة المستعبد المشكك الذي أصابه الضجر ولفته الحيرة، والسؤال هو الاختيار المناسب لقولبة هذه النغمة بكل أبعادها. ولعل تراجع قوة الخصم أمام أفول آلهته اكسب إبراهيم جرأة تجسمت في مواجهة الخصم بالسؤال دون أن يخشى ما يوحي به من أبعاد. ومع هذا فقد حرص على إظهار حياديته ورغبته في التجربة حتى النهاية، فاتبع سؤاله بجملة (هذا أكبر)، أي لنجرب فقد يكون هذا هو الإله لكبر حجمه.

وقد يحول تقدير أداة سؤال ملكية المقولة من قائل لآخر، ومثاله ما جاء في قوله تعالى: ﴿**ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم. قل: إن هدى الله، أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم**﴾[١] حيث يمكن أن تنسب مقولة (أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم) إلى قائلين، وتؤدي هذه النسبة إلى اختلاف نوع البينة؛ فهي مع قائل بنية خبرية، وهي مع آخر بنية سؤال حذفت أداته.

والقائلان اللذان تنسب إليهما المقولة: هما: أهل الكتاب في حوارهم مع بعضهم، والله -عز وجل- بواسطة رسوله محمد (ص). فإن صدرت المقولة من أهل الكتاب كانت خبرية، لأنها ستكون تتمة لخطابهم بعد أن اعترضته الجملة الملقنة للرسول (قل: إن هدى الله هو الهدى).

وهي بنية سؤال تفيد الإنكار والتوبيخ إن كان القائل هو الله بوساطة رسوله، وقد حذفت أداة السؤال اكتفاءً بالتنغيم، كما حذفت الفعل فيها اكتفاء بذكر العلة وتركيزاً عليها لفضح نوايا أهل الكتاب ومواجهتهم بها، فيكون تقديرها: (أأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم) عند ربكم كتمتم الحق الذي أظهره الله لكم).

---

[١] آل عمران/٧٣.

ب) حذف تركيب السؤال:

وإبراز المذكور من عناصر بنية الخطاب بتنغيم السؤال يحقق دلالات عديدة منها: التأدب مع المتلقي بعدم التصريح بالسؤال والاكتفاء بالتلوين الصوتي الدال عليه، ومنه ما جاء في قول إبراهيم مخاطباً ربه في الحوار الآتي:

﴿وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُه بكلماتٍ فأتمهن. قال: إني جاعلك للناس إماماً. قال: ومن ذريتي؟ قال: لا ينال عهدي الظالمين﴾[١] فمقولة إبراهيم: (ومن ذريتي) تخفي في بنيتها العميقة سؤالاً يمكن أن نقدره بـ: (ومن ذريتي ألن تجعل للناس إماماً؟)

وقد يحذف السؤال لفرط الدهشة والمفاجأة، ومنه ماجاء في قول زوج إبراهيم في الحوار الذي دار بينها وبين الرسل المبشرين: **﴿فأوجس منهم خيفةً قالوا: لا تخف. وبشروه بغلام عليم. فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت: عجوز عقيم؟! قالوا: كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم﴾**[٢]

ويكشف تأمل الظروف المحيطة بمقولة زوج إبراهيم عن التنغيم الذي تجسمت فيه، وهو تنغيم سؤال إنكاري يمتزج تعجباً ومفاجأة وفرحة حائرة؛ فهي امرأة عاقر كبيرة السن تبشر فجأة بأنها ستنجب غلاماً، ولا شك في أن وقوع البشارة عليها كبيراً وقد تمثل في:

١. صرخة انفعالية (صرة).
٢. حركة انفعالية (صكّت وجهها).
٣. كلام مبتور(عجوز عقيم)؛ يمكن ان نقدر عناصره المحذوفة بـ (أألد وأنا عجوز عقيم).

ج) حذفت الجملة الفعلية التي تلي أداة السؤال:

وذلك لإبراز المذكور بتنغيم السؤال ومواجهة المتلقي به، وجاء هذا اللون من الحذف في موضعين؛ الأول في ردود الأنبياء على تكذيب أقوامهم وتهديدهم، ومنه:

حذف الجملة الفعلية التالية لإداة السؤال في قول شعيب لقومه بعد أن خيروه بين الخروج من قريتهم أو العودة في ملتهم -: **﴿أولو كنا كارهين﴾**[٣] أي: (أتعيدوننا في ملتكم ولو كنا كارهين).

---

[١] البقرة/١٢٤.

[٢] الذاريات/(٢٨-٣٠).

[٣] : (قال الملأ الذين استكبروا من قومه: لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا، أو لتعودن في ملتنا. قال: أولو كنا كارهين) الأعراف/٨٨.

ويعكس هذا الطي في مقولة شعيب الحوار المباشر الدائر بين الطرفين، الذي يحول دون الحاجة إلى ذكر عناصر الخطاب بكاملها؛ لأنها مفهومة ومدركة. كما يبرز الحذف تعجب شعيب من تهديد قومه بتنغيم السؤال.

ومنه جاء في رد المرسلين على أصحاب القرية في الحوار الآتي:

﴿قالوا: إنا تطيرنا بكم، لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم. قالوا: طائركم معكم أإن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون﴾[1]. حيث حذف المرسلون جواب الشرط المقدر بـ (تطيرتم) المستشف من قول أصحاب القرية: (إنا تطيرنا بكم)، مبرزين بهذا الحذف جملة الشرط (إن ذكرتم) بتنغيم السؤال لبيان الفارق بين الفعل الإيجابي الذي يقومون به ورد فعل أصحاب القرية السلبي عليه.

ومنه حذفت الجملة الفعلية التالية للسؤال في رد موسى على تهديد فرعون في الحوار الآتي:

﴿قال: لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين.
قال: أولو جئتك بشيء مبين﴾[2].أي (أتسجنني ولو جئتك بشيء مبين)، وقد أفاد الحذف إبراز ما فيه إغراء لفرعون وإثارة فضوله.

كما جاء هذا اللون من الحذف على لسان الملائكة الموكلة بإيقاع العذاب على الكافرين، .ومنه ما جاء في رد الملك الموكل بإغراق فرعون وقد أعلن الأخير إيمانه: **﴿آالآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين﴾**[3] أي (آالآن تؤمن).

وقول خزنة جهنم للكافرين وقد أعلنوا إيمانهم حين رأوا العذاب: **﴿أثم إذا ما وقع آمنتم به، آالآن وقد كنتم به تستعجلون؟!﴾**[4] أي (آالآن تؤمنون).
ويعكس حذف الجملة الفعلية الواقعة بين أداة السؤال وظرف الزمان (الآن) غضب الملائكة من هؤلاء المكابرين المعاندين الذين لا يؤمنون إلا بعد فوات الوقت، وقد حال الغضب والرفض

---

(١) يس/(١٨-١٩).
(٢) الشعراء/(٢٩-٣٠).
(٣) يونس/٩١.
(٤) يونس/٥١.

دون ادارج الجملة التي تحوي فعل الإيمان (تؤمن، تؤمنون)، كما أوحى الحذف بتعطش الملائكة لتعذيب الكافرين إثباتا للعذاب الذي طالما أنكروه ولم يعترفوا به إلا حين رأوه.

وأفاد الحذف توجيه السؤال بما فيه من إنكار وتوبيخ وشماته إلى ظرف الزمان (الآن) وقد أدى هذا إلى تمطيط الصوت وإطالته لمحاصرة المتلقي بدلالة الرفض والاستحالة وبعث اليأس في نفسه من قبول إيمانه في هذا الوقت وما يليه.

د) الحذف في جواب السؤال:

عمد أطراف الحوار في إجابتهم إلى حذف جل العناصر الموجودة في الأسئلة الموجهة إليهم كأن تقتصر الإجابة على تعيين الشيء المسؤول عنه اختصارا ووصولا بالسؤال إلى غايته مباشرة دون أن تفصله عنها عناصر مدركة ضمنا في ذهنه، وقد يجسم هذا الحذف عدم قدرة المجيب على إتمام إجابته خجلا أو ألما أو خوفا أو غيرها من المشاعر التي تلجم اللسان وتطوي الكلام.

وقد تتبلور الإجابة مبينة موقف صاحبها بحرف من حروف الجواب (نعم، لا، كلا، بلى، إي)، ويكشف سياق الحال التلوين الصوتي الحامل لهذه الإجابة، كما يبين سبب هذا الاقتصار.
وأحيانا يلجم المسؤول فلا ينبس بإجابة.
وعند حصر الأسئلة التي تعرضت إجاباتها للحذف وجدنا أنها تدور في أربعة محاور:

- **<u>المحور الأول</u>:**

الأسئلة التي يلقنها السائل العليم (الله) لرسوله ليقوم بتوجيهها إلى خصومه من الكفار والمعاندين الإقرار بالحق.

وتدور الأسئلة حول قدرة الله المطلقة وسيطرته على كل ما في الكون. يتبع الله أسئلته المفحمة إجابة مؤكدة لا يخرج المتلقي عن حدودها أبدا تمثلت في كلمة واحدة هي (الله)، ومثالها ما جاء في قوله تعالى: ﴿**ولئن سألتهم: من خلق السماوات والأرض؟ ليقولن: الله**﴾[1]؛ أي: خلق السماوات والأرض الله. فقد حذفت العناصر المذكورة في السؤال للتلاحم المباشر بين السؤال والجواب، ولان السائل والمجيب هو الله، فما ذكر في الجواب كان تتمة للسؤال.
وأفاد الحذف تسليط الضوء على الإجابة الوحيدة التي تبرز المفارقة الواضحة بين يقين أولئك الكفرة وممارستهم الفعلية.

---

[1] الزمر/٣٨.

وقد يلقن الله رسوله السؤال والجواب، فيكون الرسول هو السائل وهو المجيب في القوت ذاته، وهذا أدعى للحذف، لأن السؤال والجواب مندمجان يتمم أحدهما الآخر، فالله -عز وجل- اختار أسلوب السؤال والجواب في طرح الفكرة على الكافرين، لما فيه من ملاحقة المخاطب واثارته بكيفية لا تتحقق بأسلوب الخبر (الله يرزقكم من السماوات والأرض).

➢ <u>والمحور الثاني:</u>

الأسئلة الموجهة إلى أهل جهنم التي يمتزج فيها الإنكار والتوبيخ والتهكم والتحسير في بوتقة واحدة مسببة لهم الألم والحسرة والشعور بالندم، فتحول هذه المشاعر دون القدرة على التفصيل في الكلام أو الإطالة، ولهذا اقتصرت جل إجابتهم على حرف من حروف الجواب، ومن ذلك:

﴿ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار: أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا.

قالوا: نعم﴾[1] أي نعم، وجدنا ما وعدنا ربنا حقا.

وقوله تعالى: **﴿قالوا: أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات؟**

قالوا: بلى﴾[2] أي: بلى أتتنا.

➢ <u>والمحور الثالث:</u>

الأسئلة التي يوجهها الخالق إلى البشر بهدف إقامة الحجة عليهم، فيدل الحذف في إجاباتهم على القبول والتسليم المطلق الذي يحول دون النقاش أو الإطالة:

﴿وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم: ألست بربكم؟

قالوا: بلى شهدنا﴾[3].أي: بلى أنت ربنا شهدنا (على أنفسنا وأقررنا).

➢ <u>والمحور الرابع:</u>

أسئلة حقيقية تطلب تعيين شيء محدد وتوضيحه، فتأتي الإجابة عنها مقتصرة على ذكر هذا الشيء فقط مراعاة لتعطش السائل، فالحذف هنا ضرورة، والاشتغال بذكر المحذوف يفضي إلى تفويت المهم، ومثالها ما جاء في الحوارات الآتية:

---

(1) الأعراف/٤٤.

(2) غافر/٥٠. ولمزيد من الامثلة ينظر: المائدة/٣٠، الزمر/٧١، الأحقاف/٣٤.

(3) الأعراف/١٧٢.

﴿يسألونك ماذا ينفقون. قل: العفو﴾ [١] أي: أنفقوا العفو.

﴿وإذا قيل لهم: ماذا أنزل ربكم؟

قالوا: خيرا﴾ [٢]. أي أنزل الله خيرا.

﴿قالوا: ماذا قال ربكم؟

قالوا: الحق وهو العلي الكبير﴾[٣] أي: قال ربنا الحق.

هـ) حذف السؤال:

وذلك لاستهلال الحوار بكلمة تدل على نوع التركيب متمثلة بـأل وأخواتها، وتبين موضوعه من الإجابة المفصلة. أي أن القرينة السابقة لبنية السؤال المحذوف تحدد ماهية التركيب (نوعه)، بينما تشي القرينة اللفظية اللاحقة بمحور السؤال وموضوعه. ومنه ما جاء في الحوارات الآتية:

﴿يسألونك عن الأنفال، قل: الأنفال لله والرسول﴾[٤]، حيث وشت القرائن اللفظية السابقة للتركيب المحذوف واللاحقة بالعناصر المشكلة لبنيته وكيفية تآلفها، مبينة أن السؤال المحذوف هو: (لمن الأنفال؟)

ويقدر السؤال المحذوف في قوله تعالى: **﴿يسألونك عن الجبال، فقل ينسفها ربي نسفا﴾**[٥] بـ (ماذا يحل بالجبال يوم القيامة؟) لأن في الإجابة تفصيلا لوقوع فعل النسف.

ويقدر السؤال المحذوف في قوله تعالى: **﴿ولئن سألتهم، ليقولن: إنما كنا نخوض ونلعب. قل: أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون؟! ﴾**[٦] بـ (لم كنتم تستهزئون بالله وآياته ورسوله؟) وجاء هذا التقدير من عناصر إجابة العصاة الساخرين، ومن السؤال الإنكاري وما فيه من تفصيلات وتوضيحات.

---

[١] البقرة/٢١٩.
[٢] النحل/٣٠.
[٣] سبأ/٢٣.
[٤] الأنفال/١.
[٥] طه/١٠٥.
[٦] التوبة/٦٥.

ونشير هنا إلى ضرورة ارتباط الإجابة بمضمون السؤال، فكلاهما يشير إلى الآخر ويندمج معه بحيث لو غاب السؤال دلت عليه عناصر الجواب، فالإجابات في الأمثلة السابقة محددة ومقيدة بحدود بنية الاستهلال التي تؤكد هذا الترابط.

و) حذف تركيب السؤال بعد (أرأيت/أرأيتم):

ولهذا الحذف دلالات منها: عكس حالة الألم والغضب التي تسيطر على المتكلم فتحول دون قدرته على إتمام مقولته، ومثاله ما جاء في قول شعيب - عليه السلام - لقومه: ﴿**يا قوم، أرأيتم إن كنت على بينه من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي الإ بالله عليه توكلت وإليه أنيب**﴾[1] فقد حذف جواب (أرأيتم) وتقديريه: (أيصح لي أن لا آمركم بترك عبادة الأوثان والكف عن المعاصر ونحن الأنبياء لا نبعث الإ لهذا؟!).

وكسر هذا البتر توقع المتلقي الذي يسير وصولا إلى نقطة استقرار تتمثل في ذكر جواب الشرط، ولكن هذا لم يحدث؛ فالموقع ما زال شاغرا، والمتكلم ينطلق إلى عبارة جديدة تاركا مقولته نهاية مفتوحة. وقد يدل حذف السؤال بعد (أرأيت) على التأدب في الخطاب بالابتعاد عن توجيه توبيخ مباشر إلى المتلقي استمالة له، ومثاله ما جاء في الخطاب الذي أمر الله رسوله أن يوجهه إلى أهل الكتاب:

﴿**قل: أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين**﴾[2]، فقد حذف جواب (أرأيتم) وتقديره (ألستم أضل الناس وأظلمهم؟!)، وأفاد هذا الحذف التعريض بالمتلقي دون توجيه الإنكار والتوبيخ القارين في السؤال المحذوف إليه مباشرة.

٢- الحذف في التركيب الشرطي:

أ - حذف جواب الشرط:

شكل حذف جواب (لولا) في الحوار القرآني ظاهرة أسلوبية لافتة في خطاب الكفار الموجه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مجسما رفض تصديقه والإيمان بدعوته، ومنه ما جاء في الخطابات الآتية:

---

(١) هود/٨٨.

(٢) الأحقاف/١٠.

- ﴿ويقول الذين كفروا: لولا أنزل عليه آية من ربه﴾[1]
- ﴿وقالوا: لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾[2]
- ﴿وقالوا: لولا أنزل عليه آيات من ربه﴾[3]

فقد حذف جواب (لولا) في المقولات السابقة، وتقديره: (لصدقناه أو لآمنا برسالته أو لاتبعناه) فاضحا ما يعتمل في نفوس الكفار من إصرار على الكفر، فهم يظهرون جانبا من الاستجابة الإيجابية بإمكانية تصديق الرسول، ولكنهم يحيطون هذه الاحتمالية بشروط معينة يتغنون في تعدادها رافضين حتى ان ينطقوا بكلمة توحي بإيمانهم أو تصديقهم، فقد اكتفوا بذكر الشرط دون أن يذكروا نتيجة تحقيق هذا الشرط، وهذا انعكاس لقصور في الإيجابية والاستعداد، لأن النية السليمة والشرط الصادق يستدعيان التصريح بالإيمان والتصديق.

وعكس حذف جواب الشرط انفعالات المتكلم، فجملة الشرط المبتورة الجواب تدل على شخصيات مثارة. ومن الانفعالات التي تمخضت عن حذف جواب الشرط:

- ❖ **<u>الخوف والمفاجأة:</u>**

﴿فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا. قالت: إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا﴾[4] أي: إن كنت تقيا (فلا تقترب مني).

الطرف المثار: مريم

الطرف المثير: رجل غريب

سبب الإثارة: دخول الرجل فجأة محراب مريم وهي في معزل عن أهلها.

نتيجة الإثارة: خوف وارتباك حالا دون اتمام العبارة. وربما نهضت مريم من مكانها ومدت ذراعيها محاولة مفع هذا الغريب من الاقتراب بطريقة فطرية لحماية نفسها، مستعيضة بهذه الحركة عن الكلام.

---

(1) الرعد/٢٧.

(2) الزخرف/٣١.

(3) العنكبوت/٥٠.

(4) مريم/١٨.

❖ الغضب والحرج والحيرة:

﴿قال: لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد﴾. التقدير: لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد (لدفعتهم وحميتكم).

الطرف المثار: سيدنا لوط عليه السلام

الطرف المثير: قوم لوط

سبب الإثارة: ضيف لوط وما أثاره مجيؤهم من فتنة قومه الذين فسدت فطرتهم ومالوا إلى حب ممارسة الفاحشة مع الرجال، فجاءوا يهرولون مطالبين لوط بتسليمهم ضيفه.

نتيجة الإثارة: غضب لوط من قومه، وشعر بالحرج من تصرفاتهم الشاذة، وخاف على ضيفه الذين بدوا لا حول لهم ولا قوة، واحتار أين يذهب بهم، وكيف يدفع هذا التيار الكاسح القابع وراء بابه، وسيطر عليه الاحساس بالضعف والوحدة وفقدان النصير، فنظر إلى ضيفه بألم، وانفرجت شفتاه عن عبارة مبتورة تعكس احساس شخصيه مقهورة، تبحث عن مخرج من هذا الكرب بقوة عملية فعلية لا بألفاظ أو حجة كلامية خطابية.

❖ الحزن واليأس من المخاطب:

﴿ولما فصلت العير قال أبوهم: إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون﴾[1]. أي: لولا أن تفندون لصدقتموني.

الطرف المثار: يعقوب عليه السلام

الطرف المثير: قومه الذين اتهموه بالخرف لكبره في السن وحزنه الدائم على ابنه يوسف.

سبب الإثارة: وصول رائحة يوسف إلى أبيه يعقوب، ورغبة يعقوب بنقل إحساسه بقرب عودة يوسف إلى قومه، ولكنه خاف أن يتهم بالخرف، فهذا إحساس لا يدركه إلا الأنبياء لتواصلهم الدائم بالقدرة الإلهية.

نتيجة الإثارة: عبارة غير مكتملة لشعور المتكلم باليأس من تصديق قومه له، وفرحته لاقتراب الفرح بعودة ابنه الغائب، إنها إذا مشاعر متناقضة تأججت في نفس يعقوب، وعكستها عبارته المتبلورة.

---

[1] يوسف/٩٤.

ب ـ حذف جملة الشرط:

إن حذف جملة الشرط في الاستعمال اللغوي استغناء بدلالة الأمر أو النهي عليها يسلط الضوء على جواب الشرط (النتيجة المرغوب بتحقيقها)، ويلائم الإغراء بسرعة تنفيذ الطلب ومثاله ما جاء في الخطابات الآتية:

﴿**وقالوا: كونوا هودا أو نصارى** (فإن تكونوا) **تهتدوا**﴾[١].

﴿**فيقول الذين ظلموا: ربنا أخرنا إلى أجل قريب** (فأن تأخرنا) **نجب دعوتك ونتبع الرسل**﴾[٢].

﴿**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني** (فإن اتبعتموني) **يحببكم الله**﴾[٣].

٣ - دلالة حذف الفعل في كلام المتحاورين:

من الدلالات التي أفادها حذف الفعل في مقولات المتحاورين:

- الإشعار باللهفة وأن الزمن يتقاصر عن ذكر الفعل، ومنه قول نبي الله صالح لقومه: ﴿**ناقة الله وسقياها**﴾[٤] أي: ذروا ناقة الله والزموا سقياها حيث دل حذف الفعلين في العبارة على لهفة القائل، ورحمته بقومه، وشدة حرصه على نجاتهم، ودل أيضا على اندفاعه السريع نحو دفع الخطيئة الموبقة لهم قبل فوات الوقت[٥].

- إبراز المذكور لأهميته في تطمين المخاطب ونزع هواجسه اتجاه المتكلم. وهذا من آداب الحوار نجده في قول الرسل الذين بعثهم الله لتبشير إبراهيم عليه السلام بغلام من صلبه: (سلاما)[٦] فقد ناب المصدر عن فعله (نسلم) في هذه التحية المطروحة من زائرين غرباء،

---

(١) البقرة/١٣٥.

(٢) ابراهيم/٤٤. ولمزيد من الأمثلة ينظر: البقرة/٦١، الزخرف/٤٩.

(٣) آل عمران/٣١.

(٤) الشمس/١٣.

(٥) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج٣، ص١٩٠.

(٦) "ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا: سلاما، قال: سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ" (هود/٦٩).

ينبغي أن توضح نوازعهم وأهدافهم للمخاطب حتى لا تذهب به الظنون كل مذهب، فكان التركيز على إبراز (السلام) ضرورة تلاشت عندها أهمية ذكر الفعل[1].

- وقد يبرز المذكورَ لا لتطمين المخاطب ونزع هواجسه بل لهز كيانه وإيقاظ مخاوفه: **﴿ويوم نحشُرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا: مكانكم أنتم وشركاؤكم﴾** والتقدير، (الزموا) مكانكم أنتم وشركاؤكم. إن حذف الفعل أبرز كلمة (مكانكم)، ولا شك في أن نطق هذه الكلمة فيه من التقريع والعنف ما فيه. ويلائم حذف الفعل التعبير عن حالة السكون والصمت وعدم الحراك، كما يستلزم بسرعة التنفيذ. ويوحي بسوء المنقلب الذي سيحل بهؤلاء المشركين الذين سكنت حركتهم الخارجية وتحركت فيهم صراعات داخلية عنفيه.

٤) حذف المفعول به:

من الدلالات و القيم التعبيرية التي أفادها حذف المفعول به في مقولات المتحاورين:

- **التفخيم لما فيه إبهام:**

ارتبطت هذه القيمة التعبيرية بسياق التهديد والوعيد، لما في الحذف من فتح لآفاق التخيل التي لا تحدها حدود التوقع، ومنه حذف المفعول به في قول هود،عليه السلام، لقومه: **﴿فانتظروا إني معكم من المنتظرين﴾**[2] أي: انتظروا عذاب الله.

وقوله تعالى: **﴿ويقولون: لولا أنزل عليه آية من ربه. فقل: إنما الغيب لله، فانتظروا إني معكم من المنتظرين﴾**[3] أي: انتظروا عذاب الله.

فقد جعل الحذف في المقولتين دليلا على ضيق الكلام عن امكانية وصف العذاب الذي سيحل بؤلئك المكذبين.

---

[1] يذكر الزمخشري في شرحة للآية الكريمة أن إبراهيم عليه السلام احتار أن يرد عليهم برفع كلمة السلام (سلام) للدلالة على ثبات السلام، كأنه قصد أن يحييهم بأحسن مما حيوه به آخذا بأدب الله وهذا أيضا من اكرامه لهم. (الزمخشري، الكشاف، ج٤، ص/(٣٩١-٣٩٢).

[2] الأعراف/٧١.

[3] يونس/٢٠.

- **التأدب بعدم تحديد المطلوب:**

وذلك بأن يترك للمتلقي حرية اختيار المفعول الذي سيعقع عليه فعل الطلب تأدبا في الطلب وإظهارا للقبولِ والتسليم المطلق بما يختار، ومنه ما جاء في قول إبراهيم داعيا ربه: ﴿**رب، هب لي من الصالحين**﴾[1]، انه يطلب من الله أن يهب له من الصالحين دون أن يحدد أو يخصص وقوع فعل الهبة على شخص معين، كأن يقول: هب لي ابنا أو أخا أو صديقا أو غلاما.

وقد يوحي هذا الحذف بالإضافة إلى التأدب والتسليم المطلق باستبعاد أن يكون هذا الصالح ابنا ينجبه إبراهيم من صلبه؛ لأنه،عليه السلام، كان كبير السن وزوجه عقيما لا تنجب. ولكن الله عليم بذات الصدور؛ يعلم حاجة إبراهيم حتى وان لم ينطق بها لسانه، ولهذا فقد وهبه غلاما من صلبه إكراما له وكرامة: ﴿**فبشرناه بغلام حليم**﴾[2]. ولعل استخدام كلمة (هب) قد وشى بطلب إبراهيم للذرية، لأنها هبة من الله.

- **تنزيه الذات من وقوع فعل الفاعل عليها:**

وهذا ما جاء في قول فرعون للملأ: ﴿**إن هذا لساحر عليم، يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره، فماذا تأمرون؟!**﴾[3] فقد أبى احساس فرعون بالعظمة والشموخ والاستعلاء أن يوقع ذاته موقع المأمور، وإن كانت حاجته إلى رأي الملأ ملحة، وهذا ما دل عليه حذف ياء المتكلم أو (نا) المتكلمين التي تعود عليه من بنية التركيب (تأمرون) التي تعني تأمروننا أو تأمرونني.

- **التحقير والسخرية والرفض:**

إن رفض أحد أطراف الحوار للطرف الآخر قد يؤول إلى محاولة إبعاد وقوع أي فعل إيجابي المردود عليه تحقيرا له وسخرية يكشف عن منبعهما السياق. ومثاله حذف المفعول الذي وقع عليه الفعل (بعث) في قوله تعالى مخاطبا رسوله صلى الله عليه وسلم:

---

(١) الصافات/١٠٠.

(٢) لصافات/١٠١.

(٣) الشعراء/(٣٤-٣٥).

﴿وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا: أهذا الذي بعث الله رسولا؟!﴾[1] أي: بعثه. حيث أن كشف حذف المفعول به رفض الاعتراف بوقوع فعل البعث على محمد صلى الله عليه وسلم سخرية به واحتقارا له منبعهما الغيرة والحقد والإحساس بالتميز الذي يدفع إلى دحض الآخر ومحاولة اخفاء أية ميزة قد يخص بها.

- **التركيز على الفعل دون الالتفات أو الإكتراث بما يقع عليه إعتمادا على إدراك المتلقي للمحذوف.** ومثاله ما جاء في المقولات الآتية:

- ﴿**ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون**﴾[2] أي: يعصرون العنب أو الزيتون. فقد كان تركيز يوسف منصبا على فعل العصر ذاته لا على ما يقع عليه.

- ﴿**إذ قال لأبيه: يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا**﴾[3] أي: لا يسمعك ولا يبصرك. فهم إبراهيم كان مسلطا على تجريد الآلهة من فعل السمع والبصر، لا على ما يقع عليه هذان الفعلان اثباتا للفرق بين هذه الآلهة والإله الذي يعبده.

- ﴿**إذ قال إبراهيم: ربي الذي يحي ويميت.**

قال: أنا أحيي وأميت﴾[4]. أي: يحيي الأموات ويميت الأحياء. فهذه المفاعيل مدركة في ذهن المخاطب، وقد يفيد غيابها حضور قائمة لا حصر لها من المفاعيل التي يمكن ادارجها تحت بند (الأحياء) وبند (الأموات).

٥) حذف الجملة بعد حروف الجواب:

يدل حذف الجملة بعد حروف الجواب التي تفيد الإيجاب على تأكيد حدوث مضمونها؛ لانه أمر حتمي لا يحتاج تأكيده إلى تكرار ذكره خاصة إذا كان المتكلم مالكا زمام الفعل؛ لإن من يملك قوة الفعل لا يحتاج إلى أن يفصل في كلامه، و مثاله:

---

(١) الفرقان/٤١.

(٢) يوسف/٤٩.

(٣) مريم/٤٢.

(٤) البقرة/٢٥٨.

- حذف جملة (ستبعثون) في الرد الذي لقنه الله لرسوله في قوله: ﴿**وقالوا: إن هذا إلا سحر مبين، أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون؟! أو آباؤنا الأولون؟! قل: نعم، وأنتم داخرون**﴾[1] أي: نعم ستبعثون. لقد أوحي حذف جملة (سبتعثون) بأن قضية البعث بعد الموت قضية حتمية لا نقاش فيها، وعزز هذه الحتمية بيان الحالة التي سيكون عليها هؤلاء الساخرين.

- ومنه حذف جملة ﴿**إن لكم أجرا**﴾ بعد حذف حرف الجواب (نعم) في رد فرعون على سؤال السحرة في الحوار الآتي:

﴿**فلما جاء السحرة قالوا لفرعون: أإن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين؟**

قال: نعم، وإنكم إذا لمن المقربين﴾[2].

وكأنه أراد بهذا الحذف أن يبين للسحرة أن استحقاقهم للإجر أمر حتمي، وقد عزز هذا الأمر بعطف التركيب الشرطي (إنكم إذا لمن المقربين) على الجملة المحذوفة؛ لتسليط الضوء على مكافأة لم يطلبها السحرة وهي جعلهم من أصحاب الحظوة والمكانة عند فرعون تشجيعا لهم.

وحذفت الجملة بعد (بلى) لتأكد القائل من حدوث الفعل الذي نفى الطرف الاخر حدوثه، ومثاله ما جاء في رد الملائكة على إنكار الكافرين في الحوار التالي:

﴿**الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم فألقوا السلم: ما كنا نعمل من سوء.**

: بلى، إن الله عليم بما كنتم تعملون﴾[3]. أي: بلى، كنتم تعملون السوء.

لقد اكتفى الملائكة بذكر كلمة (بلى) لإثبات ما أنكر دون تكرار ذكر مقولتهم بأسلوب الايجاب، لإنهم كانوا على يقين بوقوع فعل السوء منهم، فهذا أمر لا يحتاج إلى اثبات ولا يحتمل النقاش.

كما حذفت الجملة بعد حرف الجواب (كلا) في ردين، أفاد الحذف فيهما تأكيد عدم حصول الفعل الذي يؤكد الطرف الآخر وقوعه:

﴿**قال: رب، إني أخاف أن يكذبون، ويضيق صدري، ولا ينطلق لساني، فأرسل إلى هارون. ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون.**

---

[1] الصافات/(١٥-١٨).

[2] الشعراء/(٤١-٤٢.

[3] النحل/٢٨.

قال: كلا، فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون﴾[١]. أي: كلا، لن يقتلوك ولن يحصل ما تخشاه. لقد صدرت الفصل (كلا) من لدن القوة الالهية التي بيدها زمام الأمور كلها، انها كلمة لا تقبل التردد ولا أنصاف الحلول ولا تترك مجالا للشكوك. ودل غياب الجملة بعدها على انتفاء وقوع فعل القتل، وهذا أبلغ -في رأيي- من نفي وقوع الفعل نفيا صريحا.

كما حذفت الجملة بعد حرف الجواب (كلا) في مقولة موسى ردا على مخاوف أتباعه وقد لحقهم فرعون وجنوده في الحوار الآتي:

﴿فلما تراءى الجمعان، قال أصحاب موسى: إنا لمدركون.

قال: كلا، إن معي ربي سيهدين﴾[٢].أي: كلا، لن يدركوكم.

لقد حالت ثقته بالنجاة دون تكرار عبارة أتباعه الانهزامية مكتفيا بنفيها بكلمة واحدة بلور فيها رفضه، وسلط الضوء بهذا الحذف على المذكور الذي فيه ما يزرع الأمل والثقة في النفوس (إن معي ربي سيهدين) وهذه من صفات القائد الناجح.

٦) حذف الصفــــــة:

من المواضع التي حذفت فيها الصفة في مقولات المتحاورين ما جاء في قول الخضر معللا لموسى -عليه السلام- سبب خرقه للسفيه: **﴿أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر، فأردت أن أعيبها، وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا﴾**[٣]، فقد حذف صفة السفينة (صالحة) والمعنى يطلبها، فلو لم نقدر هذه الصفة، لكان ذلك يعني أخذ الملك لكل سفينة، ولما احتاج الخضر إلى خرقها (فأردت أن أعيبها) لأن تعييبها لا يخرجها عن كونها سفينة. وقد ظهرت هذه الصفة في قراءة أبي وعبد الله[٤].

وحذفت الصفة في قول أبتاع موسى له: **﴿الآن جئت بالحق﴾** [٥] أي بالحق الواضح. ولعل أهمية هذا التقدير تعود إلى دفع الشك في كون أتباع موسى كفارا بدعوته[٦].

---

(١) الشعراء/(١٢-١٥).

(٢) الشعراء/(٦١-٦٢).

(٣) الكهف/٧٩.

(٤) الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص٧١٢..

(٥) البقرة/٧١.

(٦) ابن هشام، مغني اللبيب، ص٨١٨.

كما حذفت الصفة في قول الهدهد لسليمان عليه السلام: ﴿**إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم**﴾[١]. أي: من كل شيء مرغوب فيه.

فقد سبق أن أشرنا إلى دلالة التنغيم في الموقف الكلامي على الصفة المحذوفة، فالصفة تحذف اكتفاء بتلوين صوتي يجسمه الموقف أو المقام. فالهدهد كان مندهشا ومبهورا بما رآه من ملك حاكمة سبأ، ولعل الانبهار عقد لسانه، فما رآه عجز عن وصفه والإحاطه به، وهنا تقف الكلمات عاجزة فتغيب عن الساحة تاركة مكانها للخيال ليشغله بالطريقة التي يريد.

٧) الحذف في بنية النداء:

أ) حذف أداة النداء (دلالات وقيم تعبيرية):

اطرد حذف أداة النداء عند توجيه الخطاب للذات الإلهية[٢]. وقد تقاسم نداء لفظ الجلالة دون أداة النداء فريقان متناقضان:

- الرسل والصالحين من عباد الله.
- أهل جهنم.

دل نداء الرسل والصالحين من عباد الله للذات الإلهية دون أداة على استشعارهم قرب الله منهم، وسماعه دعائهم، ورؤيته مكانهم. وقد تولد هذا الشعور نتيجة لإيمانهم، ويقينا بوجود خالق يملك زمام أمورهم، فنادوه داعين راجين قدرته، وتلاشت ياء النداء إزاء التحام الداعي بمن يدعوه، دل على هذا الإلتحام إضافة ياء المتكلم إلى لفظ الجلالة (رب) أو إضافة (نا) المتكلمين إليه (ربنا).

وقد تجسم هذا القرب حوارا مباشرا بين أولئك الصالحين وأنبياء والله عز وجل، ولهذه نعمة يمنها الله على من يشاء من عباده.

نجد في المقابل حذفا مطابقا ورد على لسان أهل جهنم ليقينهم بقدرة الله، ورؤيته إياهم، وسماعه كلامهم، ولكنه يقين متأخر لا يدفع عن صاحبه عذابا.

---

[١] النمل/٢٣.

[٢] استهل الحوار بنداء الله عز وجل دون حرف نداء (١٨) مرة؛ ١٢ مرة على لسان الانبياء والصالحين، و ٦ مرات على لسان أهل جهنم. ينظر: البقرة/١٢٤، يوسف/٨٥، المائدة/٢٥، المائدة/١١٤، الأنعام/١٢٨، الأعراف/٢٣، الأعراف/١٤٣، الأعراف/١٥٥، يونس/٨٨، هود/٤٥، ابراهيم/٤٤، النحل/٨٦، السجدة/١٢، فاطر/٣١، الصافات/١٠٠، مريم/٤.

والحوار المباشر بين الله عز وجل وأولئك الخاسرين يختلف اختلافا واضحا عن الحوار السابق مكانا وزمانا وغاية ونتيجة. وهذا يعني أن حذف ياء النداء قبل لفظ الجلالة جاء تعبيرا عن صحوة متأخرة تأمل أصحابها أن تلحقهم بالركب الناجي.

وقد يكتفي أحد أطراف الحوار في توجيه خطابه للطرف الآخر بأن يدعوه باسمه أو صفته، دون أن تتوسط أداة النداء بين المنادي والمنادى. ويعود هذا إلى طبيعة التواصل القائمة على تبادل الكلام تبادلا حيا ومباشرا تتلاشى أمامه الحاجة إلى أية وساطة، ويضاف إلى هذا لقرب المادي رغبة الداعي في خلق قرب معنوي بينه وبين المدعو.

ومن ذلك قول العزيز ليوسف عليه السلام وقد ثبتت تهمة المراودة على زوجته: **﴿يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين﴾**[1] حيث يدل حذف حرف النداء في كلام العزيز يدل على كون يوسف منادى قريبا منه يستقبل كلامه مباشرة.

ولنا أن نتخيل الطريقة التي حاور بها لعزيز يوسف؛ إنها طريقة المتودد المتلطف الذي يخشى شيوع فضيحة تمس شرفه ورجولته، فهو يسعى إلى التكتيم على الخبر ما استطاع إلى ذلك سبيلا. أخاله اقترب من يوسف حد الملامسة هامسا في أذنه: (يوسف أعرض عن هذا) فأي موقع لياء النداء سيكون هنا؟!

وقد تحذف أداة النداء لتسليط انتباه المدعو على الصفة التي يدعوه بها المنادي وذلك لإثارة مشاعره، والتأثير على تصرفاته، وتغير موقفه، ومن ذلك حذف أداة النداء في قول موسى لقوم فرعون: **﴿أن أدوا إلي عباد الله إني لكم رسول أمين﴾**[2] فقد حذف موسى أداة النداء تحببا وتلطفا، داعيا إياهم بصفة (عباد الله) لعلهم يؤدون واجب العبودية.

كما حذفت أداة النداء في قول هارون مستعطفا أخيه موسى: **﴿ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين﴾**[3]

---

(١) يوسف/٢٩.

(٢) الدخان/١٧.

(٣) الأعراف/١٥٠.

فهارون يحاول أن يرقق قلب أخيه وقد هجم عليه معنفا غاضبا مذكرا إياه بالعلاقة التي تربطهما فهما ابنان لام واحدة (ابن أم) وذكر الأم أرق وأبلغ في الحنو والعطف[١].

وقد يسأل سائل عن سبب حذف ياء النداء في آية سورة الأعراف، وظهورها في آية سورة طه[٢]. أقول: ظن موسى أن خليفته هارون قد قصر في نهي المخالفين والإنكار عليهم، فقام بحركة مادية عنيفة نحو أخيه، حيث سحبه من شعر رأسه ولحيته، وراح يجره إليه: **﴿وأخذ برأس أخيه يجره إليه﴾**[٣]، وهذا تعبير حركي يجسد لومه وتعنيفه لأخيه لأنه لم يلحق به.

وخاطب موسى أخاه لائما: **﴿يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن؟ أفعصيت أمري﴾**[٤] لقد استخدم موسى (يا) النداء حين وجه خطابه لأخيه هارون مع كونهما في مكان واحد (تقارب مكاني)، ولعل هذا يجسد حالة الغضب والأسف التي تلبست موسى وانعكست على كلامه، فقد لائم النطق بياء النداء وما فيها عن مد الصوت واطالته التعبير عن تلك الصرخة الإنفعالية المتأججة فيه.

وربما دل استخدام ياء النداء في مناداة هارون على شعور موسى بابتعاد هارون المعنوي عنه، لأنه لم يلحق به حيث رآهم عاكفين على عبادة العجل، ولم ينهرهم بقوة وعنف كافيين لردعهم.

وجاء رد هارون: **﴿يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي﴾**[٥] لقد رد على ياء موسى الغاضبة بياء يدل ظهورها على الألم، فهو يرزخ تحت قبضته إنسان غاضب منفعل تجره بعنف مسببة له ألما تند عنه آهة مكتومة بياء النداء. يضاف إلى هذا قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو والكسائي وحفص عن عاصم: (ابن أم) بفتح الميم[٦]، التي يرجع فيها حذف الألف المبدلة من ياء الإضافة (ابن أماه)[٧]. فمد الصوت يلائم التعبير عن الألم.

---

[١] ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج٣، ص١٥٩.

[٢] " يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي اني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل و لم ترقب قولي" (طه/٩٤).

[٣] الأعراف/١٥٠.

[٤] طه/(٩٢-٩٣).

[٥] طه/٩٤.

[٦] أبو حيان، البحر المحيط، ج٤، ص٣٩٦.

[٧] الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج١٥، ص٢١.

لقد قال هارون هذه العبارة وأخاله اقترب من موسى هامسا في أذنه مكررا دعوته ، بـ(ابن أم) ليخفف من غضبه وتوتره، وليؤكد طاعته له: (ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين)، لقد قال هذا الكلام لموسى هامسا، يؤكد هذا مضمون الرسالة الذي حملته مفردات توحي بالسرية والبوح الخاص (استضعفوني، كادوا يقتلونني، لا تشمت بي الأعداء، لا تجعلني مع القوم الظالمين)، انه كلام خاص يبوح به الأخ لأخيه شاكيا من حوله، طالبا نصرته. وهذا، في رأيي، يبرر حذف ياء النداء في آية سورة الأعراف.

ب) حذف أداة النداء والمنادى:

وقد تحذف أداة النداء والمنادى لمفاجأة المتلقي بحضور المنادى، ومنه دعوة إمرأة العزيز يوسف إلى المجلس الذي اجتمت فيه النساء بفعل الأمر ﴿**أخرج عليهن**﴾(١) دون أن تناديه (يا يوسف) لأنها تريد أن تفاجئهن بطلعته البهية التي لا يحيط بها وصف، وربما أدى ذكر اسم المنادى إلى تخفيف وقع المفاجأة على المتلقي.

ويتحقق الذهول وتسيطر المفاجأة على الموقف ﴿**فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن: حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم**﴾(٢).

ويحذف أسلوب النداء لوجود قرينة لفظية تدل عليه كأن يستهل الحوار بين الأطراف بالفعل نادى أو دعا: ﴿**ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا: ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون**﴾(٣) فقد أغنى الفعل (نادى) عن ذكر أداة النداء والمنادى (يا هؤلاء أو يا أهل النار أو يا فلان).

ج) حذف المنادى:

حذف المنادى في قراءة ﴿**ألا يسجدوا**﴾(٤) وتقديره: ألا يا هؤلاء اسجدوا وقد يعلل الحذف في هذه القراءة باهتمام الهدهد بفعل (السجود) وحثه عليه، وربما تطلع إلى الجهة التي يقطن فيها المنادى فدل تطلعه على هوية من يناديه.

(١) يوسف/٣١.

(٢) الآية السابقة.

(٣) الأعراف/٤٨.

(٤) الزمخشري، الكشاف، ج٣، ص٣٥٠. النمل/٢٥.

د) الترخيم:

بتر الحرف الأخير من المنادى في قراءة ﴿**يا مال ليقض علينا ربك**﴾[١] أي: يا مـالك. قيل لابن عباس: إن ابن مسعود قرأ: ونادوا يا مال، فقال: ما أشغل أهل النار عن الترخيم[٢].

وأرى أن الترخيم حسن في هذه القراءة؛ لأنه جاء محاكيا لحالة الضعـف والألـم التـي تحول دون قدرة المعذبين على إتمام نطق الاسم، فاقتطعوا بعض الاسم لضعفهم وعظم مـا هـم فيه لا تحببا لمالك كما فهم ابن عباس. وتوصلنا هذه القراءة القرآنية إلى الحديث عـن صـورة من صور الحذف هي حذف الحروف.

٩) حذف حرف من حروف الكلمة:

- حذف النون الأصلية الساكنة من مضارع (كان) يعكس ألم شخصيته مقهورة، مثالـه حـذف نون (أكن) في قول مريم ﴿**ولم أك بغيا**﴾[٣] وهذا موضع ثان يظهر فيه الحذف في محـاورة سيدتنا مريم للرجل الغريب الذي بشرها بأنها ستلد غلاما*. لقد صعق كلام هـذا الغريـب الفتاة الطاهرة العفيفة، فانتفضت غاضبة مدافعة عن شرفها الذي لم يمـس، نافيـة امكانيـة مجيء هذا الغلام وهي لم تتزوج بعد ولم يمسها رجل غريب، وانعكست هذه المشاعر علـى كلامها، فجاء الحذف دليلا يجسم الغضب والتوتـر والخـوف والرفـض أو غيرهـا مـن الأحاسيس التي تحول دون القدرة على اتمام نطق حروف الكلمـة. ومثالـه أيضـا قـول أصحـاب النـار متـألمين متحسـرين: ﴿**قالوا: لم نـك مـن المصلـين ولم نـك نطعم المسكين**﴾[٤].

---

[١] وهي قراءة ابن مسعود، ينظر الزمخشري، الكشاف، ج٤، ص٢٥٧. الزخرف/٧٧.

[٢] المصدر السابق، ج٤، ص٢٥٧.

[٣] : (قالت : أنى يكون لي غلام و لم يمسسني بشر و لم أك بغيا) مريم/٢٠.

* الموضع الأول ظهر في قولها: (إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا) مريم/١٨.

[٤] المدثر/(٤٣-٤٤).

- لطيفة قرآنية في (تستطع) [١] و(تسطع) [٢]

وعد الخضر موسى عليه السلام بأن يؤول أفعاله الثلاثة التي أثارت ثائرتـه، ولمـا أول تلك الأفعال حذف التاء الثانية من الفعـل (تسـتطع) فقـال: ﴿**ذلك تأويل مالم تستطع عليه صبرا**﴾. فلم أثبتت التاء في الفعل الأول وحذفت في الثاني؟ ان اثبات التاء فـي الفعـل الأول يناسب التعبير عن حالة الضغط النفسي والضيق التي عاناها سيدنا موسى حين شـاهد الأفعـال الثلاثة العجيبة التي عجز عن تفسيرها وتعليلها، فضاق صدره ونفذ صبره، فزيادة التاء في بنيـة الفعل تؤدي إلى تثقيله، وهذا التثقيل يتناسب والثقل النفسي الذي كان يسيطر على سيدنا موسـى، وقد أدرك الخضر -عليه السلام- ذلك، فلما أول أفعاله أخذت الحقائق تتكشف عن حكمة ورحمـة وعبرة تبرر ما فعله. فتزيل الثقل عن صدر موسى وأعصابه، فجاء الفعل خفيفا من ثقل التـاء عاكسا التخفيف الذي جد على مشاعر موسى.

وهكذا نجد أن الحذف ظاهرة أسلوبية في لغة الحوار القرآني تدعونا للابحار في أعمـاق المتكلم والمخاطب والظروف المصاحبة للموقف الكلامي الظاهرة منها والكامنة. فاللغـة التـي تدور مشافهة بين الأطراف المتحاورة تشكل بيئة خصبـة للحـذف عندمـا تعضدهـا القرائـن المصاحبة لفظية كانت او حالية، فيصبح الكلام إشارات موجزة ذكية ما تنقله من معـان أكـبر بكثير من حجم الألفاظ.

إنه لحظة من لحظات الصمت في الحوار، والصمت لون مـن ألـوان الكـلام، فليـس السكوت بكما، ولكنه تجسيم لحالة من حالات النفس التي تفوق حدود الكلمة، ففي النفس أشياء قـد يعجز الأسلوب التام عن بيانها.

وقد اختيرت لحظات الصمت بدقة في الحوارات القرآنية، وعبرت تعبيرا واضحا عمـا يدور في داخل المرسل، وما يسعى لإيصاله المتلقي.

[١] اشارة إلى قوله تعالى : (سأنبئك بتأويل ملم تستطع عليه صبرا). الكهف/٧٨.

[٢] اشارة إلى قوله تعالى : (وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ملم تسـطع عليه صـبرا). الكهف/٨٢.

الإلتفات

يدور لفظ الإلتفات في اللغة حول معاني الصرف والتحول من جهة إلى أخرى، يقال: لفت وجهه عن القوم: صرفه، واللفت: لي الشيء عن جهته، ولفت فلانا عن رأيه: صرفته عنه. ومنه الالتفات[(١)].

ولا يختلف مفهومه في الإصطلاح كثيرا عن ذلك المعنى اللغوي؛ فقد اجمع جمهور البلاغيين على أن الالتفات يعني الإنتقال أو التحول من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر، مع وحدة السياق بين الملتفت عنه والملتفت إليه؛ أي أن الشرط اللازم لتحقق الالتفات أن يكون المسند إليه في الحالين واحدا، وأن يكون التعبير الثاني معدولا به عن ظاهر الكلام[(٢)].

وبرزت هذه السمة الأسلوبية في عدد من الخطابات الحوارية في القرآن الكريم مكسبة التعبير دلالات وإيماءات خاصة تشابكت فجأة مع الدلالة الأصلية فأضفت على التعبير عمقا ونبضا وحيوية تكسر نمطية الأداء لتحقيق فائدة لا تحد بتطرية نشاط السامع وإيقاظه للإصغاء فقط، وانما تتنوع وتتشعب متسعصية على التحديد والضبط.

يقول ابن الأثير: "والذي عندي في ذلك أن الانتقال من الخطاب إلى الغيبة، أو من الغيبة إلى الخطاب لا يكون إلا لفائدة اقتضتهن وتلك الفائدة أمر وراء الانتقال من أسلوب إلى أسلوب، غير أنها لا تحد بحد، ولكن يشار إلى مواضع منها، ليقاس عليها غيرها"[(٣)].

ويقول السيوطي:"وللإلتفات فوائد منها: تطرية الكلام، وصيانة السمع عن الضجر والملال؛ لما جبلت عليه النفوس من حب التنقلات، والسلامة من الاستمرار على منوال واحد، هذه هي فائدته العام. ويختص كل موضع بنكت ولطائف باختلاف محله"[(٤)].

فالالتفات مخالفة سياقية تكسر توقع المتلقي فتستفز انتباهه واهتمامه، للدلالة الكامنة وراء هذا العدول، مجسمة السلوك الحيوي للنص الحواري.

---

(١): ابن منظور، اللسان، مادة (لفت).

(٢): ينظر: ابن الأثير، المثل السائر، ج٢، ص١٧٠؛ والسكاكي، مفتاح العلوم، ص٨٦؛ والخطيب القزويني، الايضاح، ص٢٥٢.

(٣): ابن الأثير، المثل السائر، ج٢، ص١٧٠.

(٤): السيطوطي، الاتقان، ص١٠٩.

الالتفات في الحوار القرآني: نماذج ودلالات:

١. **التحول عن خطاب الواحد إلى خطاب الاثنين:**

وجاء هذا التحول في قول فرعون و ملأيه لموسى وهارون: **﴿أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض وما نحن لكما بمؤمنين﴾**[(1)]. فقد توجه الخطاب إلى موسى أولا (جئتنا) ثم تحول الخطاب إلى صيغة المثنى (لكما)، وذلك لان موسى أصل الرسالة وهارون وزيره، فتوجه الخطاب إلى موسى أولا ثم تحول إليه مع هارون.

٢. **التحول عن خطاب الاثنين إلى خطاب الواحد، كقول فرعون:**

﴿فمن ربكما يا موسى؟!﴾[(2)] حيث توجه الخطاب إلى موسى وهارون أولا (ربكما) ثم تحول إلى الخطاب المفرد (يا موسى) ويشي هذا التحول بعدة دلالات:

- تخصيص موسى بالخطاب، لأنه الأصل في النبوة، وهارون وزيره أو تابعه.
- رغبة فرعون في السخرية من موسى باستنطاقه دون أخيه لما عرف من فصاحة هارون والرتة في لسان موسى.
- ملاحقة موسى بالخطاب زيادة في لومه والإنكار عليه وتوبيخه، وفيها تنبيه له وتذكير بطبيعة العلاقة بينهما، فقد تربى موسى في قصر فرعون، الذي أولاه عناية واهتماما يستوجبان من موسى الولاء لفرعون وتأليهه وعدم الوقوف ضده أو تحديه.

٣. **التحول عن خطاب الاثنين إلى خطاب الجمع، ومن الجمع إلى المفرد،**

ومثله ما جاء في قوله تعالى: **﴿وأوصينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا، واجعلوا بيوتكم قبلة، وأقيموا الصلاة، وبشر المؤمنين﴾**[(3)] إذ حدث تحول عن خطاب الاثنين (تبوءا) إلى خطاب الجمع (اجعلوا)، ثم حدث تحول عن خطاب الجمع (أقيموا) إلى خطاب المفرد (بشر).

---

(1) يونس/٧٨.

(2) طه/٤٩.

(3) يونس/٨٧.

ومغزى هذه التحولات يعود إلى طبيعة الأفعال التي أمر الله مخاطبه بتنفيذها؛ فقد خاطب موسى وهارون أن تبوءا لقومهما بيوتا، ويختارها للعبادة، وذلك مما يفوض إلى الأنبياء. ثم سيق الخطاب عاما لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلاة فيها، لان ذلك واجب على الجمهور، ثم خص الله موسى،عليه السلام، بالبشارة تعظيما لها وللمبشر بها[1].

٤. **التحول عن خطاب المفرد إلى خطاب الجمع، كقول الملأ الذين كفروا من قوم نوح:**

ومثاله ما جاء في قول نوح: ﴿**ما نراك إلا بشرا مثلنا، وما نراك اتبعك إلا الذين أراذلنا بادي الرأي، وما نرى لكم علينا من فضل، بل نظنكم كاذبين**﴾[2] فقد تحولوا من خطاب المفرد (ما نراك) إلى خطاب الجمع (ما نرى لكم) ليشمل خطابهم الهجومي الساخط المتبوع والأتباع.

٥. **التحول عن خطاب المفرد إلى خطاب الجمع، ومن خطاب الجمع، إلى المفرد،:**

جاء هذا في الخطاب الذي وجهه موسى إلى فرعون: ﴿**وقال موسى: يا فرعون، إني رسول من رب العالمين، حقيق علي أن لا أقول على الله إلا الحق، قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل**﴾[3]. فقد بدأ، عليه السلام، بتوجيه خطابه إلى فرعون (يا فرعون) لأنه الحاكم والقائد الذي إن آمن آمنت رعيته، وهذا ما دعاه الله إليه: ﴿**اذهبا إلى فرعون إنه طغى، فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى... فأتياه فقولا: إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل**﴾[4]

ثم تحول عن خطاب فرعون إلى خطاب الجمع (فرعون والملأ): ﴿**قد جئتكم ببينة من ربكم**﴾؛ لأن المعجزة لا تختص بفرعون فقط، وإنما هي موجهة إلى كل أتباعه ورعيته. ثم يعود فيتحول من خطاب الجمع (جئتكم) إلى خطاب المفرد (فأرسل) لأن إرسال بني إسرائيل أمر يتعلق بفرعون دون الملأ.

---

(١) الزمخشري، الكشاف، (ج٢، ص٣٥١).

(٢) هود/٢٧.

(٣) الأعراف/(١٠٤-١٠٥).

(٤) طه/(٤٣-٤٧).

٦. **التعبير عن المثنى بالمفرد، كقوله تعالى لموسى وهارون:**

ومثاله ما جاء في قوله تعالى: **﴿فأتيا فرعون فقولا: إنا رسول رب العالمين﴾** حيث عبر عن موسى وهارون، عليهما السلام، (وهما مثنى) بالمفرد في (رسول).

ويشي هذا التعبير غير المتوقع بعدة دلالات:

- وحدة الرسالة التي كلف هارون وموسى بتبليغها إلى فرعون جعلت منهما رسولا واحدا.
- كان هارون لسان موسى لتميزه عنه بقوة الإفصاح والحجة، فجعل الله منهما كيانا واحدا تتجاوب أعضاؤه في توصيل الخطاب الإلهي إلى فرعون والملأ.

٧. **الانتقال من الغيبة للخطاب:**

وبرز هذا التحول في سياقات التوبيخ والإنكار خاصة، لما يوجده من مواجهة المتلقي وملاحقته والإقبال عليه باللوم والتقريع والانكار، وهذا مالا يحققه لفظ الغيبة، فالعدول بالخطاب يهز السامع ويستفز مشاعره وينبهه افضل تنبيه، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى : **﴿إنهم كانوا إذا قيل لهم: لا اله إلا الله مستكبرون، ويقولون: أإنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون، بل جاء بالحق وصدق المرسلين، إنكم لذائقو العذاب الأليم، وما تجزون إلا ما كنتم تعلمون﴾**[١] فقد تحول الخطاب من الأخبار عن الكافرين بضمير الغائب (انهم كانوا) إلى مواجهتهم بضمير المخاطب (إنكم لذائقو العذاب).

وقوله تعالى حكاية عن الهدهد: **﴿وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون. ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون﴾**[٢] انه يتحول في خطابه من الغيبة (ألا يسجدوا لله) إلى المخاطب (ما تخفون وما تعلنون) ولهذا التحول احتمالات منها:

استحضار الهدهد المتلقي الغائب الذي يتحدث عنه مظهرا رغبته في إيصال دعوة التوحيد إليه. وقد يكون تحول إلى المتلقي الحاضر المتمثل في سليمان ورعيته لكون خطابه يتناول موضوعا يشمل جميع الخلق دون اختصاص أو استثناء.

---

(١) الصافات/(٣٥-٣٩).

(٢) النمل/(٢٤-٢٥).

وقد يكون التحول يعني اختفاء صوت الهدهد وظهور صوت الراوي العليم الذي ينقل كلام الشخوص نقلا تاما وكاملا بلسانها تارة، أو ينقلها نقلا جزئيا خالطا الصوتين في بوتقة واحدة.

وتوجه قراءة الفعل (ألا يتقون) بالتاء[١] من قول الله تعالى: ﴿**وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين قوم فرعون ألا يتقون؟!**﴾[٢] على طريقة الالتفات إليهم ومواجهتهم بالإنكار والغضب عليهم.

يقول الزمخشري: " فإن قلت: فما فائدة هذا الالتفات والخطاب مع موسى، عليه السلام، في وقت المناجاة والملتفت إليهم غيب لا يشعرون؟! قلت: إجراء ذلك في تكليم المرسل إليهم في معنى إجرائه بحضرتهم والقائه إلى مسامعهم؛ لأنه مبلغه ومنهيه وناشره بين الناس، وله فيه لطف وحث على زيادة التقوى، وكم من آية أنزلت في شأن الكافرين وفيها أوفر نصيب للمؤمنين تدبرا لها واعتبارا بموردها"[٣].

٨. **الانتقال من الخطاب إلى المتكلم إلى الخطاب إلى الغيبية:**

ومثاله ما جاء في قوله تعالى لأيوب عليه السلام: ﴿**اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب، ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب. وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث، إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب**﴾ يؤكد هذا حضور الراوي العليم، وتسييره للخطاب، وتنويعه لطرق الأداء، وتوجيه خطابه لكل الناس. فقد بدأ بنقل خطابه الذي وجهه إلى أيوب نقلا حيا مباشرا مستخدما ضمير المخاطب الذي يستلزم تنفيذا فعليا (اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب)، ثم تحول في خطابه إلى ضمير المتكلم: (ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب)، وناسب هذا التحول الحديث عن الهبة والرحمة التي يمنحها الله دون أي تدخل من الخلق، فهي شيء يختص به الله وحده. ثم عاد إلى ضمير المخاطب مكملا نقل خطابه مع أيوب عليه السلام، وكأن الالتفات صلة وصل تكشف الستار من جديد عن خطاب غيبة الإلتفات: (وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث).

---

[١] قرأها عبد الله بن مسلم وشقيق بن سلمة وأبو قلابة، ينظر أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج٧، ص٧.

[٢] الشعراء/(١٠-١١).

[٣] الزمخشري، الكشاف، ج٣، ص٢٩٣. وأبو حيان، البحر المحيط، ج٧، ص٧.

ويحدث التفات جديد يستخدم فيه ضمير الغائب الذي يناسب المدح والثناء؛ فضمير الغائب يحقق أخبار الناس بأمر أيوب (إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب) [١].

٩. **الانتقال من الخطاب إلى التكلم:**

وأتى هذا التحول الأسلوبي في موضع النصح والإرشاد، ومنه قول رجل مؤمن من قوم فرعون يكتم إيمانه: **﴿يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا؟!﴾**[٢] إنه يتحول في خطابه من ضمير المخاطب (لكم الملك) إلى ضمير المتكلم (فمن ينصرنا)، وناسب هذا التحول التعبير عن وحدة المصير الذي سيحيق بهم إن لم يستجيبوا لدعوة موسى مظهرا ولاءه لقومه، والتصاقه بهم، وحرصه على مصلحتهم، فهو يدرج نفسه مع المجموع متحولا عن أسلوب التجريد والتنصل الذي يوحي به أسلوب الخطاب.

١٠. **الانتقال من التكلم إلى الخطاب:**

ومنه قول رجل مؤمن لقومه الكافرين: **﴿ومالي لا أعبد الذي فطرني واليه ترجعون﴾**[٣] فقد صرف الكلام عن خطاب نفسه إلى خطابهم، وذلك أبلغ في النصح والإرشاد، حيث لا يريد لهم إلا ما يريد لنفسه، فاختار: (ومالي لا أعبد الذي فطرني) مكان: (وما لكم لا تعبدون الذي فطركم؟) ثم عاد إلى توجيه الخطاب لهم مباشرة (واليه ترجعون) بعد أن مهد لذلك بتوجيه اللوم والإنكار على نفسه أولا.

١١. **الانتقال من زمن الحضور في (المضارع) إلى زمن الآتي في (الأمر):**

وعلى هذا قول هود، عليه السلام، لقومه: **﴿إني اشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون﴾**[٤] حيث تمت المخالفة بين الفعلين (أشهد) (واشهدوا)، لان السياق الأصلي يقتضي توافقا زمنيا بين الفعلين: (أشهد وأشهدكم)، ولعل هذا يعلل بكون صيغة الخبر لا تحتمل سوى الاخبار بوقوع الإشهاد منه فلما كان اشهاده لله واقعا محققا عبر عنه بصيغة الخبر، لانه إشهاد صحيح ثابت، وعبر في جانبهم بصيغة الأمر التي تتضمن الاستهانة بدينهم وقلة المبالاة به، وهو المراد في هذا المقام معهم.

---

(١) : ص/(٤٢-٤٤).

(٢) : غافر/٢٩.

(٣) : يس/٢٢.

(٤) : هود/٤٥.

ويحتمل أن يكون إشهاده لهم حقيقة، والغرض اقامة الحجة عليهم، وانما عدل إلى صيغة الأمر عن صيغة الخبر؛ للتمييز بين خطابه لله تعالى وخطابه لهم بأن يعبر عن خطاب الله بصيغة الخبر التي هي أجل وأوقر للمخاطب من صيغة الأمر[1].

١٢. الالتفات في السرد الحواري:

حيث ينقل الله - عز وجل- كلام الشخوص بأصواتها، ثم يختفي صوت تلك الشخوص فجأة، ويطل صوته -عز وجل- مندمجا بالصوت الذي نقله ببراعة تدهش المتلقي لما فيها من مخالفة سياقية تخرج عن حدود توقعه للسلوك الأدائي، وذلك في عدد من المشاهد الحوارية نذكر منها، ما جاء في الحوار التالي الذي دار بين موسى وقومه:

﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهمم قالوا: يا موسى، اجعل لنا إلها كما لهم آلهة. قال: إنكم قوم تجهلون، ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون. قال: أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين. وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومنكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾[2].

حيث ظهر صوت الله بضمير المتكلم (أنجيناكم) وقد التحم بخطاب حكاه بصوت موسى -عليه السلام- تكريما له، وإقرار بكلامه، وإظهارا للنعمة، وإثباتا .

كما يجسم هذا الوصل الخطابي بين كلام الله وما يحكيه من كلام رسوله التزام رسل الله بتبليغ أوامره، واظهار نعمه، وتحذير عصاته، ومراقبة الله لهذا التبليغ واطلاعه على الحوار الدائر بين رسله وأقوامهم.

ونجد مثل هذه اللفتة الانتقالية في الحوار التالي الذي دار بين فرعون وموسى:

﴿قال: فما بال القرون الأولى؟! قال: علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى. الذي جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى. كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولي النهى، منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾[3].

---

[1] الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص٣٨٨.

[2] الأعراف/(١٣٨-١٤١).

[3] طه/(٥١-٥٥).

ففي المقولة السابقة تمت الانتقالة من ضمير الغائب (وأنزل من السماء ماء) إلى ضمير المتكلم (فأخرجنا به)، وتعدينا هذه الالتفاتة إلى التفاته سابقة وصلت خطابه، عز وجل- لموسى بخطاب موسى لفرعون فجأة : **﴿فأتياه فقولا: إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى، إنا قد أوحي إلينا ان العذاب على من كذب وتولى. قال: فمن ربكما يا موسى؟﴾**[1]

إن حواره -عز وجل- مع موسى ينتقل فجأة إلى فرعون، حيث نجده يرد على موسى وهارون اللذين حملا إليه خطاب الله بحرفيته دون تغيير أو تبديل، وجسمت الإلتفاتة هذا النقل الحرفي الذي لا يستلزم تكرار الحضور في النص، فهما يتحدثان بصوت الله الذي بدا محيطاً بالحدث الحواري مسيراً له ومحركاً.

واخترق الصوت الإلهي خطاب الملائكة للظالمين في قوله تعالى: **﴿ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم: أخرجوا أنفسكم، اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة، وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم، وما نرى معكم شعفاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء، لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون﴾**[2]. وتحقق هذه اللفتة الصوتية بعدا انفعاليا في نفس المخاطب، فتوجيه التقريع والإنكار والاستهزاء بصوت الله - عز وجل- أشد وقعا على الظالمين.

وهكذا فقد برز التفات في النص الحواري القرآني بوصفه سمة أسلوبية تزخر بتنويعات وتلوينات شتى. انه حركة نابضة في جسد النص ثرية الأبعاد متعددة الوجود والتبديات.

وقبل أن ننهي حديثنا عن الالتفات نتطرق لبيان فائدة حذف فعل القول في بيان تحول المتكلم بحديثه من مخاطب إلى آخر، وكيف أعطى الحوار هذه الدلالة بذاته دون الحاجة إلى قطعة أو اعتراضه، بالتنبيه على التفات المتكلم من هذا المخاطب وتوجهه بمقولته إلى آخر.

---

[1] طه/(٤٧-٤٩).

[2] الأنعام/(٩٣-٩٤).

ومثاله ما جاء في قوله تعالى على لسان العزيز وهو يخاطب امرأته ويوسف منقلاً مقولته بينهما: ﴿**انه من كيدكن إن كيدكن عظيم، يوسف أعرض عن هذا، واستغفري لذنبك، إنك كنت من الخاطئين**﴾[(١)]. لقد حقق حذف فعل القول حضوراً لمشهد المتكلم وهو يتلفت بين المخاطبين تلفتاً سريعاً يوحي بسرية المقولة وحرص العزيز على الإمساك بزمام الخبر مخافة أن يشيع وتتناقله الألسنة.

وما جاء في قوله على لسان سحرة فرعون: ﴿**قالوا: إنا إلى ربنا منقلبون، وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لمّا جاءتنا، ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين**﴾[(٢)]. حيث تحول السحرة بحديثهم من فرعون إلى الله عز وجل، دون أن يعترض هذا التحول لفظ القول، وأفاد التحول استشعار السحرة بقرب الله منهم وحضوره لموقفهم، ورغبتهم في مماحكة فرعون وتحديه بتوجيه مقولتهم إلى الله وما يعنيه هذا التوجه من تأكيد لإيمانهم وإعلانه أمام فرعون.

وما جاء في قوله تعالى: ﴿**وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة: أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون. يوسف أيها الصديق، أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف، وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات، لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون**﴾[(٣)]. حيث دلت مقولة السجين الناجي على تحول المتكلم بحديثه من المخاطبين المتمثلين في الملك وحاشيته إلى يوسف عليه السلام، وعلى انتقاله من مكان إلى مكان؛ من قصر الملك إلى السجن دون اعتراض بالسرد الموضح أو المفصل، فقد حقق الالتفات في الحوار الانتقال والتحول دالاً على حذف وطي التفصيلات بين جزئي المقولة.

ويوحي هذا الإلتفات بلهفة المتكلم على الوصول إلى يوسف –عليه السلام- للحصول على تأويل لرؤية الملك، فكأنه قد قفز أو طار إلى سجن يوسف، فإذا به بين يديه يقص عليه الرؤيا.

---

(١) يوسف/(٢٨-٢٩).

(٢) الأعراف/(١٢٥-١٢٦).

(٣) يوسف/(٤٥-٤٦).

وقوله: **﴿وجاء من أقصا المدينة رجل يسعى قال: يا قوم، اتبعوا المرسلين، اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون، ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون؟! أأتخذ من دونه آلهة؟! إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون. إني إذا لفي ضلال مبين. إني آمنت بربكم فاسمعون. قيل: ادخل الجنة. قال: يا ليت قومي يعلمون، بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين﴾**[١]. لقد حوت مقولة الرجل المؤمن ثلاثة التفاتات؛ الإلتفات الأول تمثل في تحوله من المخاطب إلى المتكلم (اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون. ومالي لا أعبد الذي فطرني) ثم التفت إلى المخاطب مرة أخرى (واليه ترجعون).

والالتفات الثاني تمثل في تحوله من مخاطب إلى مخاطب، فقد تحول من مخاطبه قومه إلى مخاطبة رسل الله دون التمهيد لهذا التحول بفعل القول تقوية لروح العرض بترك الحوار يتصاعد بانفعالات المتكلم وصولا إلى الذروة: (إني آمنت بربكم فاسمعون).

وجاء الالتفات الثالث وفيه تحققت قفزة طوت الزمان والمكان، فإذا بالرجل المؤمن في عالم الغيب وقد دخل الجنة: (قيل: ادخل الجنة. قال: يا ليت قومي يعلمون) لقد أوحى ظهور فعل القول (قيل) بأحداث حذفت، فالرجل قد قتل ودفن وبعث وأدخل الجنة وشاهد نعيمها، كل هذا دلت عليه لفظة (قيل) تاركة ساحة العرض للحوار.

وهذا يعني أن المخالفة السطحية المتمثلة في الانتقال والتحول الظاهرين في المقولة الحوارية يعاد تنظيمها وتعليلها بالنظر في المستوى العميق، وايجاد توافق بين المنتقل عنه والمنتقل اليه، ومثل فعل القول المنبه الدال على تعدد السياق وبالتالي يزيل المخالفة السطحية، ومن ثم تتساوى بنية السطح مع بنية العمق.

ويفيد تكرار فعل القول في الخطاب الصادر من متكلم لا يقطعه كلام غيره أو سرد انتقال المتكلم من مخاطب إلى آخر كما يفيد التحول من حال إلى حال. فمن الأول ما جاء في قوله تعالى: **﴿فلما جاء سليمان قال: أتمدونن بمال فما آتاني اله خير مما آتاكم، بل أنتم بهديتكم تفرحون. ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها، ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون. قال: يا أيها الملأ، أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين﴾**[٢]. فالكلام قبل

---

[١] يس/(٢٠-٢٧).

[٢] النمل/(٣٦-٣٨).

القول الثاني موجه إلى رسول ملكة سبأ، ويتضمن أمرا له بالرجوع إلى سبأ؛ أي الخروج من المشهد، والكلام بعد القول الثاني لا يصح أن يقال في حضوره لاحتوائه على تدبير خطة ضد مليكته، فلو سمع هذا التدبير لبطل. فالإتيان بلفظ القول (قال) أفاد التحول بالكلام إلى مخاطب بعد انصراف المخاطب الأول. وهذا يعني وجود محذوف سرد يحوي مغادرة رسول ملكة سبأ، وانعقاد مجلس ضم سليمان والملأ. وقد وقع هذا المحذوف بين طرفي القول.

ومن الثاني تكرار لفظ القول بين جزئي خطاب ملكة سبأ لحاشيتها: ﴿**قالت: يا أيها الملأ، إني ألقي إلي كتاب كريم، إنه من سليمان، وإنه بسم الله الرحمن الرحيم. ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين. قالت: يا أيها الملأ، أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون**﴾ [1].

إن تكرار لفظ القول مع إمكان حذفه واتصال الكلام واتساقه، دليل على تحول كلام الملكة من تلاوة رسالة سليمان إلى خطاب حاشيتها. ولعله دليل على المحذوف من كلام الحاشية، التي ربما ثارت على تهديد سليمان وتحديه وتعالت أصواتها في مجلس الملكة، فسكتت الملكة منتظرة انتهاء هذه الزوبعة. وتصمت الحاشية فتكمل الملكة حديثها.

وهكذا فقد أفاد تكرار لفظ القول تحولا من حالة في الخطاب إلى حالة أخرى، كما دل على أن وراءه محذوفا من المشهد يكمن وراء التحول.

[1] النمل/(٢٩-٣٢).

الخاتـــمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وبعد:

فقد تناولت هذه الدراسة تلاحم الشكل والمضمون في زوايا من بناء لغة الحوار القرآنـي تنـاولاً أسلوبياً واقفة على أكثر البنى التركيبيّة حضوراً في النصوص الحوارية، ومبرزة آثاراً من آثـار التواصل الحواري على الصياغة اللغوية للمقولة الحوارية.

وخلصت إلى مجموع من النتائج أهمها:

- الحوار القرآني تحوّل من تحولات الخطاب الإلهي في النص القرآني تتمثل فاعليته في علـة اختياره والأدوار التي يؤديها.
- حصل القسم المكي من القرآن على نصيب الأسد من الحوارات القرآنيـة لضخامـة حجـم القرآن المكي مقارنة بنظيره المدني، ولارتباط الحوار بالقصص القرآني أثرت على مكونـات المقولة الحوارية وخصائصها.
- شمل الحوار القرآني موضوعات القرآن على تنوعها، وأبدت الحوارات القرآنية التي تـدور في فلك مضموني متقارب تقارباً أسلوبياً، فمضامين الحوار أثرت علـى مكونـات المقولـة الحوارية وخصائصها.
- تنازعت المقولات الحوارية أطراف متعددة تنوعت في جنسها وعددها وصفاتـها مثبـة أن باب الحوار مفتوح للجميع، وأن التفاعل مع الآخر - أيّا كان نوعه - غاية في ذاتها.
- حوارات الأنبياء مع أقوامهم أكثر الحوارات القرآنية حضوراً وتكراراً، اجتمع جلها في حـيز مخصوص من بنى عدة سور، ورتب بتناسق وتسلسل يعكسان وحدة دعوة الأنبياء وسـيرهم في درب واحد.
- فتح الصوت الجمعي الذي حمل مقولات حوارات عديدة الباب لاحتمـال صـدور المقولـة الحوارية ذاتها في قوالب تركيبية متعددة، وهذا ما وضحـه التوجيـه البلاغـي للقـراءات القرآنية.

- أكثر أشكال التواصل الحواري حضوراً في القرآن الكريم: الحوار الثنائي (الخارجي)، الحواري الداخلي (المنولوج)، الحوار التقيني، المناجاة (الدعاء)، الحوار بالإشارة.

- حقق الحوار أدوراً هامة في النص القرآني عامة والقسة القرآنية خاصة منها: بعث الحياة والحركة في الحدث، كشف الصراع وتأجيجه، ترجمة الشخصية بانفعالاتها المختلفة، تحقيق الحضور.

- البنى التركيبية الأكثر حضوراً في الحوارات القرآنية هي: الأمر، السؤال، النداء، النهي. ويبين الوقوف على فاعلية هذه البنى في انتاج الدلالة عله اختيارها وقيمتها الاسلوبية التأثيرية الموجهة إلى التركيب من المرسل أو الناتجة عن التركيب في المتلقي.

- تؤكد الانحرافات الخارجية في بنى التراكيب القارة في لغة الحوار القرآني انحرافات ذات عمق جوهري يتمثل في التجدد الدائم لدلالات التراكيب في سياقات الموقف الحواري المختلفة.

- تختلف الدلالات التي يحويها التركيب ذاته باختلاف المخاطب؛ فالدلالة التي يحويها التركيب الموجه إلى طرف ما قد تحول إلى دلالة أخرى حين يوجه التركيب ذاته إلى طرف آخر.

- أبرز السؤال حضورة الأكبر في إنتاج دلالات النص وتقديم حيثيات المضامين الحوارية، وتنوع وجوده الفعلي في النصوص. وقد أثبت رد الطرف المسؤول على سائله بسؤال في عدد من المشاهد الحوارية التي تحوي صراعاً متأججاً بين الطرفين فاعلية السؤال في تجسيم انفعالات الأطراف المتحاورة أكثر الدلالات تقولباً في أسئلة الحوار القرآني دلالة الإنكار ودلالة التقرير، وقد انضوت تحت مظلتهما دلالات عديدة، وللأسئلة التي حوتها طابعها التشكيلي الخاص.

- الحدف والتقديم والتأخير من الظواهر الأسلوبية القارة في بنية السؤالن وقد تضافرت مع البعد الانفعالي الكامن فيه جاعلة منه طاقة فاعلة في إبداع الدلالات والتأثير في نفس المخاطب.

- جاءت الإجابة على لسان المسؤول في عدد من المشاهد الحوارية، وخرجت عن الأصل في مشاهد أخرى حيث جاءت على لسان السائل نفسه، وجاءت ممتزجة مع السؤال في بوتقة واحدة في مواطن أخرى وذلك عندما تكون الإجابة قاطعة صارمة لا يحتمل السؤال سواها.

- توالت تراكيب الأمر في سياقات الدعاء والنصح والوصايا والتوجيه الإلهي وغيرها بوتيرة الأمر الأول فيها ووقعت على مفاعيل واحدة أو متقاربة تدور في إطار واحد وتأرجحت بين ثنائية رفض التنفيذ وقبوله عاكسة طبيعة العلاقة بين الآمر والمأمور.

- أدى تركيب النداء في الحوارات القرآنية دورين رئيسيين؛ الأول: لفت انتباه السامع إلى مضمون الرسالة الكلامية بتوجيهها له توجيهاً خاصاً، والثاني: قولبة أحوال النفس وعواطفها ومشاعرها.

- أثرت طبيعة التواصل الحواري على بنية المقولة الحوارية وتمثل هذا الأثر بعدول الألفاظ عن مواقعها في مواطن (العدول عن الرتبة بالتقديم والتأخير)، وتغيبها تاركة للمتلقي خلق عالم حضورها في مواطن (العدول عن التضامن بالحذف)، وترسيخ حضورها في النص بوساطة التكرار، والعدول عن ارتباطها المتوقع بوساطة الالتفات.

- انطوى كل تقديم وتأخير في المقولات الحوارية على حكمة بالغة وفطنة أسلوبية جاذبة، فكأن المعنى يقتضي ما تقدم أو تأخر اقضاء طبيعياً للتأثير على المخاطب، فترتيب الكلمات في لغة الحوار القرآني لم يرد اعتباطاً؛ إنه يعكس ترتيب المعاني في النفس كما يرسم صورة لغوية لانفعال المتكلم وموقفه من السامع. وقد أمكن حصر التقيم والتاخير في أربعة أقسام: ما قدم والمعنى عليه، ما قدم والنية به التأخير، ما قدم في آية وأُخر في أخرى، ما قدم وأُخر في الآية ذاتها.

- لائم التكرار المضامين الحوارية التي عولجت من خلاله خالقاً عمقاً دلالياً لا يترك السياق على سطحيته الإيقاعية فحسب وإنما ينفذ إلى الإيقاع الداخلي للمقولة الحوارية تاركاً أثره على المتلقي. وأمكن دراسة التكرار اللفظي في الحوار القرآني ضمن ثلاثة أنماط: الأول: تكرار الألفاظ المتفقة بأصواتها ودلالاتها في المقولة أو النص وفق توزيعات مكانية متنوعة الأبعاد بن الدال الأول والدال المكرر في السورة الواحدة. والثاني: تكرار جمل من حوار الشخصية ذاتها في غير سورة تكراراً لفظياً تاماً أو منقوصاً تعتوره تغيرات يتطلبها السياق. والثالث: تكرار المحاورة وتعدد المرسل في سورة واحدة أو غير سورة.

- في تكرار الحوار الواحد إبراز لجوانب لا يمكن أداؤها على وجه واحد من وجوه التعبير، فالمقولة تعاد أكثر من مرة مبرزة في كل مرة وجهاً من وجوه الزاوية المحيطة بالحدث الحواري، فيخرج الناظر بتصور كامل للمشهد الحواري، ويتأكد المضمون في نفسه ويتثبت لتكرار وروده في سياقات متنوعة تبرزه ويبرزها.

- جسم الحذف في الحوار القرآني الفارق بين مقررات النظام اللغوي ومطالب السياق الكلامي في واقعه الفعلي فاتحاً للقارىء فضاءات من التأويل والتخيل لا حدّ لها. إنه لحظة من لحظات الصمت اختيرت بدقة، وعبرت تعبيراً واضحاً عما يدور في نفس المحاور وما يسعى لايصاله إلى المحاور.

- جسم الالتفات السلوك الحيوي في النص الحواري جاعلاً الكلمات نابضة بالحركات الموحية وحقق قفزات أدهشت المتلقي؛ لما فيها من مخالفة سياقية تخرج عن حدود توقعه للسلوك الأدائي. وقد طوى كثيراً من التفصيلات بين أجزاء المقولات الحوارية مبرزاً المواقف البارزة فيها، ومحققاً روح العرض والحضور.

وبعد،

فقد أنرتُ ظلمةَ عقلي، وتولد الربيع في خريف قلبي بشعاع من أشعة شمس سماء النص القرآني، وبقيت في النفس حاجات وتطلعات أرجو الله أن يعينني على تحقيقها منها:

- ❖ تأمل أسلوبية التوكيد والنفي والاعتراض والشرط في لغة الحوار القرآني.
- ❖ دراسة تنغيم المقولة الحوارية بوساطة أجهزة التحليل الصوتي.
- ❖ تأمل أسلوبية المقولة الحوارية لكل طرف من أطراف الحوار.
- ❖ استخلاص أسس الحوار الفعال وقواعده من حوارات القرآني وتقديمها للأجيال بما يناسب أحوالهم وهمومهم المختلفة.
- ❖ إجراء دراسة أسلوبية مقارنة بين الحوار وأنماط الخطاب الإلهي في النص القرآني لمعرفة ميزاته المخصوصة وكيفية تضافره معها.

أما هذه الدارسة فهي محاولة بذلت فيها من التأمل والتدبر ومحاولة التصنيف والربط ما استطعت إليه سبيلاً، فأن أحسنت فهذا فضل من الفتاح العليم الذي أعانني على ولوج عالم النص القرآني، وإن أسأت فلي أجر المحاولة ولا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها.

والله أسأل أن يجعلي عملي كله خالصاً لوجهه، وأن يدبّ في قلبي، ما حييت، عشقاً للقرآن يقرّ عيني في الدنيا والآخرة.

سبحانك لا علم لنا إلاّ ما علمّتنا إنك أنت العليم الحكيم.

﴿إنّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد﴾

قائمة المصادر والمراجع

أ) المصادر

❖ القرآن الكريم

= أبو زرعة، عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة (ت ٤٠٣ هـ) – حجة القرءات، ط٤، تحقيق وتعليق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤م

= ابن الأثير، بضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن محمد الجزري (ت ٦٣٧ هـ) – المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ٤ج، تحقيق وتقديم وتعليق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٩م

= ابن الزملكاني، كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم (ت ٦٥١ هـ) – البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، ط١، تحقيق خديجة الحديثي وأحمد مطلوب، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٤م

= ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ) – تأويل مشكل القرآن، شرح وتحقيق أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٤م

= ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ) – تفسير القرآن العظيم، ط٢، ٨ج، تحقيق سامي محمد السلامة، دار طيبة، الرياض، ١٩٩٩م

= ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ) – لسان العرب، ٧ج، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧م

= ابن هشام، جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١ هـ) – مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ط٦، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٥م

= الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود (ت ١٢٧٠ هـ) – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ١٥م، تحقيق محمد أحمد الأمد، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٩م

= الأندلسي، أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف (ت ٧٤٩ هـ) – تفسير البحر المحيط، ٨ج، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣هـ

= الجاحظ، أبو عثمان عمرون بن بحر (ت ٢٥٥ هـ) – البيان والتبيين، ط٥، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٥٦م

= الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (ت ٤٧٢ هـ) – أسرار البلاغة، ط١، تحقيق محمود شاكر، دار المدني، جدة، ١٩٩١م

= الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (ت ٤٧٢ هـ) – دلائل الإعجاز، ط٢، تعليق محمد ورشيد رضا، تصحيح الأصل محمد عبده ومحمد الشنقيطي، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٨م

= الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد البستي (ت ٣٨٨ هـ) – بيان إعجاز القرآن، ط٣، شرح وتعليق عبد الله الصديق، مطبعة دار التأليف، القاهرة، ١٩٥٣م

= الخطيب الإسكافي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٤٢٠ هـ) – درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، برواية ابن أبي الفرج الأردستاني، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٣م

= الدمياطي، أحمد بن محمد بن أحمد (ت ١١١٧ هـ)– اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تحقيق شعبان محمد إسماعيل، ٢ج، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٧م

= الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر (ت ٦٠٦ هـ) – نهاية الايجاز ودراية الإعجاز في علوم البلاغة وبيان إعجاز وبيان إعجاز القرآن الكريم، ط١، تحقيق بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٥م

= الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (ت ٧٩٤ هـ) – البرهان في علوم القرآن، ط٢، ٤م، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٧٢م

= الزمخشري، أبو القاسم جاد الله محمود بن عمر بن محمد (ت٥٣٨هـ)– الكاشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط١، ٤م، وضبطه وصححه محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م

= السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر (ت ٦٢٦ هـ) – مفتاح العلوم، ط٢، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م

= السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ) – الإتقان في علوم القرآن، ط٤، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٧م

= الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) – جامع البيان في تفسير القرآن، ١٢م، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٣م

= الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير(ت ٣١٠ هـ)- تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٧ج، تحقيق صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ١٩٩٧م

= العكبري، محب الدين أبو البقاء (ت ٦١٦ هـ)- التبيان في إعراب القرآن، ٢ج، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م

= الغرناطي، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم (ت ٧٠٨ هـ) – ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، ٢ج، تحقيق محمود كامل أحمد، دار النهضة، بيروت، ١٩٨٥م

= الكرماني، محمود بن حمزة بن نصر (ت ٥٠٥ هـ)- البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، ط٢، تحقيق أحمد عز الدين، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م

ب) المراجع

= إبراهيم خليل – الأسلوبية في النقد العربي الحديث، وزارة الثقافة، عمان، ١٩٩٧م

= إبراهيم عبد الله أحمد – الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث، وزارة الثقافة، عمان، ١٩٩٦م

= أحمد الشايب – الأسلوب (دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية)، ط٥، النهضة المصرية، القاهرة

= أحمد سعد محمد – التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩٨م

= أ. ف. تشيتشرن – الأفكار والأسلوب: دارسة في الفن الروائي ولغته، ترجمة حياة شرارة، دارة الشؤون الثقافية العامة، بغداد.

= بيير جيرو – الأسلوب والأسلوبية، ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء العربي، بيروت

= تمام حسان – البيان في روائع القرآن: دراسة لغوية للنص القرآني، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٣م

= تمام حسان – اللغة العربية: معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٩٤م

= تمام حسان – مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٥م

= التهامي نقرة – سيكولوجية القصة في القرآن، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٧١م

= ثروت أباظة – السرد القصصي في القرآن الكريم، دار نهضة مصر، القاهره

= جورج مولينيه – الأسلوبية، ط١، ترجمة وتقديم بسام بركة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٩م

= جون لاينز – اللغة والمعنى والسياق، ط١، ترجمة عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧م

= حسن غزالة – الأسلوبية والتأويل والتعليم، كتاب الرياض، العدد (٦٠)، يصدر عن مؤسسة اليمامة الصحفية، ١٩٩٨م

= حميد أحمد العامري – التقديم والتأخير في القرآن الكريم، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٦م

= خوسيه ماريا إيفانكوس – نظرية اللغة الأدبية، ترجمة حامد أبو أحمد، سلسلة الدراسات النقدية، مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٩١م

= رجاء عيد – البحث الأسلوبي: معاصرة وتراث، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٣م

= رمزي منير البعلبكي – معجم المصطلحات اللغوية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠

= ستيفن أولمان – اتجاهات جديدة في علم الأسلوب، في كتاب اتجاهات البحث الأسلوبي، ط١، ترجمة شكري عياد، دار العلوم للطباعة والنشر.

= سليمان الطراونة – دراسة نصية (أدبية) في القصة القرآنية، ط١، منشورات جامعة مؤتة، الأردن، ١٩٩٢م

= سيد قطب – في ظلال القرآن، ط١٠، ٦م، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٢م

= شكري محمد عياد – اللغة والإبداع: مبادئ علم الأسلوب العربي، ط١، ١٩٨٨م

= شكري محمد عياد – مدخل إلى علم الأسلوب، ط١، ١٩٨٢م

= شوقي علي الزهرة – جذور الأسلوبية من الزوايا إلى الدوائر: دراسة فيلولوجية، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩٧

= صلاح فضل – بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٢م

= طاهر حمودة – ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٢

= عبد الحليم حفني – أسلوب المحاورة في القرآن الكريم، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتب، القاهرة، ١٩٨٥

= عبد القادر الشخلي - أخلاقيات الحوار، ط١، دار الشروق، عمان، ١٩٩٣م

= عبد الكريم الخطيب – القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، دار المعرفة، بيروت.

= عبد الله أبو ملوح – حوارات في يوم الحسرات، ط١، دار الفرقان، عمان، ١٩٩٩م

= عبد المرضى زكريا – الحوار ورسم الشخصية في القصص القرآني، ط١، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ١٩٩٧م

= علي أحمد فراج علي – الإعجاز والبيان في قصص القرآن، ط١، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ١٩٩٢م

= فضل حسن عباس – قصص القرآن الكريم، ط١، دار الفرقان، عمان، ٢٠٠٠م

= كاظم الظواهري – بدائع الإضمار القصصي في القرآن الكريم، ط١، دار الصابوني، بغداد، ١٩٩١م

= كراهم هاف – الأسلوب والأسلوبية، ترجمة كاظم سعد الدين، دار آفـــاق عربيـــة، بغـــداد، ١٩٨٥

= محمد أبو موسى – دلالات التراكيب: دراسة بلاغية، ط١، مكتبة وهبه، القاهرة، ١٩٧٩م

= محمد بركات حمدي أبو علي – البلاغة عرض وتوجيه وتفسير، دار الفكر، عمان، ١٩٨٣م

= محمد بركات حمدي أبو علي – بحوث ومقالات في البيان والنقـــد الأدبـــي، دار البشـــير، عمان، ١٩٨٨م

= محمد بركات حمدي أبو علي – فصول في البلاغة، دار الفكر، عمان، ١٩٨٢م

= محمد خطابي – لسانيات النص: مدخل إلى انسجام النص، المركز الثقافي العربي، بـــيروت، ١٩٩١

= محمد عبد المطلب – البلاغة العربية قراءة أخرى، ط١، مكتبة لبنـــان ناشـــرون، بـــيروت، ١٩٩٧م

= محمد علي نوح قوجيل – أصول الجدل وآداب المحاجة في القرآن الكريـــم، ط١، جمعيـــة الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ١٩٩٩م

= محمد مفتاح – التلقي والتأويل: مقارنة نسقية، ط١، المركـــز الثقـــافي العربـــي، بـــيروت، ١٩٩٤م

= محمود أحمد نحلة – لغة القرآن الكريم في جزء عم، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م

= محمود السيد حسن – روائع الإعجاز في القصص القرآني: دراسة في خصائص الأســـلوب القصصي المعجز، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية

= محمود ياقوت – علم الجمال اللغوي، دار المعرفة الجامعية، مصر، ١٩٩٥

= ميشال زكريا – الألسنية (علم اللغة الحديث) قراءات تمهيدية، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٤م

= ميشيل ريفاتير – معايير لتحليل الأسلوب، في كتاب اتجاهات البحث الأسلوبي، ترجمة شكري عياد، ط١، دار العلوم للطباعة والنشر.

= وليد منير – النص القرآني من الجملة إلى العالم، ط١، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، القاهرة، ١٩٩٧م

= يوسف أبو العدوس – البلاغة والأسلوبية: مقدمات عامة، ط١، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٩م

ج) رسائل جامعية

= أحمد فالح مطلق، ظاهرة الحذف في الجملة العربية، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، ١٩٨٥م

= حسين أحمد الدراويش، النظم القرآني في سورة البقرة: دراسة في الدلالة والأسلوب، رسالة دكتوراة، الجامعة الأردنية، الأردن، ١٩٨٦م

= خالد قاسم حسين، التكرار اللفظي في لغة الحوار القرآني: دراسة لغوية أسلوبية، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن، ١٩٩٩م

= خولة محمد الأسعد، التشكيل التكراري في السور المدنية: ظاهرة أسلوبية، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن، ١٩٩٩م

= سمير إبراهيم الغزاوي، التنغيم اللغوي في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، الأردن، ٢٠٠٠م

= سوزان عبد القادر الميري، الجملة في أسلوب القصة القرآنية، رسالة ماجستير، جامعة حلب، سورية، ١٩٩٩م

= علي محمود سالم، ظاهرة التقديم والتأخير بين المبنى والمعنى في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن، ١٩٨٦م

= فوز سهيل نزال، مقامات الحريري: دراسة أسلوبية، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، الأردن، ١٩٩٨م

= محمد محمود قاسم، التكرار في القرآن الكريم: دراسة بلاغية، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن، ١٩٩٨م

الملحـــق (1)

رقم السورة التنزيلي	السور المكية	عدد الآيات في السورة	عدد الآيات المضمنة جملاً حوارية
١	العلق	١٩	-
٢	القلم	٥٢	٨
٣	المزمل	٢٠	-
٤	المدثر	٥٦	٦
٥	الفاتحة	٧	-
٦	المسد	٥	-
٧	التكوير	٢٩	-
٨	الأعلى	١٩	-
٩	الليل	٢١	-
١٠	الفجر	٣٠	٢
١١	الضحى	١١	-
١٢	الشرح	٨	-
١٣	العصر	٣	-
١٤	العاديات	١١	-
١٥	الكوثر	٣	-
١٦	التكاثر	٨	-
١٧	الماعون	٧	-
١٨	الكافرون	٦	٦
١٩	الفيل	٥	-
٢٠	الفلق	٥	-
٢١	الناس	٦	-
٢٢	الإخلاص	٤	-
٢٣	النجم	٦٢	-

(1) اعتمادنا في ترتيب النزول على ما رجحه كثير من العلماء وما اختاره صاحب الإتقان.

٢٤	عبس	٤٢	-
٢٥	القدر	٥	-
٢٦	الشمس	١٥	-
٢٧	البروج	٢٢	-
٢٨	التين	٨	-
٢٩	قريش	٤	-
٣٠	القارعة	١١	-
٣١	القيامة	٤٠	-
٣٢	الهمزة	٩	-
٣٣	المرسلات	٥٠	-
٣٤	ق	٤٥	١٠
٣٥	البلد	٢٠	-
٣٦	الطارق	١٧	-
٣٧	القمر	٥٥	-
٣٨	ص	٨٨	٣١
٣٩	الأعراف	٢٠٦	١٠٥
٤٠	الجن	٢٨	١٧
٤١	يـــس	٨٣	٢٦
٤٢	الفرقان	٧٧	١١
٤٣	فاطر	٤٥	٢
٤٤	مريم	٩٨	٣٠
٤٥	طه	١٣٥	٨٩
٤٦	الواقعة	٩٦	-
٤٧	الشعراء	٢٢٧	١٢٩
٤٨	النمل	٩٣	٤٢
٤٩	القصص	٨٨	٣٧
٥٠	الإسراء	١١١	١٩
٥١	يونس	١٠٩	٣٧
٥٢	هود	١٢٣	٥٧

٥٣	يوسف	١١١	٩٢
٥٤	الحجر	٩٩	٣٨
٥٥	الأنعام	١٦٥	٦١
٥٦	الصافات	١٨٢	٤٨
٥٧	لقمان	٣٤	٧
٥٨	سبأ	٥٤	٢١
٥٩	الزمر	٧٥	٥
٦٠	غافر	٨٥	٣٠
٦١	فصلت	٥٤	٢٠
٦٢	الشورى	٥٣	٢
٦٣	الزخرف	٨٩	٢٥
٦٤	الدخان	٥٩	٦
٦٥	الجاثية	٣٧	٧
٦٦	الأحقاف	٣٥	١٦
٦٧	الذاريات	٦٠	١٣
٦٨	الغاشية	٢٦	-
٦٩	الكهف	١١٠	٣٤
٧٠	النحل	١٢٨	٧
٧١	نوح	٢٨	٢٧
٧٢	إبراهيم	٥٢	١٥
٧٣	الأنبياء	١١٢	٢٥
٧٤	المؤمنون	١١٨	٣٢
٧٥	السجدة	٣٠	٤
٧٦	الطور	٤٩	٩
٧٧	الملك	٣٠	٩
٧٨	الحاقة	٥٢	١٥
٧٩	المعارج	٤٤	-
٨٠	النبأ	٤٠	-
٨١	النازعات	٤٦	٦

٨٢	الانفطار	١٩	-
٨٣	الانشقاق	٢٥	-
٨٤	الروم	٦٠	-
٨٥	العنكبوت	٦٩	١٨
٨٦	المطففين	٣٦	٢

رقم السورة التنزيلي	السور المدنية	عدد الآيات في السورة	عدد الآيات المضمنة جملاً حوارية
٨٧	البقرة	٢٨٦	٤٦
٨٨	الأنفال	٧٥	٧
٨٩	آل عمران	٢٠٠	٤٤
٩٠	الأحزاب	٧٣	١٠
٩١	الممتحنة	١٣	٢
٩٢	النساء	١٧٦	٨
٩٣	الزلزلة	٨	–
٩٤	الحديد	٢٩	–
٩٥	محمد	٣٨	–
٩٦	الرعد	٤٣	٣
٩٧	الرحمن	٧٨	–
٩٨	الانسان	٣١	–
٩٩	الطلاق	١٢	–
١٠٠	البينة	٨	–
١٠١	الحشر	٢٤	٢
١٠٢	النور	٦٤	–
١٠٣	الحج	٧٨	–
١٠٤	المنافقون	١١	٤
١٠٥	المجادلة	٢٢	–
١٠٦	الحجرات	١٨	٤
١٠٧	التحريم	١٢	١

١٠٨	التغابن	١٨	–
١٠٩	الصف	١٤	٣
١١٠	الجمعة	١١	–
١١١	الفتح	٢٩	٤
١١٢	المائدة	١٢٠	٣٤
١١٣	التوبة	١٢٩	١٠
١١٤	النصر	٣	–

Abstract

The Dialogue Language In The Holy Qur'an

: A Functional Stylistic Study

Prepared by:

Fawz Suheil Kamel Nazzal

Supervised by:

Professor Mahmoud Al-Samra

This study describes the nature of linguistic form in the Qur'anic dialogue from a stylistic point of view, which combines the linguistic sturcture with the expressive value and the semantic implications of this relationship.

The present study views dialogue as a pattern of divine discourse in the Qur'anic text characterized by a special form which is meant to achieve the maximum interaction with the recipient. Thus, the study tried to explore the purpose of its choice and effectiveness. It also tried to shed light on the relationship between the style of a dialogue piece and the initiator of the dialogue by showing its linguistic representation of his emotions and concerns without dictatiny and additional Features beyond the boundaries of a text.

The study Falls in three chapters. Chapter one addresses the concept of Qur'anic dialogue, types, parties concerned, content, form, and effectiveness. Chapter two identifies the sturctures which are most commonly used in dialogue-oriented texts, referring to the reasons for their use, their semantic implications, their presence in a text and their harmony with the rest of the elements. Chapter three deals with the most significant effects of dialogue on the linguistic sturcture of a dialougue-oriented text.

The study managed to reach some conclusions which have been realized through identifying the stylistic conventions in Qur'anic dialogue, their description and explanation.